المعايشة الإيمانية
لأسماء الله الحسنى
إعداد
الشيخ السيد طه أحمد

الجزء الأول

المقدمـــة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين .. له سبحانه أحسن الأسماء وأكمل الصفات، وليس له مثيل في أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير (11)} [الشورى]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو علي كل شيء قدير .. لا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء ،لا يفنى ولا يبيد ،ولا يكون إلا ما يريد ،لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام ،حي لا يموت، قيوم لا ينام، له الأسماء الحسني والصفات العليا منزه عن كل نقص ،هو القائل سبحانه وتعالي {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ(180)} [الأعراف].

وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم .علمنا أن نعيش بأسماء الله الحسني، لأن بعلمها يستوجب المسلم الجنة ،فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي (ﷺ) قال: {إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ } [رواه البخاري ومسلم].

فاللهم صل علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلي يوم الدين ....

أما بعد ..

فإن العلمَ بالله أحَدُ أركانِ الإيمان، بل هو أصلُها وما بعدَها تبَعٌ لها، ومعرِفَةُ أسماء الله وصفاتِه أفضلُ وأوجَب ما اكتسبَته القلوب وحصَّلته النفوسُ وأدركته العقول.

قال ابن القيّم رحمه الله: أطيَبُ ما في الدنيا معرفتُه سبحانه ومحبَّته. والقرآنُ كلّه يدعو الناسَ إلى النظر في صفات الله وأفعالِه وأسمائه، بل ودعاء الله بها من أفضل ما يقوم به العبد ؛ قال تعالي{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (180)}[الأعراف].

والله يحبُّ من يحبُّ ذكرَ صفاته، وقد بشَّر النبي (ﷺ) الذي كان يقرَأ سورةَ الإخلاص يختم بها في قراءته في الصلوات بأنَّ الله يحبّه لـمّا قال: {إني لأحِبّها لأنها صِفةُ الرحمن}. [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي (ﷺ) قال: {إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ } [رواه البخاري ومسلم]

قال أهل العلم: أحصاها يعني: علمها وآمن به وعمل بمدلولها.

وأسماء الله سبحانَه أحسَنُ الأسماء، وصفاته أكمَلُ الصفاتِ.

وحقيقٌ بكلِّ مسلمٍ معرفتُها وفهم معانيها، والعمل وِفْقَهَا، والدعاء بها.

إن معرفة أسماء الله جل جلاله الواردة في الكتاب والسنة ، وما تتضمنه من معاني جليلة ، وأسرار بديعة ، لهي من أعظم الأسباب التي تعين على زيادة إيمان العبد ، وتقوية يقينه بالله تبارك وتعالى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات، كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه".

لذلك كان لزاما علينا أن نعيش مع أسماء الله الحسنى معايشة إيمانية، وهذا الجزء الأول من كتاب **{المعايشة الإيمانية لأسماء الله الحسنى }** والذي يتضمن عشرة فصول ، والفصل يتعايش مع اسم من أسماء الله الحسنى ، وكل فصل يحتوي على عدة عناصر....

الفصل الأول : المعايشة الإيمانية لاسم الله الفتاح .

الفصل الثاني : المعايشة الإيمانية لاسم الله الرزاق .

الفصل الثالث : المعايشة الإيمانية لاسم الله الوكيل .

الفصل الرابع : المعايشة الإيمانية لاسم الله الولـــي.

الفصل الخامس : المعايشة الإيمانية لاسم الله العفو .

الفصل السادس : المعايشة الإيمانية لاسم الله الشكور .

الفصل السابع : المعايشة الإيمانية لاسم الله الجميل .

الفصل الثامن : المعايشة الإيمانية لاسم الله الجبار .
الفصل التاسع : المعايشة الإيمانية لاسم الله الرقيب .
الفصل العاشر : المعايشة الإيمانية لاسم الله الحسيب.
والله أسأل أن يرزقنا التوفيق والرشاد ، وأن يمنحنا القبول والعمل بما نقول إنه ولي ذلك ومولاه .

العبد الفقير إلى عفو ربه الجليل
السيد طه أحمد

الفصل الأول

المعايشة الإيمانية لاسم الفتاح

ويحتوي على ستة عناصر...

1- الفتاح في القرآن الكريم .

2- من معاني الفتاح .

3- صور من الفتح الرباني لعباده المؤمنين.

4- أنواع الفتح.

5- الآثار الإيمانية لاسم الله الفتاح.

6- الأسباب التي تستجلب الفتح.

العنصر الأول : الفتاح في القرآن الكريم

لقد ورد اسم الله الفتاح مرة واحدة في قوله تعالى {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26)} [سبأ] .

وورد مرة واحدة بصيغة الجمع، في قول الله عزَّ وجلَّ {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(89)} [الأعراف]

العنصر الثاني : من معاني الفتاح

الفتاح من الفتح نقيض الإغلاق ، والفتح النصر ، واستفتحت : استَنْصَرت ، والفتح الحكم والقضاء بين الناس .

إذاً كلمة فتح معناه هناك شيء مغلق، وفاتح اسم فاعل، فتاح صيغة مبالغة لاسم الفاعل، صيغة مبالغة لِلْكَم والعدد، للكم والنوع، معناه أن هناك أمر مستعصي فتحه ، فهنا ننادي يا فتاح

ومنه قوله تعالى:{فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11)} [القمر]

ويقول الله عز وجل يقول:{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ (40)}[الأعراف] .

وماذا يعني أن تُفتح أبواب السماء ؟

إذا فُتحت لك أبواب السماء ألقى الله في قلبك نوراً ، يريك الحق حقاً ،والباطل باطلاً ،أكبر عطاء إلهي أن ينور قلبك ، أن تأتي رؤيتك صحيحة ، أن يأتي كلامك سديداً ، أن تأتي قيمك مما يرضي الله عز وجل ، إذا فتح لك أبواب السماء فتح لك باب التوفيق ، إذا فتح لك أبواب السماء فتح لك باب الحفظ ، إذا فتح لك أبواب السماء فتح لك باب الحكمة .قال تعالي {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً (269)} [البقرة] .

إذا فتح لك باب السماء فتح لك باب الرضا ، إذا فتح لك أبواب السماء فتح لك باب النصر، شيء كبير جداً أن تفتح لك أبواب السماء ، فالذي يكذب بآيات الله الدالة على عظمته " وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ " .

ـ الفتاح: هو الحاكم الذي يحكم بين العباد فيما هم فيه يختلفون ..

كما في قوله تعالى {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(89)} [الأعراف]

الفتاح :هو الذي يفصل بين الناس، قال تعالي {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)} [الحج]

فالحياة مفعمة بالصراعات، فكل جهة تدعي أنها على حق، وأنها المُصِيبة، وأنها تعمل وفق المنطق، ووفق المصلحة، هذا ادعاء، لكن من يفصل ؟

الفتـــاح: صفة جمـــالٍ وجـــلال ،لأنه سبحانه وتعالى يفتح خزائن جوده وكرمه لعباده المؤمنين ورزقه للطائعين، كما إنه قد يفتح أبواب البلاء والهلاك على الكافرين، ويفتح قلوب المؤمنين، وعيون بصائرهم ليبصروا الحق ، قال تعالي{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [فاطر]..

الفتاح : هو الذي بإرادته وقدرته يفتح كل مغلق، فيكشف الكرب ويزيل الغمة ويرفع البلاء ويكشف العسر ، سبحانه وحده لا شريك له.

العنصر الثالث : صور من الفتح الرباني لعباده المؤمنين

أولا : فتح التوفيق والإلهام:

الفتاح :هو الذي يفتح على النفوس باب توفيقه، لو تأملنا كتاب الله تعالي لوجدنا آية واحدة في القرآن الكريم وهي قوله تعالى:{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88)}(هود)

ويكون من الفتح أيضاً الإلهام الذي يلهمه الله تعالى من يشاء من عباده، فيكون ملهماً موفقاً مصيباً للحق لا يختار بين أمرين، إلا اختار الأصوب، قال (ﷺ): {لقد كان فيمن كان قبلكم رجال محدثون يعني ملهمون يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب} [رواه البخاري ومسلم]

فيجري الصواب على لسانه، كما قال (ﷺ) في حديث آخر: {إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه} ،ولذلك كثرت موافقاته لكتاب الله تعالي منها....

1ـ كان يتمنى أن تنزل الصلاة عند مقام إبراهيم فنزلت، قال: يا رسول الله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (125)} [البقرة].

2ـ قال عمر رضي الله عنه قلت: يا رسول الله: لو أمرت نسائك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب

3 ـ اجتمع نساء النبي (ﷺ) في الغيرة عليه، ففال عمر رضي الله عنه لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية على لفظ عمر.

4 ـ وافق ربه في شأن أسارى بدر.

5ـ جاءت موافقته في منع الصلاة على المنافقين.

6ـ موقفه رضي الله عنه في تحريم الخمر.

قال ابن حجر رحمه الله: وقفنا منها على خمسة عشر موضعاً.

وكان لعمر رضي الله عنه بصيرة نافذة، وفراسة ثاقبة، قال مرة لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة.

قال: ابن من؟

قال: ابن شهاب، قال: مِن مَن؟

قال: من الحرقة، هذا البطن الذي هو منه من القبائل.

قال: أين مسكنك؟ قال: بحرّة النار.

قال: بأيها حرة النار واسعة قال: ذات لظى.

قال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا، فذهب الرجل فكان كما قال عمر رضي الله عنه" [رواه مالك في الموطأ].

هذه أنوار يقسمها الله كيف يشاء { وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ(40)} [النور] .

وهذا الفتح يسميه بعض العلماء فتح الكشف ، يكشف الله عن بصيرة

المؤمن ، فيلقي الله تعالي في قلبه نورا ومعرفة ، فيري الحق حقاً والباطل باطلاً ، كما حدث مع نبي الله إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)} [الأنعام]

ثانيا : فتح يدهش العقول :

إن الله حين يفتح علي عباده يفتح عليهم فتحاً غير عادي يدهش العقول ويحير الألباب ويأتي علي غير المتوقع كما قال تعالي {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (5)} [الضحي] .

والأمثلة علي ذلك كثيرة منها ...

1ـ سيدنا يوسف

الفتاح يأتي بالفتح من حيث لا ندري، وقد نظنه إغلاقاً وهو قمة الفتح، سيدنا يوسف عليه السلام سُجن تسع سنوات وسِجْنه هذا قمة الفتح؛ لأنه لو لم يسجن لما كان تعرف على ساقي الملك،

الملك الذي شاهد الرؤيا، ولو كان خرج من السجن مبكراً قبل رؤية الملك للرؤية هل كان سيكون عزيز مصر؟

لا بل لكان شخصاً عادياً في المجتمع ،وما كان عزيز مصر، فكان سجنه ثم خروجه فتحا عليه وعلى أهله وعلى أهل مصر وما حولها بخطته في مواجهة المجاعة .

2ـ الفتح بماء زمزم

السيدة هاجر كانت تسعى بين الصفا والمروة ، وأقصى فتح تتمناه من الله أن يشرب إسماعيل، ولكن يأتي الفتح بصورة فاقت التوقع

إنه ليس فتحا عادياً بل ممتد إلى يوم القيامة إنه الفتح بماء زمزم الذي يشرب منه جميع زوار بيت الله الحرام وغيرهم إلى يوم القيامة.

3ـ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً

وهو سبحانه وتعالي الذي فتح على نبيه (ﷺ) بصلح الحديبية الذي جاء من بعده الخير الكثير للمسلمين، فأنزل الله على نبيه: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(1)}[الفتح].

والعجيب أن الكثيرون يعتقدون أن هذه الآية تتحدث عن فتح مكة ؛لكن الصحيح هو أنها نزلت بعد صلح الحديبية .
فعن البراء رضي الله عنه قال :{ تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية} [رواه البخاري].
ومعلوم أن يوم الحديبية كان النبي (ﷺ) قد حدد هدفاً واضحاً وأعلنه قبل الخروج
من مكة وهو أداء العمرة..
ولكن قريش منعته دخول مكة، فأرسل إليهم عثمان رضي الله عنه ليفاوضهم فجاءه الخبر بقتله فاستعد لقتالهم، واشتدت غيرة المؤمنين على دينهم واستشاطوا غضباً لله ورسوله وبايعوا نبيهم على ، ولكن عاد عثمان فقد كان خبر قتله مجرد شائعة، وأرسلت قريش للتفاوض بعد أن وُضعت أمام الأمر الواقع واهتزت مكانتها.
وبعد الصلح أمر النبي (ﷺ) المسلمين بالعودة دون عمرة بعد أن كانت نفوسهم قد تهيأت لأمرين : العمرة أو القتال فلا هذا ولا ذاك..
بل تحقيق رغبة قريش المتعسفة(هذا في ظاهر الأمر) فلما لم يتحقق الهدف المحدد سلفاً حزن المسلمون وغضبوا وتحيروا، وتساءل عمر رضي الله عنه علانية فنزلت سورة الفتح فاجتمع الناس على رسول الله (ﷺ) فقرأ عليهم {إنا فتحنا لك فتحا مبينا}
قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله (ﷺ) أي رسول الله أو فتح هو ؟ فقال (ﷺ): إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح.
فلماذا سُمي فتحا؟
لأنه بعد صلح الحديبية استقرت الأحوال؛ عقد الصلح بين النبي (ﷺ) وبين المشركين، وضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس، وصار المشركون يأتون إلى المسلمين، ويسمعون القرآن، فأسلم جمعٌ غفير،فأصبح عدد المسلمين الذين أسلموا في السنتين بعد صلح الحديبية يقرب من عدد المسلمين الذين أسلموا من بداية دعوة

النبي (ﷺ) وحتى صلح الحديبية.
وتفرغ النبي (ﷺ) لفتح خيبر، وفتحت خيبر، ثم نقض المشركون العهد بعد سنتين، فغزاهم النبي (ﷺ) وفتح مكة، فالله تعالى سماه فتحا مبينا؛ لما يعقبه من النصر.

ثالثا: فتح باب الأمل للعصاة والمذنبين

قال تعالى : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) }[الزمر].

هذه الآية في كتاب الله تفتح باب الأمل للعصاة حتى لا يظلوا سائرين في غيهم ،راكبين رؤوسهم في طاعة أنفسهم وشياطينهم .

وعن أبي موسى رضي الله عنه؛ أنَّ النبي (ﷺ) قال: {إنَّ الله عز وجل يَبسُط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويَبسُط يده بالنهار ليتوب مُسيءُ الليل، حتى تَطلُع الشمسُ مِن مغربها} [رواه مسلم]

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي (ﷺ) قال: {إذا كان ثلثُ الليل الباقي، يَهبطُ الله عز وجل إلى السماء الدنيا، ثُم تفتح أبواب السماء ، ثم يبسُط يده فيقول: هل مِن سائلٍ يُعطَى سُؤله؟ فلا يزال كذلك حتى يَطلُع الفجر } [رواه أحمد في المسند].

إن نفس المؤمن كثيرا ما تشعر بذنبها، وتندم على فعلها ،وتذكر ماضيها وتود أنها لو كانت من المؤمنين الذين عملوا الصالحات ، فلو سد باب الأمل في التوبة والرجوع إلى الله لظل أغلب الناس يتخبطون في ظلمات المعاصي، ولكن فتح الله باب التوبة لعباده وهذه بعض قصص الذين فتح الله لهم :

الفُضَيْل بن عِياض :

كان أوّل أمره لصًا قاطعًا للطريق يُخيفُ الناس ويسرق منهم متاعهم، وفي ليلة من الليالي قصدَ بيتَ فتاةٍ أحبّها ،فلمّا صعد على الجدار سمع قارئا للقرآن الكريم يتلو قول الله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ للذينَ ءامَنُوا أنْ تَخشَعَ قلوبُهم لِذِكْرِ الله(16)}[الحديد] .

فتوقف في مكانه وتحرّك قلبه وخشع لله تعالى وقال: يا ربّ قد آن ،فنزل عن الجدار ورجع ،وكان الوقت ليلاً فأوى إلى بيت متهدم، فإذا فيه بعض المسافرين قد داهمهم الليل ،وقصدوا هذا البيت المتهدم لينام فيه ثمّ يكملون سيرهم صباحًا ،فسلّم عليهم وقعد معهم ولم يعرّفهم بنفسه، فقال أحدهم: ما رأيكم لو نسير الآن قبل أن تشتد حرارة الشمس غدًا؟

فردّ عليه آخر: لا، ننتظر الصباح لأن الفضيل بن عِياض قد يتعرّض لنا بالسوء ويسرق متاعنا، فسمع الفضيل كلامه فتاب إلى الله تعالى وعرّفهم بنفسه.

فارتاعوا فأخبرهم بقصته وأمّنهم ثمّ قصد مكة المكرّمة، وهناك قصد العلماء والصالحين وجالسهم وأخذ منهم العلم ؛ وعلّم في الحرم الشريف حتى مات رحمه الله تعالى في مكة المكرمة.

رابعا : فتح في الآخرة

الفتاح معك في الدنيا وأيضاً في القبر حينما يسألك الملكين بشدة وأنت خائف ومؤمن وكنت على حق: من ربك؟ ربي الله.

ما دينك ؟ ديني الإسلام.

ماذا تقول في الرجل الذي بعث فيك؟ هو محمد (ﷺ)..

فينادي منادي من السماء: صدق عبدي فافرشوا له قبره من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة.. فيفتح لك باباً إلى الجنة ، فيظل العبد ينادي يا رب أقم الساعة يا ربِ أقم الساعة يا رب أقم الساعة حتى ألقى أهلي وولدي في الجنة.

وأيضا الفتح يوم القيامة كما ورد في حديث البراء بن عازب الذي أخبرعن النبي (ﷺ) أنه قال : {أن روح المؤمن إذا أخذها الملك فتحت لها أبواب السماء وأن روح العبد الفاجر أو الكافر لا تفتح لها أبواب السماء ثم ترد الي الأرض السفلي وإذا دخل العبد في قبره فإن كان من الصالحين فتح له باب من الجنة ينظر إليه فيقول له هذا منزلك حتي تقوم الساعة فيقول يا رب أقم الساعة يا رب أقم الساعة .

وأما الكافر فيفتح الله عز وجل له باب قبل النار يقال له هذا مقعدك يوم تبعث من قبرك فيقول رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة.
فإذا خرج الناس يوم القيامة من قبورهم صار فريق الي الجنة وفريق الي السعير، فريق يُساق الي الجنة كما قال الله عز وجل { وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73)} [الزمر].
وفريق يُساق الي النار كما قال الله عز وجل {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72)} [الزمر].
ولا حظ الفرق أن فتح أبواب النار لأهل النار يكون بغتة وفيه زيادة للعذاب عليهم ، أما أهل الجنة فيفتح لهم كما قال الله عز وجل "فتحت بإعداد وتهيئة اكراما لهم".

خامسا : فتح خاص للنبي (ﷺ)

ما يفتح الله عز وجل على نبيّه يوم القيامة مِن أنواع المحامد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ النبي (ﷺ) قال: {ثُم يفتح الله عليَّ ويُلْهِمني مِن محامده وحسنِ الثناء عليه شيئًا لم يفتحهُ لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسَك، سَلْ تُعْطَه، اشفع تشفع}.[رواه البخاري ومسلم].

سادسا : فتح خزائن السماوات والأرض

إن الله تعالي بيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، قال سبحانه وتعالي: { لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12)}[الشورى].
فما يَفتحه مِن الخير للناس لا يَمْلك أحدٌ أن يُغلقه عنه، وما يُغلقه فلا يَمْلك أحدٌ أن يفتحه عليهم، كما قال تعالى:{ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)} [فاطر].

فلو فتح اللهُ المطرَ على الناس، فمَن ذا الذي يحبسه عنهم؟!
حتى لو أدَّى المطرُ إلى إغراقهم مثل ما حدث لقوم نوح، فقد وَصلَت المياهُ إلى رؤوس الجبال، ولو حبس عنهم المطر سنين عديدة، ما استطاعوا أن يفتحوا ما أغلقه الله، قال تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)} [الملك].
وقال تعالى{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ(107)} [يونس].

سابعا : تنوع الفتح

للفتح أبواب متعددة يفتحها الفتاح لعبادة الذين يرضي عنهم ، فمنهم من يفتح له في صلة الأرحام، فلا يزال يزورهم، ويحسن إليهم، ويبرهم ، ويأتيهم ويأتونه فيدعوهم وهكذا .. يفتح عليه في باب الصلة والبر.

ـ ومنهم من يفتح له في مساعدة المحتاجين وإغاثة الملهوفين ، ورعاية الأيتام والمعاقين ،وتفريج كربات المكروبين، وتسديد ديون الغارمين، وكفالة المساكين والمرضى المعوزين، وحمل الأرامل والفقراء، ورعايتهم، ومواساتهم وهكذا..

ـ ومنهم من يفتح عليه في باب الاحتساب، فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم، ويصبر على الأذى، ولا يزال يتبع المنكرات ويتتبعها ويحذر منها، وينهى عنها، فيكون على يديه من الخير ما يكون.

ـ ومنهم من يفتح عليه في أبواب الشفاعة والإصلاح بين الناس، فيفك أسيراً، ويحقن دماً، ويمنع باطلاً، ويحجز ظلماً، ويقيم حقاً، ويسعى في الإصلاح بين المتخاصمين، وهكذا..

قال معروف: "إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شراً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل"

العنصـــــر الـرابع : أنـــواع الفتح

1- فتح الإنعام ويكون للمؤمنين .
2- فتح الاستدراج ويكون على العصاة والكافرين .

أولا : فتح الإنعام :

المقصود به ما يفتحه الله على من يشاء من عباده من الحكمة والعلم والفقه في الدين، بحسب التقوى والإخلاص والصدق، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ(96) } [الأعراف].

ففتح الإنعام ثمرة من ثمرات التقوى فحينما يفتح الله على أمة من الأمم أو عبد من عباده لا يرزقهم بركة واحدة وإنما يرزقهم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ هكذا «بركات من السماء والأرض» مفتوحة بلا حساب، من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، بلا تحديد ولا تفصيل، فهي البركات بكل أنواعها وألوانها، وبكل صورها وأشكالها، ما يعهده الناس وما لا يخطر لهم ببال ، فالبركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وفي النفوس، وفي طيبات الحياة.. وليست مجرد وفرة مال وترف مع الشقاء والتردي والانحلال .

وللبركة سر لا ينتبه إليه الكثير منا ، لأن الناس دائماً ينظرون إلى ما رزقهم الله في أيديهم وينسون كم صرف الله عنهم من السوء .

كأن يمنحك الله العافية فلا تحتاج إلى أجر طبيب أو نفقة علاج ، فقبل أن تنظر كم صرف الله لك من رزق فانظر كم صرف الله عنك من السوء.

فقوله تعالي: { بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} أي أن يعطي سبحانه وتعالى قليل من الرزق الحلال مع بركة وعافية وراحة بال وسعادة .

ويرضي الله تعالي عن العبد فيفتح عليه بعمل صالح ويُوَفق للقيام به ثم يموت عليه فتكون حسن الخاتمة ،فعن أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ):{إذا أراد اللهُ بعبده خيرًا عسَّله قيل: وما عسله ؟ قال: يفتح اللهُ له عملًا صالحًا قبل موته، ثم يَقبضه عليه}

[رواه أحمد في المسند]. عسَّله : أي : [أي: طيب ثناءه فيهم]
وعن عُمَرَ الْجُمَعِيّ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: {إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: مَا اسْتَعْمَلَهُ ؟ قَالَ: يَهْدِيهِ اللَّهُ عز وجل إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَى ذَلِكَ } [مسند الإمام أحمد]
وعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَ (ﷺ) يقول:{إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» قِيلَ: وَمَا اسْتَعْمَلَهُ؟ قَالَ: «يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ} [مسند الإمام أحمد]

ثانيا : فتح الاستدراج :

وقد يفتح الله على بعض أهل المعاصي من الرزق ما يغترون به، ويكون سبباً في هلاكهم، وهذا من مكر الله بهم استدراجاً لهم إذا تركوا ما أمروا، ووقعوا فيما نهوا عنه، قال تعالى:{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)} [الأنعام].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: {إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج ، ثم تلا رسول الله (ﷺ) قول الله تعالي:{ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)} الأنعام.

فلنتأمل الآية وكيف انتقل القوم من حال إلى حال، باستدراج من الله ومكر، **أولاً:** نسوا ما ذكروا به ،(أعرضوا، عصوا، وعاندوا).
ثانيا :(فتحنا عليهم أبواب كل شيء) من صنوف النعم فظنوا أو توهموا أن الله راضٍ عنهم، فلماذا أعطاهم إذا كان ساخطاً عليهم؟ فجاء التلبيس من إبليس.
فلما غمرتهم النعمة (فرحوا بما أوتوا) عندما أتى العطاء من أبواب متعددة، باب كل شيء ،وهذه الخطوة الثالثة .
ثم تأتيهم الخطوة الرابعة (أخذناهم بغتة) فجأة، انتقم الله منهم،

وهم غافلون، فكان الوقع الأليم لهذا الانتقام (فإذا هم مبلسون).
الإبلاس: الحَيرَة واليأس، ومنه سُمِّيَ إبليس، لأنه أبلَسَ من رحمة الله: أي يَئسَ منها وتحيَّر. فمعنى مُبلِسون: أي نادمون ساكتون متحسّرون على ما فَرَطَ منهم.
وهذا ما حدث مع قارون ومن علي شاكلته آتاهم الله النعمة فلما اغتروا أهلكهم الله تعالي بها ، نعوذ بالله من ذلك .

العنصر الخامس: الآثار الإيمانية لاسم الله الفتاح

1ـ الله سبحانه وتعالى هو الحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة

يحكم بينهم بالقسط والعدل، يفتح بينهم في الدنيا بالحق بما أرْسَلَ من الرسل وأنزل من الكتب، وهذا يتضمن من الصفات كل ما لا يتم الحكم إلا به .
فطالما إنه يحكم بينهم، فهذا يتضمن أنه سبحانه وتعالى حكيم وعدل إلى غيره من الصفات التي تليق به سبحانه وتعالى.
وهذا يدل على الجزاء العدل على أعمال الجوارح والقلوب ،فهو عالم بأسرار الأمور وبواطنها سبحانه وتعالى، ويُجازي على معاصي القلوب كما يجازي على معاصي الجوارح.
وهو يختص بالفصل والقضاء بين عباده بالقِسط والعدل، والحاكم في الحقيقة هو الله جلَّ وعلا .. فالله جلَّ وعلا لا تخفى عليه خافية، وهو سبحانه لا يحتاج إلى شهود ليحكم بين خلقه وما كان غائبًا عما حدث في الدنيا .، يقول تعالى {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ(7)} [الأعراف].
ويقول جلَّ وعلا { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(61)} [يونس]

فكل خطراتك وسكناتك تُسجل، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يُحاسبك إلا على ما عملت بالفعل.

2ـ اطمئنان قلوب المؤمنين

اسم الله الفتاح يُطمئن قلوب عباد الله المؤمنين بأنه مهما طال ليل الظالم وكثر بغيه وظلمه للعباد، لا بد أن يفتح الله بين عباده المؤمنين وبين عباده الظالمين، وسيحكم سبحانه بحكمه القدري الكوني، فهو سبحانه من يحكم بين عباده بالحق والعدل، وقد توجهت الرسل إلى الله الفتاح سبحانه أن يفتح بينهم وبين أقوامهم المعاندين، فيما حصل بينهم من الخصومة والجدال.

فقال سيدنا نوح عليه السلام { فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) } [الشعراء]

فجاء الفتح بمعنى الفصل القدري بين جند الله وجند الشيطان، وبين عباد الله المؤمنين والمشركين، فأحق الله الحق وأبطل الباطل وإن أطال ليل الظالم.

وقيل: أي: اقض بيني وبينهم, ونجني من ذلك العذاب الذي تأتي به حكمًا بيني وبينهم والذين معي من أهل الإيمان بك والتصديق لي .

وقال سيدنا شعيب عليه السلام {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89)} [الأعراف] .

أي: احكم بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم {وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}، أي افصل بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم {وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}، أي: خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبدًا.

وجاء اسم الله «الفتاح» في هذه الآيات ليدلل على أن الله سيفتح بين المؤمنين وبين الكافرين، وكانت النتيجة لقوم شعيب عليه السلام قال تعالى:{ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (37)} العنكبوت.

فأخبر الله تعالى أنهم أخذتهم الرجفة، كما أرجفوا شعيبًا عليه السلام

وأصحابه، وتوعدوهم بالجلاء ، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): {إن الله سبحانه ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته} ثم قرأ قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ(103)} [هود].
فعقوبة الله للظالمين موجعة غليظة والعياذ بالله.
فاعلم بعد هذا أن الله سيجعل يومًا لهلاك الظالم الباغي، ولنصرة المؤمن، وهذا يدعو إلى الاطمئنان، وهو قول الأنبياء في قوله تعالى:{ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89)} [الأعراف] .
والله يقول:{وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15)}[إبراهيم] .
وقد استجاب الله سبحانه لرسله ولدعائهم، ففتح بينهم وبين أقوامهم بالحق، فنجى الرسل وأتباعهم وأهلك المعاندين المعرضين عن الإيمان بآيات الله، وهذا من الحكم بينهم في الحياة.
إذاً لو استقرّ هذا المعنى بقلبك، لو تعبدّت لله بهذا المعنى وأحببته بهذا المعنى واقتربت منه بهذا المعنى لكانت عزيمتك أقوى عزيمة في الوجود .. لكنت مطمئناً لأنك مع الفتَّاح سبحانه

3ـ معايشة يوم الفتح الحقيقي وهو يوم القيامة :

فإن الله سبحانه هو الفتاح الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا.
قال تعالى: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26)} [سبأ]
ففي يوم القيامة يقضي الله عز وجل ويفصل بين العباد، وهو سبحانه لا يحتاج إلى شهود ليفتح بين خلقه؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، وما كان سبحانه غائبًا عما حدث في الدنيا،
قال سبحانه {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ(7)} [الأعراف].

وقد سمى الله تعالى يوم القيامة بيوم الفتح .. لأنه يوم القضاء بين العباد، يقول تعالى {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ(29)} [السجدة].

والمراد بالفتح: هو القضاء والفصل يوم القيامة وسمي فتحاً؛ لأن الله تعالى يفتح فيه على المؤمنين.

4ـ التسليم المطلق لعالم الغيب والشهادة

فالله سبحانه وتعالى متفردٌ بعلم مفـاتح الغيـب ، قال تعالى{ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ...(59)} [الأنعام] .

وقد عددها في قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(34)} [لقمان] .

وهذه الآية تدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله عز وجل؛ وذلك لأن الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم خالقهم سبحانه، ولو كان لمخلوق أن يعلم الغيب لكان الرسل هم الأولى في هذا، ولكنهم بشر، ولذا يعود علم الغيب لخالقهم، ولا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله سبحانه وتعالى عليه قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27)} [الجن].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:{من زعم أن رسول الله(ﷺ) يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65)} [النمل] .

فأين إيماننا بأنه لا يعلم الغيب إلا الله؟! فإن مما يعتقده بعض العامة في السحرة والمشعوذين ضرب من ضروب الكفر بالله تعالي ، مما يجب التصدي لهم وتوعية هؤلاء العامة.

5ـ اليقين بأن النصر من عند الله تعالي

فهو سبحانه وتعالي الفتاح الذي يفتح على من يشـاء ويذل من

يشـــاء، وقد نسب الله تعالى الفتوح إلى نفسه؛ ليُنبه عبـــاده على طلب النصر والفتح منه لا من غيره ..
لذلك قال الله تعالى { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(1)} [الفتح] ، وقال جلَّ ثناؤه {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ..(52)} [المائدة]
وقال تعالى{وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13)} [الصف]
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: {إنكم منصورون، ومصيبون، ومفتوح لكم...}
إذًا، فليس علينا إلا أن نجتهد ونأخذ بالأسباب ، أما النصر فهو من عند الله سبحانه وتعالى.

6ـ الأنس بالله والإقبال عليه تعالي :ـ

يفتح الله لعبده باب الأنس به، والإقبال عليه ، كما يفتح له باب الرضوان، الرضا، فيشعر العبد بالسعادة الحقيقية في الدنيا مهما كان حاله بسيطاً ، فدائما ما يردد الحمد ، أما الإنسان صاحب المال والتجارات المحروم من الفتح تجده دائما يشكو الخالق إلي المحلوق والرزاق إلي المرزوق رغم الأموال الكثيرة التي تحت يده ، كل هذا لأن الله تعالي لم يفتح له باب الرضا ، والأنس به عز وجل .
وأيضا بسبب الحكمة والعلم والفقه في الدين من الأمور التي يفتحها الله على من يشاء من عباده، يقول الله عزَّ وجلَّ {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ..(282)} [البقرة].
ويقول جلَّ وعلا {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(22)} [الزمر]
يقول القرطبي "وهذا الفتح والشرح ليس له حد، وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ ، ففاز الأنبياء بالقسم الأعلى، ثم من بعدهم من الأولياء، ثم العلماء، ثم عوام المؤمنين ولم يُخيِّب الله منه سوى الكافرين"

العنصر السادس : الأسباب التي تستجلب الفتح

1- الدعاء باسم الله الفتـــاح

اللجوء إلى الله في الأمور كلها في الشدة والرخاء في السراء والضراء ، في طلب الرزق وفي طلب العلم ، وفي تيسير العسير ، وتفريج الكربات ، وطلب النصر ، فهو سبحانه الفتاح العليم .
ادع ربَّك الفـتاح أن يفتح عليك إذا انغلقت في وجهك الأسبـــاب والأمور ..
ومن الأدعيـــة الواردة في القرآن والسُّنَّة: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ .. عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ :{إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ ، فَلْيَقُلْ : أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ , اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتْحَهُ ، وَنَصْرَهُ ، وَنُورَهُ ، وَبَرَكَتَهُ ، وَهُدَاهُ , وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ ،وَشَرِّ مَا قَبْلَهُ ،وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ , ثُمَّ إِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ} [رواه أبو داود].
وعن أبي حميد (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال:{إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل اللهم افتح لي أبواب فضلك } [رواه مسلم] .
وأنت في المسجد أنت بحاجة إلى أبواب رحمة الله تفتح لك، وإذا خرجت من المسجد أنت بحاجة إلى أبواب الفضل..
أن تفتح لك ففي البيت، وفي الطريق، وفي العمل، وفي المستشفى، وفي المدرسة، وفي الجامعة، وفي الدكان، وفي الحقل الزراعي..
اسأله أن يفتح لك أبواب فضله... تُوَفَّق في زراعتك، تُوَفَّق في صناعتك، تُوَفَّق في تجارتك ، تُوَفَّق في وظيفتك، والأمثلة علي ذلك.
حال المسلمين في غزوة بدر الكبري ....
عدد المسلمين 314 ، وعدد الكفار 1000 ، عدد فرسان المسلمين 2 فقط ، وعدد فرسان الكفار 100 فرس، الموضوع غير متكافئ ، الموضوع مغلق، انظر إلى النبي ماذا يفعل؟!

يرفع يديه ويظل يدعو ويدعو ويدعو حتى يظهر بياض إبطيه ويسقط رداؤه {اللهم انجزني ما وعدتني} لدرجة أن سيدنا أبي بكر من خوفه على النبي يضع يديه علي كتفه (ﷺ) ويقول له: هون عليك، هون عليك يا رسول الله من كثرة إقبال وإلحاح النبي على الدعاء، ثم انظر إلى الآية ماذا تقول على الكافرين: قال تعالي {إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ...(19)} [الأنفال]

والنبي (ﷺ) يستبشر ويقف ويقول: الله أكبر أبشروا هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقود ألف من الملائكة يقاتلون معكم يوم بدر، ويأتي الفتح وينتصر المسلمون. أتعرف الذهاب للفتاح بهذا الشكل والتذلل له؟ أتعرف أن ترفع يديك وتخفض رأسك ذلاً للفتاح وتقول له: يا فتاح أتوسل إليك باسمك الفتاح أن تزيل مشكلتي؟

حكوا عن ابن تيميه أنه إذا استعصت عليه مشكلة علمية كان يخرج إلى الصحراء ويضع خده على التراب تذللاً للفتاح ويستغفر طويلاً، يقول: فوالله لا أعود إلا وقد فتح الله علىَّ المسألة.

2ـ العمل الصالح وصدق التوجه إلي الله تعالي

وخير شاهد علي هذا حديث الثلاثة الذين أغلقت عليهم المغارة ، حيث جلس أولئك النفر الثلاثة وقد ضمهم الليل الدامس في تلك المغارة المظلمة المغلقة التي لا ماء فيها ولا طعام ولا ضوء، صلتهم بالعالم الخارجي قد انقطعت، فلا مغيث ولا وسيلة من وسائل الاتصال ولا سبيل لإيصال خبرهم إلى خارج المغارة، وحتى لو صاحوا بأعلى أصواتهم، فلن تصل أصواتهم إلى أبعد من جدران الغار الذي يحيط بهم.

إنه موقف حرج، موقف عصيب.

لكنهم بعدما تشاورا فيما بينهم، أيقنوا أن المخرج الحق والطريقَ الذي يُرجى منه النجاة، هو طريق الالتجاء إلى الله وحده.

أيقنوا أنه لو أُغلقت جميع الأبواب، فالباب الذي بين الله وبين العباد يبقى مفتوحا ولن يُغلق أبدا، فتشبثوا به بأنجع وسيلة تُقضى بها

الحاجات، وتوسلوا في تضرعهم إلى من بيده تدابير الكون سبحانه، توسلوا بأرجى عمل صالح عمِلوه في غالب ظنهم، فكان بذلك الفرج من الله العلي القدير، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق (ﷺ) في معرض حديثه عن أصحاب الغار، الذي أخبر النبي صلي الله عليه وسلم قصته في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما " أن ثلاثة أواهم المبيت الي غار (أصابهم المطر فأواهم المبيت الي غار) فدخلوا فيه فنزلت صخرة من أعلي الجبل ممن يهبط من خشية الله فسدت عليهم فم الغار .. فلما سُدَّت عليهم قالوا أنه لن ينجيكم اليوم إلا أن تتوسلوا الي الله عز وجل بصالح أعملكم فلما أخلصوا في أعمال لهم بها فتح الله عز وجل ما أغلق عليهم بسبب هذه الصخرة ... فتوسل الأول ببره لوالديه واخلاصه في هذا البر ، وتوسل الثاني بأدائه لحق الأجير الذي أستأجره ، وتوسل الثالث بأنه عف عن المعصية لما قدر عليها ... فلما أخلصوا فتح الله عز وجل هذا الذي أستغلق عليهم

فهؤلاء الثلاثة: البار بوالديه، والمتعفف التارك للحرام، والذي أدى الأجير أو العامل حقه مع أنه تعَب عليه ولم يأخذ منه شيئا.

كل واحد من هؤلاء النفر الثلاثة، كان له موقع داخل المجتمع، فالأول يمثل علاقة الفرد مع محارمه وأقاربه، والثاني يمثل علاقة الفرد مع غير محارمه من بني مجتمعه، والثالث يمثل علاقة المسؤول وسلوكه العملي مع من هو تحت مسؤوليته.

3- دوام التوكُّل علي الله ..

التوكل علي الله تعالي واللجوء إليه، ودعاؤه والطلب منه، والركون إلى جنبه، قبل الأخذ بالأسباب، وأن تطلب منه وحده مفاتيـح الخيـر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله (ﷺ) قام على المنبر فقال {إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض}، وفي رواية {.. ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها} [صحيح البخاري]

فإن العبد إذا عقد أمله بالله، ولم يرج إلا الله، ولم يدع غيره، ولم يثق إلا به، ولم يتوجه إلا إليه، فتح الله عليه ما أغلق من الأبواب، وما استعصى من المسالك، وهذا الصدق في قلب العبد هو السبب في توفيق الرب سبحانه وتعالى، فإذا ركن العبد إلى ربه، فتح عليه من رحمته، وسكون قلبه، وطمأنينة نفسه، حتى لو كان مسجوناً مأسوراً في جب عميق قال تعالي{فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا(16)} [الكهف].

قال شيخ الإسلام، وهو في حبسه بالإسكندرية: {إني والله العظيم في نعم من الله ما رأيت مثلها في عمري كله، وقد فتح الله سبحانه من أبواب فضله ونعمته، وخزائن جوده ورحمته، ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال}.

والفتاح يحب أن نتعامل مع سننه في الكون ونأخذ بالأسباب ، فالجوارح تعمل وقلوبنا متعلقة به تنتظر فتحه ونصره سبحانه وتعالى ، وقد يؤخر الله علينا الفتح ليختبر ثقتنا به ؛ لنقف على الباب طويلاً؛ لنبقى بين يديه طويلاً نسأله ونرجوه ونبتهل إليه .

وفي هذا المعنى يقول أحد العلماء: لا تسأم من الوقوف على بابه ولو طردت، ولا تقطع الاعتذار ولو رددت، فإذا فتح الباب للمقبولين فادخل دخول المتطفلين، وقل له مسكين فتصدق علي، فإنما الصدقات للفقراء والمساكين وأنا فقير ومسكين.

ويقول الفضيل بن عياض: تعلمت الرجاء في الله من طفل صغير!! قالوا كيف ذلك ؟!!

قال: كنت في طريقي إلى المسجد ، فإذا بأم تفتح باب بيتها وتلقى منه طفلا صغيرا وأُغلق الباب، وبعدها وقف الصغير على الباب يبكي ويستعطف ويرجو ، فرقت له أمه ففتحت له وضمته إليها.

فقلت سبحان الله، هذا طفل وقف بباب أمه يبكي ويستعتب (يعتذر) ففتحت له ولو وقف العبد بباب ربه يبكى ويستعتب لفتح له.....فسبحان الله .

4ـ كن مفتاحًا للخير مغلاقاً للشر

كن مفتاحـًا للخير ، ارفع للخير راية ، يقول النبي (ﷺ) {إن هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبدٍ جعله الله عزَّ وجلَّ مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويلٌ لعبدٍ جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير} [رواه ابن ماجه وحسنه الألباني]

فعليك أن تكون مباركـًا حيثما كنت، وتظل طوال الوقت تُفكِّر في أفكـار وطرق لهداية النــاس من حولك وتفتيح أبواب الخير أمامهم. فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعينهم بهمه، ويجدون عنده دائمًا الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا، وهكذا كان قلب رسول الله (ﷺ) وأصحابه والصالحين.

انظروا إلى الشهم الكريم نبي الله موسى عليه والسلام حين فرَّ هاربًا من بطش فرعون وقد أصابه الإعياء والتعب، فلما ورد ماء مدين ووجد الناس يسقون وجد امرأتين قد تنحيتا جانبًا تنتظران أن يفرغ الرجال حتى تسقيا، فلما عرف حاجتيهما لم ينتظر منهما الطلب، بل تقدَّم بنفسه وسقى لهما {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)} [القصص].

ففتح الله له الأبواب وحفظه من كيد الأعداء ومنحه الرسالة عليه السلام .

وهذا نموذج آخر كان مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر وهو ذو القرنين كان يعيش في مجتمع عم فيه الفساد والمفسدين فجاء أهل بلدته وقالوا له {قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ

رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98)} [الكهف] .

فحدد حل مشكلة هذا المجتمع (سدًّا)، لكنهم اخطأوا الوسيلة فقد أرادوها من خارج جهودهم وجهادهم فقالوا ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ لكنه طلب منهم قوتهم العملية {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} ،وهكذا طلب ذو القرنين من هذا المجتمع بذل الجهود وتوظيف الطاقات لتحقيق الهدف المنشود {آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96)} [الكهف].

هكذا تفاعل ذو القرنين مع المجتمع فقاموا جميعًا بعمل مشترك، ولم يقم ذو القرنين بالعمل وحده نيابة عن المجتمع، إلا أنه كان مقصد الناس، وكان قديرًا لقضاء حاجة الناس ومشرفًا عليها فحقا كان مفتاحاَ للخير مغلاقاَ للشر

إذا فتح الله عز وجل لك باب خير فلا تغلقه علي الناس ولا تحجبها عنهم ،لأن الذي فتحها لك إنما هو الفتاح العليم سبحانه وتعالي .

5- اتباع النبي(ﷺ)

وهي أعظم المفاتيح للخير والرزق، كما يقول النبي (ﷺ) {ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ..}

وفي رواية: {أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فُتِحَت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء} [رواه مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) {ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصًا، إلا فُتِحَت له أبواب السماء حتى تفضي إلى

العرش ما أجتنب الكبائر}[رواه الترمذي وحسنه الألباني].
فاتباع النبي (ﷺ) يفتح عليك في أمور الدين وهو العلم، ويفتح عليك في أمور الدنيا، ربما تكون فقيراً فيغنيك، تكون ضعيفاً فيقويك، تكون مظلوماً فينصرك على أعدائك، تكون مكروباً فيزيل هذه الكربة ويحل محلها الفرحة، لذلك فالإنسان إذا كان بعيداً عن الله عز وجل لا يمكن أن يسعد.
سل أهل الدنيا، سل من أوتي قوةً لا حدود لها، من أوتي مالاً لا حدود له، سلوهم، قد يقولون نحن أشقى الناس قال الله تعالى:{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)} [طه]
وأخيرا نصل إلى أن الفتاح اسمٌ عظيمٌ مِن أسماء الله تعالى، وهو الذي يَفتح بين عباده ويَحكم بينهم بشرْعه، ويَفْتحُ لعباده أبوابَ الخيرات والبركات، وينبغي للمؤمن دائماً أن يسأل ربَّه بهذا الاسم العظيم، فلو أُغلقت الأبواب بوجهك ، وقال لك الناس جميعاً لن تصل لمرادك فلا تُعرِهم اهتماماً لأن ربّكَ الفتَّاح!!
فإذا ضاقت عليك الطُرُق وضاقت عليك الأرض بما رَحُبَت، فالجأ إلى ربِّك الفتاح ،يفتح لك كل عسير، وييسر لك أمرك ..
تذلل إليه، وابكي بين يديه ، وقُل : لا يملك تدبير أمري إلا انتَ يا فتّاح افتح بوجهي كل ما أغلق من أبواب هدايةٍ ورزقٍ وتيسير .
يا أصحاب الأمراض الشديدة ، والحاجات الثقيلة ،والأدوية المُرّة " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمسك لها "
فنسألك يا فتَّاح افتحْ علينا بالعِلم، و يا فتَّاح افتحْ لنا أبوابَ رحمتك، و يا فتَّاح افتحْ لنا أبواب رزقك.
آمين يا رب العالمين

الفصل الثاني

المعايشة الإيمانية لاسم الله الرزاق

ويحتوي على خمسة عناصر..

العنصر الأول :الرزاق في القرآن والسنة.

العنصر الثاني: من معاني الرزاق.

العنصر الثالث :الحقائق الإيمانية لقضية الرزق.

العنصر الرابع : الأسباب التي تستجلب الرزق.

العنصر الخامس : آثار الإيمان باسم الله الرزاق .

العنصر الأول : الرزاق في القرآن الكريم والسنة النبوية

ورد اسم الله الرزاق مفردًا مرة واحدة في قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)} [الذاريات]
وورد بصيغة الجمع خمس مرات منها قول الله تعالى{وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(114)} [المائدة] .
وقال تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(11)} [الجمعة] .
وقال تعالي { قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(39)} [سبأ]
وورد قول النبي (ﷺ) لإثبات هذا الاسم في الحديث أنه قال: {إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق} [صححه الألباني].

العنصر الثاني : من معاني الرزاق

الرَّزَّاقُ في اللغة مِنْ صيغِ المبالغةِ على وزن فعَّال منِ اسم الفاعل الرازِق، فعلُه رَزَقَ يَرْزقُ رِزْقًا، والمصدر الرِّزْقُ وهو ما يُنتفعُ به والجمع أرزاق.
وحقيقةُ الرِّزْقِ هو العطاءُ المتجدّدُ الذي يأخذُهُ صاحبُه في كلِّ تقديرٍ يوميٍّ أو سَنويٍّ أو عُمُريٍّ فينال ما قُسِم له في التقديرِ الأزلي والميثاقي.
وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ(3)} [فاطر].
فالله سبحانه قَدَّرَ خلْقَهم ورِزْقَهُم معًا قبلَ وجودِهم، وكتبَ أرزاقَهُمْ فِي الدُّنيا والآخرةِ قبل إنشائِهم، فالرّزقُ وصفٌ عامٌّ يتعلقُ بعمومِ الكونِ فِي عالمِ الملكِ والملكوتِ.

وقال ابنُ تيميةَ: "والرِّزق اسمٌ لكل ما يَغتذِى به الإنسانُ، وذلك يعمُّ رزقَ الدُّنيا ورزقَ الآخِرَةِ، فلا بُدَّ لكل مخلوقٍ من الرِّزقِ، قال اللهُ تعالى:{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)}[هود].

وقال ابن جرير: هو المتكفل بأقواتهم قال تعالي{وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ(80)} [الشعراء]

وقال القرطبيُّ: "والفَرْق بين القُوتِ والرِّزق، أَنَّ القُوتَ ما به قَوامُ البنْيةِ مما يُؤكلُ ويَقعُ به الاغتذاءُ.

والرِّزقُ كلُّ ما يَدْخُل تحت مِلْكِ العبدِ: مما يُؤكلُ ومما لا يُؤكلُ، وهو مراتبُ أعلاها ما يُغذي.

وقد حَصَر رسولُ الله (ﷺ):وجوهَ الانتفاعِ في الرِّزق في قوله (ﷺ): {يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ}[رواه مسلم].

وفي معنى اللِّباسِ يَدخُلُ المركوبُ وغيرُ ذلك مما يَنْتَفعُ به الإنسانُ، والقوتُ رِزْقٌ مخصوصٌ، وهو المضمونُ من الرِّزقِ الذي لا يَقطعُه عجزٌ، ولا يجلبُه كيْسٌ، فلا ينقطعُ هذا الرزقُ إلا بانقطاعِ الحياةِ"

قال الخطابي: "هو المُتكفِّلُ بالرِّزقِ، والقائمُ على كلِّ نفسٍ بما يُقيمُها مِنْ قُوتِها، وَسِعَ الخَلْقَ كلَّهم رزقُهُ ورحمتُهُ، فلم يختصَّ بذلك مؤمنًا دون كافرٍ، ولا وليًّا دُونَ عدُوٍّ.

فالرَّزَّاقُ سبحانه هو الذي يتولى تنفيذَ العطاء الذي قدَّرَهُ لأرزاقِ الخلائق لحظةً بلحظةٍ فهو كثيرُ الإنفاقِ، وهو المُفيضُ بالأرزاق رِزْقًا بعد رزقٍ، مبالغةً في الإرْزاقِ وما يتعلَّقُ بقسْمَةِ الأرزاق وترتيبِ أسبابها في المخلوقاتِ.

الفرق بين اسم الله الرازق واسم الله الرزاق !!

الرازق سبحانه هو الذي يرزق الخلائق أجمعين وهو الذي قدر أرزاقهم قبل خلق العالمين وهو الذي تكفل باستكمالها ولو بعد حين

فلن تموت نفس إلا باستكمال رزقها .
إذن فالرازقُ فيه معنى الرزق المطلق، فهو يفيد ثبوت صفة الرزق لله عز وجل.
أما الرزَّاق فتفيد التكثير، أنه يرزق رزقا بعد رزق.

سُئل احد السلف: لما سمي الله خير الرّازقين؟

فأجاب: لأنه إذا كفر به عبده لم يقطع رزقه عنه، وهو كافر به.
سبحان الله عطائه ورزقه مستمر حتى لمن يكفر به ويعطيه نعيمه في الدنيا، بعكس ابن آدم لو كان الرزق بيده لقطعه إذا لم يرق مزاجه له أو كرهه أو إذا نسيه والله سبحانه وتعالى لا يغفل ولا ينسى ولا تأخذه سِنة (وهي غفوه صغيره) عن الخلق فأمور الكون كلها بيده سبحانه وتعالي.
روي عن نبي الله سليمان عليه السلام أنه رأى نملة تجر حبة قمح وبجهد إلى بيتها فقال لها سليمان عليه السلام: كم يكفيكِ من حبوب القمح لمدة سنة ؟ قالت النملة: حبيتن .
قال سليمان عليه السلام: سوف أضعك في صندوق وأجعل لك حبتين لمدة سنة بدل بحثك عن حبوب القمح، وأغلق عليها الصندوق وجعل لها حبتين وجاء لها بعد سنة فوجد النملة أكلت حبة وتركت الحبة الثانية فاستغرب وغضب نبي الله سليمان عليه السلام وقال للنملة: لماذا تكذبين علي؟
تقولين تكفيني حبتين في السنة وأنتِ خلال سنة أكلتي حبة واحده فقط، قالت النملة: كانت تكفيني حبتين وكان الله لا ينساني ويرزقني، أما عندما أقفلت علي الصندوق ولم استطع أن أخرج فأكلت حبة وادخرت حبة ثانية لأعيش بها قدر المستطاع حتى لا أموت، وخشيت أن تنساني.

العنصر الثالث : الحقائق الإيمانية لقضية الرزق

لقد وضع الله تعالي سننا وقوانينا تحكم حياة الناس، وتنظم حركة الكون ، وهناك قوانين تخص قضية الرزق والتي تجعل الإنسان منضبطا ومنسجما ومنتظما مع الكون ،وهذه القوانين تسمي حقائق إيمانية ....فمن هذه الحقائق ..

الحقيقة الأولي : الرزق مكتوب ومضمون ومحدد

فالرزقُ مكتوبٌ في السماءِ وهو وَعْدُ اللهِ وحُكمُه في القضاءِ قبل أن يكونَ واقعًا مقدورًا في
الأرضِ. وهو سبحانه وتعالي يتولى تنفيذَ المقدَّرِ في عطاءِ الرّزْقِ المَقسومِ، والذي يخرجُه في السماواتِ والأرضِ، فإخراجُه في السماواتِ يعني: أنه مقضيٌّ مكتوبٌ، وإخراجه في الأرض يعني أنه سَينفُذُ لا محالةَ؛ ولذلك قال الله تعالى في شأن الهدهد الموحد ومخاطبته سيدنا سليمان عليه السلام قال تعالي{أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25)} [النمل] الخبء: أي الشيء الخفي المخبوء.

فهنا أدرك الهدهد أن الرزق مكتوبٌ في السماء قبل أن يكون واقعًا مقدرًا في الأرض.

قال تعالي {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (13)} [غافر] .

ويقول تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23) } [الذاريات].

وحول هذه الآيات قصة عجيبة مع الأصمعي رحمه الله تعالي ..

روى البيهقي في شُعب الإيمان وأورد ابن قدامة في كتابه (التوابين) عن الأصمعي قال: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلد سيفه وبيده قوس، فدنا وسلم وقال لي: ممن الرجل؟

قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي؟
قلت: نعم، قال: ومن أين أقبلت؟
قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟
قلت: نعم، قال: اتلُ علي شيئاً منه، فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل وابتدأت بسورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} .
قال: يا أصمعي هذا كلام الرحمن؟!
قلت: إي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه أنزله على نبيه محمد (ﷺ)، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعني على تفريقها، ففرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرحل، وولى مدبراً نحو البادية، وهو يقول:
(وفي السماء رزقكم وما توعدون) فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مِصْفَاراً! فسلم علي وأخذ بيدي وأجلسني من وراء المقام وقال لي: اتل كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات فلما انتهيت إلى قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال: وهل غير هذا؟
قلت: نعم يقول الله عز وجل: {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23) } [الذاريات].
فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله من الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين؟!
قالها ثلاثاً وخرجت فيها روحه.
فالرزق أولا مكتوب في اللوح المحفوظ ثم بعد ذلك ينزل في السموات لتعرفه الملائكة وتنزل به إلى صاحب الرزق في الأرض فينفذ على

صاحبه.
فالرزق معلوم ومحدد عند الله تعالي ، قال تعالي{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)} [الحجر] .
فالرزق يسوقُه اله تعالي إلى الضَّعيفِ الذي لا حيلة له، ولا مُتَكَسَّبَ فيه، كما يسوقُه إلى الجَلْدِ القويّ ذي المِرَّةِ السَّويّ، قال سُبْحانَهُ:
{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ(60)}[العنكبوت].
وقد أكد النبي (ﷺ) أن الرزق مكتوب ومضمون ومحدد ، فعن أبي عبدالرحمن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق:{إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلماتٍ: بكَتْبِ رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيدٌ، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها} [رواه البخاري ومسلم].
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبيَّ (ﷺ) قال: {كَتب اللهُ مقاديرَ الخلائق قبل أن يَخلق السماواتِ والأرضَ بخمسين ألف سَنة قال: وعرشه على الماء}[مسلم].
وبين أيضا أنه ما كُتب للعبد مِن رِزق وأجل ،لا بد أن يستكمله قبل أن يموت؛ عن جابر رضي الله عنه؛ أن النبي (ﷺ) قال: {لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ المَوْتِ، لأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كما يُدْرِكُهُ المَوْتُ}[حلية الأولياء وصححه الألباني].

الحقيقة الثانية : الرزق مقسوم وفق حكمته سبحانه وتعالي

الأرزاقُ مقسُومةٌ وفق حكمته تعالي، ولَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَو يُؤخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ.

فعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه؛ أنه قال: "قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النبيِّ (ﷺ): اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ الله (ﷺ) ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ النبيُّ (ﷺ): { سَأَلْتِ اللهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَة، وأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَّابٍ في النَّارِ أَوْ عَذَابٍ في الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وأَفْضَلَ} [رواه مسلم]

وقد قسم الله الأرزاق علي عباده بالعدل حسب حكمته تعالي، وتفضل عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى، ثم فاوت بينهم في الرزق ، فمثلاً الأستاذ في الجامعة نصابه ثلاث ساعات، ومعلم ابتدائي بقرية كاد يُسحق من الفقر والقهر والجهد والاثنين تابعون إلى مؤسسة واحدة ؛ هذا أستاذ جامعة وهذا معلم ابتدائي .

وأيضا في مجال الطب هذا أكبر جراح في العالم دخله اليومي بمئات الألوف؛ وهذا ممرض يومي في مستشفى معاشه لا يكفيه يومين؛ كلاهما يعمل في حقل الطب.

وأيضا في مجال التجارة ، نجد بائع متجول يقضي يومه تحت حر الشمس أو برودة الجو ، ويرجع إلي بيته آخر النهار بجنيهات معدودة، وفي نفس المجال نجد أكبر مستورد كل صفقة عنده بخمس ستة ملايين أرباحها؛ كلاهما يعمل في حقل التجارة .

ونجد أيضا : امرأة جميلة جداً وامرأة دميمة جداً هذه يأتيها آلاف الخطاب وهذه لا يطرق بابها أحد.

يوجد تفاوت في الجمال والمال وتفاوت في الذكاء، تفاوت في العمر، تفاوت في الغنى، طفل يولد ابن ملك ،الدنيا كلها له وطفل لا يأكل قطعة لحم ولا يجد شيئا، بل يخرج للعمل الشاق وهو في طفولته .

قال تعالي {كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)} [الإسراء].

وهذا التفاوت لحكم عظيمة، جهلها كثير ممن لم تتنور بصائرهم بنور الوحي، ومن هذه الحكم ما يلي:

أولاً: لو كان الناس على مستوى واحد في رزقهم وإمكاناتهم لما قامت الحياة ،ولتعطلت كثير من الأعمال، وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الحكمة بقوله تعالى{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)} [الزخرف] .

قال السدي وابن زيد: يسخر الأغنياء الفقراء فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض.

ثانياً: الابتلاء والاختبار، ليظهر الشاكر من الكافر، والصادق من الكاذب، فالغني مبتلى بالغنى، والفقير مبتلى بالفقر.

أما الغني فهل يؤدي شكر نعمة الله عليه وينفق المال وفق أمر الله له؟ وأما الفقير فهل يصبر ويحمد الله على ما هو فيه دون حسد لغيره وتضجر من قدر الله وحكمته؟ وبذلك ترفع درجتهما إن صبرا، ويعذب من سخط منهما ولم يرض بقسمة الله.

ثالثاً: أن الله تعالى يعطي ويمنع بما يصلح عباده، قال تعالى:{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ(27)} [الشورى].

وقد استشهد الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية بالحديث الذي أخرجه الطبراني والديلمي في الفردوس وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس وعمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: {أتاني جبريل، فقال: يا محمد، ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح

إيمانه إلا القلة ولو أغنيته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو أصححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لكفر}.

الحقيقة الثالثة : الرزق مكفول فلم الهم؟

هناك أصل مهم من أصول الإيمان وهو أن يعلم الجميع أن رزق الله تعالى الذي قدره لا يفوت العبد، بل لا بد من تحصيله، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : رسول الله (ﷺ):{ إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعِي ، أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها ، وتستوعِبَ رزقَها ، فاتَّقوا اللهَ ، وأجمِلُوا في الطَّلَبِ ، ولا يَحمِلَنَّ أحدَكم استبطاءُ الرِّزقِ أن يطلُبَه بمَعصيةِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ تعالى لا يُنالُ ما عندَه إلَّا بِطاعَتِهِ }[صحيح الجامع].

فلو أن الناس عملوا بذلك وآمنوا به لما كان هناك سرقة ولا نهب، ولا غصب ولا اختلاس، ولا تحايل على قضية الرزق، فما قدر الله تعالى لعباده آتٍ لا محالة، وما لم يقدر فلن يستطيعَه العبدُ ولو بذل في سبيل ذلك الدنيا وما فيها.

لذلك نهي الله تعالي أولئك الذين يقتلون أولادهم بغير حق لا لشيء إلا الخوف أن يأكلوا من طعامهم فيقللوا عليهم أرزاقهم، فقال سبحانه وتعالي: { وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً (31)} [الإسراء].

ويحكي أنه جلس إبراهيم بن ادهم رحمه الله يوما ووضع بين يديه بعضا من قطع اللحم المشوي فجاءت قطة فخطفت قطعة من اللحم وهربت، فقام وراءها وأخذ يراقبها فوجد القطة قد وضعت قطعة اللحم في مكان مهجور أمام جحر في باطن الأرض وانصرفت فازداد عجبه وظل يراقب الموقف باهتمام وفجأة خرج ثعبان أعمى ، يخرج من الجحر في باطن الأرض ويجر قطعة اللحم إلى داخل الجحر مرة

أخرى، فرفع الرجل رأسه إلى السماء وقال سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضا.
ورأى إبراهيم بن أدهم رجلا مهموماً: فقال له: أيها الرجل إني أسألك عن ثلاث تجيبني قال الرجل: نعم. فقال له إبراهيم: هل يجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟ قال: لا.
قال إبراهيم: أينقص من رزقك شيء قدره الله لك؟ قال: لا.
قال إبراهيم: أينقص من أجلك لحظة كتبها الله في الحياة؟ قال: لا .
فقال له إبراهيم: فعلام الهم إذن؟
ولذا قال ابن عطاء الله السكندري : إياك والهم بعد التدبير فما قام به غيرك عنك لا تنشغل به أنت.
فينبغي علي الإنسان أن لا يهتم للشيء أكثر مما ينبغي.

الحقيقة الرابعة: الأصل في الرزق أنه لا يأتي وحده ولكن يُسعي إليه

إن الله تعالي جعل من السنن الكونية ، الأخذ بالأسباب ،وطلب الرزق من عند الله سبحانه وتعالى بأسبابه المباحة قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17)} [العنكبوت].
قال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ۚ (198)} [البقرة] .
أي أن تطلبوا الرزق والفضل من الله سبحانه وتعالى، فعلى المسلم أن يجدَّ ويجتهد في طلب الرزق ليغني نفسه عن الناس وليغني من تلزمه نفقته، وليتصدق ولينفق في وجوه الخير إذا رزقه الله مالاً فنعم المال الطيب للرجل الطيب، ووجوه طلب الرزق كثيرة والحمد لله وميسرة:
ومنها: البيع والشراء والمتاجرات والمؤجرات في حدود ما شرع الله سبحانه وتعالى، فالتجارة النزيهة هي خير المكاسب، والحمد لله الأصل في المعاملات الحلّ والإباحة إلا ما دل الدليل على تحريمه:

قال تعالي { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۚ (29)} [النساء].

فالتجارة هي خير المكاسب بأن يبيع الإنسان ويشتري طلباً للربح، وكذلك من وجوه الكسب المباحة أن يتعلم الإنسان المهن والحرف التي يكتسب من وراءها من الصناعة وغير ذلك من المهن التي يستفيد منها أموال مباحة ، وكان نبي الله داوود عليه السلام يصنع الدروع ويبيعها ويأكل من ثمنها ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، يقول النبي ﷺ: {ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده عليه الصلاة والسلام. }.

إن أطيب ما يأكل المؤمن من كسب يده، وإن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده مع أنه نبي ومَلِك لكنه لا يأكل إلا من كده ومن عمل يده فكذلك المؤمن يطلب الحرف والصناعات والمهارات التي يعيش من وراءها ويستغني من مردودها، فيتعلم ما يدر عليه من الرزق مما أباح الله سبحانه وتعالى، يتعلم الهندسة، يتعلم الطب، يتعلم الحدادة ،يتعلم كل ما فيه نفعٌ وفيه مردود حلال ليحصل على الرزق، وكذلك من وجوه الاكتساب الاحتراف ،والكد باليد .

ولقد قطع الإسلام كل الطرق أمام المتسول والبطال حتي لا يركن لشيء مثل أن يركن بحجة العبادة ، أو يركن معتمدا علي مال الزكاة .

فعن أنس رضي الله عنه { أنَّ رجلاً من الأنصار أتى النبي (ﷺ) يسأله فقال صلَّى الله عليه وسلَّم أَمَا في بيتك شيء؟ قال الرَّجل: بلى، حِلْسٌ[كساء يلبس، ويفرش على الأرض، ويجلس عليه.] نلبس بعضَه، ونبسط بعضه، وقَعْبٌ[الإناء] نشربُ فيه من الماء، قال (ﷺ) (ائتني بهما) ، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله (ﷺ) بيده، وقال: مَن يشتري هذين؟، فقال رجل: أنا آخذهما بدِرهم، قال (ﷺ) مَن يَزيد على درهم؟ مرَّتين أو ثلاثًا، قال رجل: أنا آخذهما بدِرهمين،

فأعطاهما إيَّاه وأخذ الدِّرهمين، وأعطاهما الأنصاريَّ، وقال: (اشترِ بأحدهما طعامًا، فانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخر قَدُومًا فأتِني به).
فأتاه به، فشدَّ فيه رسولُ (ﷺ) عودًا بيده، ثم قال له: (اذهبْ فاحتطب وبِعْ، ولا أرينَّك خمسةَ عشرَ يومًا) ، فذهَبَ الرجل يحتطبُ ويبيع، فجاء وقد أصاب عَشرةَ دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا، فقال رسول الله (ﷺ) هذا خيرٌ لك مِن أن تجيءَ المسألةُ نُكتةً في وجهك يومَ القيامة؛ إنَّ المسألة لا تصلح إلاَّ لثلاثة: لذي فَقر مُدقِع، أو لذي غُرْم مُفظِع، أو لذي دمٍ مُوجِع}.
[رواه أبو داود برقم ، واللفظ له، ، وابن ماجه ، والنسائي ، وأحمد] .
وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قال عليه الصلاة والسلام: {لأنْ يأخذَ أحدُكم حبلَهُ على ظهْرِهِ فيأتي بحزمةٍ منَ الحطبِ فيبيعُها فيكُفَّ اللهُ بها وجهَهُ خيرٌ مِنْ أنْ يسألَ الناسَ أعطوْهُ أوْ منعوهُ}
.[صحيح البخاري]
ولقد رأى الفاروقُ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قومًا قابعين في رُكن المسجد بعدَ صلاة الجمعة، فسألهم: من أنتم؟
قالوا: نحن المُتوَكِّلون على الله، فعَلاهم عمر رضي الله عنه بدِرَّته ونَهَرَهم، وقال: لا يَقعُدنَّ أحدُكم عن طلب الرزق
،ويقول: اللهم ارزقني، وقد علِمَ أن السماءَ لا تُمطِرُ ذهبًا ولا فضّة، وإن الله يقول:{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)} [الجمعة].
وروى ابن أبي الدنيا في "التوكل" بسنده عن معاوية بن قرة، أن عمر بن الخطاب، لقي ناسا من أهل اليمن، فقال : من أنتم؟ قالوا : نحن المتوكلون. قال : بل أنتم المتكلون، إنما « المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض، ويتوكل على الله ».
وكان سفيانُ الثوريّ رحمه الله يمُرُّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: فما نصنَع؟!
قال: اطلُبوا من فضلِ الله، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.

ويُروى عن" شقيق البلخي" وهو من أهل العبادة والزهد أنه ودَّع أستاذه " الشيخ إبراهيم بن أدهم" لسفره في تجارة عزم عليها.
وأثناء سيره في الطريق رأى طائراً أعمى كسير الجناح، فوقف يتأمل الطائر ويفكر كيف يجد رزقه في هذا المكان المنقطع.
فلم يمضِ وقت طويل حتى جاء طائر آخر فأطعم الطائر كسير الجناح. تعجب شقيق من هذا المشهد وأثر فيه ،فقال في نفسه: إذا كان الله تعالى يرزق هذا الطائر من غير حول منه ولا قوة ولم يهمله فلماذا أذهب إلى التجارة و لماذا العناء و السفر وأنا في هذا السن؟! سأرجع وحتماً سيرزقني الله ، وفعلاً عاد إلى بيته ولم يكمل السفر ،وحين وصل زار شيخه فقال له الشيخ : لماذا عدت يا شقيق.. ألم تذهب للتجارة ؟
فقص عليه القصة بأنه رأى في طريقه طائرا أعمى وكسيح و أخذ يفكر كيف يأكل هذا الطائر ويشرب؟
وبعد قليل جاء طائر آخر يحمل حباً وأطعم الطائر الأعمى ثم سقاه، فقلت طالما ربنا عز وجل رزق الطائر الأعمى الكسيح سأرجع إلى بيتي وسط أولادي وارجع لأهلي وبلدي وربي سيرزقني.
هنا قال له الشيخ إبراهيم: سبحان الله يا شقيق! ولماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى العاجز الذي ينتظر عون غيره ولا تكن أنت الطائر الآخر الذي يسعى ويكدح ويعود بثمرة ذلك على من حوله ؟!
أما علمت أن النبي (ﷺ) قال: (اليد العليا خير من اليد السفلى) .
انتبهَ شقيق إلى خطأه فقَبل يد الشيخ وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق، ثم تركه ليذهب مجدداً لطلب الرزق.
فالمؤمنين ليسوا عالة على غيرهم تشغلهم عبادتهم عن العمل والكسب ، وليسوا طلاب دنيا وعبيد مال تحجزهم مصالحهم وتلهيهم تجارتهم عن أداء حقوق الله تعالى قال تعالي { ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك}القصص.
ودخل عبد الله بن عمر رضي الله عنه السوق ، فأقيمت الصلاة فأغلق

التجار حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال : فيهم نزلت : {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .. } .[النور]
وقال مطرف الوراق : " كانوا يبيعون ويشترون ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة ".
وأيضا لم يجعل النبي (ﷺ) لمتبطل كسول حقا في الصدقات ، فيحكي أنه جاء رجلان إلى النبي (ﷺ) يسألانه من الزكاة فنظر إليهما فوجد أنهما قويان فقال عليه الصلاة والسلام: إن شئتما أعطيتكما غير أنه لا حظ فيها لغني ولا لذي مرة قوي ، لا حظ فيها لغني (يعني الزكاة) ولا حظ فيها لذي مرة (يعني قوة) لذي مرة قوي لأن الأول غنيٌ بماله والثاني غنيٌ بقوته.
فقال رسول الله (ﷺ):" لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي" أخرجه أبو داود والترمذي.
فالإسلام الحنيف ليس فيه عطالة ، فالإسلام دين الجد والاجتهاد ، حيث يأمرنا بالضرب في الأرض ، قال تعالي (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ) يعني يسافرون (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) يطلبون الرزق.

الحقيقة الخامسة
الرزق ليس مقصورا علي المال والأعراض المادية

الكثير من الناس ينظرون إلى الرزق نظرة ضيقة قاصرة فهم يتصورون أنه المال فحسب!! كلا !
فالرزق ليس هو المال فقط ، ورِزْقُ الله لعبادِهِ نوعانِ:
1- رزقٌ عامٌّ شملَ البرَّ والفاجِرَ، والأولينَ والآخرينَ؛ وهو رِزْقُ الأبدان.
2- ورزقٌ خاصٌّ؛ وهو (رِزْقُ) القلوبِ، وتغذيتُها بالعِلمِ والإيمانِ.
وقال ابن منظور في لسان العرب الرزق: هو ما تقوم به حياة كل كائن حي مادي كان أو معنوي.

فالإيمان رزق ،وحب النبي رزق ،وحب الصحابة رزق ،والعلم رزق ،والخُلقُ رزق ،والزوجة الصالحة رزق، والحب في الله رزق ، والمال رزق ، وما أنت فيه الآن رزق، وصيامك للنهار رزق ، وقيامك الليل رزق ، إلى غير ذلك.....
والرّزاق بكل هذه الأرزاق هو الله سبحانه وتعالي ..
جاء رجل إلى يونس بن عبيد رحمه الله: فشكى إليه ضيقاً من حاله ومعاشه واغتمامه بذلك.
فقال: أيسرك أن تفقد بصرك بمائة ألف؟ قال: لا.
قال: فبسمعك؟ قال: لا.
قال: فبلسانك؟ قال: لا.
قال: فبعقلك؟ قال: لا.
وذكره نعم الله عليه، ثم قال يونس: أرى أن عندك مئات الآلاف وأنت تشكو الحاجة؟!.
ومن أعظم الرزق في الدنيا رزق الأخلاق، يقول النبي (ﷺ): {إن الله قسم بينكُم أخلاقكُم كما قسم بينكُم أرزاقكُم وإن الله عز وجل يعُطى الدنيا من يُحب ومن لا يُحب ولا يُعطى الإيمان إلا من أحب}
[صححه الألباني]
وأعظمُ رزقٍ يَرْزُقُ اللهُ به عِبادَهُ هو (الجَنَّةُ) التي أَعدَّها اللهُ لعبادِهِ الصالحين، وخلق فيها ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذنٌ سمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ.
وكلُّ رزقٍ يَعِدُ اللهُ به عبادَهُ الصالحين فِي القرآن فغالبًا ما يُراد به الجَنَّةُ كقولِه تعالى:{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)} [سبأ].
وقوله تعالي: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(58)} [الحج].
وقوله سبحانه:{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (11)}[الطلاق].

فهو أحسنُ الرِّزقِ وأكملُه وأفضلُه وأكرمهُ، لا ينقطعُ ولا يزولُ قال تعالي { إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (54)} [ص].

الحقيقة السادسة
الرزق يبارك فيه بالطاعة ويمحق بالمعصية

الرزق يُبارك فيه بالطاعة ويُمحق بالمعصية.
الرزق يُبارك فيه بالطاعة، ويُمحق بالمعصية، فتذهب بركته وإن كان كثيرا ظاهرًا؛ لأن ما عند الله تعالى لا ينال إلا بطاعته؛ يقول النبي (ﷺ) { أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم} [صححه الألباني].
وكما أن تقوى الله مجلبة للرزق، فترك التقوى مجلبة للفقر، فما استجلب رزق بمثل ترك المعاصي، وقد ضرب الله الأمثال لذلك في القرآن؛ قال تعالى:{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(112)} [النحل].
فمن استعجل الرزقَ بالحرام مُنِع الحلالَ .
ذكر صاحب المستطرف وعبارته: ودخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد: أمسك عليّ بغلتي، فأخذ الرجل لجامها، ومضى وترك البغلة، فخرج علي وفي يده درهمان ليكافئ بها الرجل على إمساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام، فركبها ومضى، ودفع لغلامه درهمين يشتري بهما لجاما، فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين، فقال علي رضي الله عنه: إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قدر له. انتهى.

لقد تساهل الكثير في الكسب وتحصيل المال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال:{يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم الحرام } [رواه البخاري].
فتساهلوا في الغش والخداع، وفرحوا بالرشوة والغلول وأكل مال اليتيم والسرقة، ونشطوا في بيع المحرمات والإعانة عليها ونشرها، وتسابقوا في الأعمال المحرمة ، حتي رأينا الرجل يبيع ذمته ودينه بعرض من الدنيا ،ورأينا المرأة تعرض جسدها لإغراء الشباب ، كل ذلك بحجة طلب الرزق، وكأن الرزق لا يكون إلا بطريق الحرام، وضعف يقينهم في أن الرزق من الله، وأنه لن يبارك في مال ورزق جاء من الحرام.

ومن ظنّ أن الرزق يأتي بحيلةٍ فقد كذّبته نفسه وهو آثم

قال رسول الله (ﷺ) مبينًا قاعدة عظيمة من قواعد الكسب وطلب الرزق: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): {مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ } [رواه الترمذي] .

الحقيقة السابعة
من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

من ترك المال الحرام من أجل الله تعالي عوضه الله خيرا منه ، قال: رسول الله (ﷺ) :{إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا للهِ إِلاَّ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ}[مسند الإمام أحمد].
ذكر الحافظ ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة في ترجمة القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز المتوفى في سنة (535 هـ):
((قال الشيخ الصالح أبو القاسم الخزاز البغدادي: سمعت القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز

الأنصاري يقول: كنت مجاورا بمكة حرسها الله تعالى فأصابني يوما من الأيام جوع شديد لم أجد شيئا أدفع به عني الجوع، فوجدت كيسا من إبريسم مشدودا بشُرّابة من إبريسم أيضا (الإبْرَيْسَم : أحسن الحرير)، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدت فيه عقدا من لؤلؤ لم أر مثله.
فخرجت فإذا بشيخ ينادي عليه، ومعه خرقة فيها خمس مئة دينار وهو يقول: هذا لمن يردّ علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأردّ عليه الكيس.
فقلت له: تعال إليّ فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرّابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلّم إليّ خمس مئة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علي أن أعيده إليك، ولا آخذ له جزاء، فقال لي: لا بدّ أن تأخذ وألحّ عليّ كثيرا، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى.
وأما ما كان مني، فإني خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة في البحر لا أدري أين أذهب، فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علمني القرآن، فحصل لي من أولئك القوم الشيء الكثير من المال.
ثم إني رأيت في ذلك المسجد أوراقا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لي: تحسن تكتب؟ فقلت: نعم. فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنت أعلمهم، فحصل لي أيضا من ذلك شيء كثير، فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة ولها شيء من الدنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لابدّ وألزموني فأجبتهم إلى ذلك.
فلما زفوها إليّ مددت عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه، فقالوا: يا شيخ!

كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم؟
فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت في الدنيا مسلما [المراد أمينا وعفيفا يعرف أحكام اللقطة] إلا هذا الذي ردّ عليّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه ابنتي، والآن قد حصلتْ، فبقيت معها مدة ورزقت منها بولدين، ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان، فحصل العقد لي، فبعته بمئة ألف دينار، وهذا المال الذي ترونه معي من بقايا ذلك المال)).

الحقيقة الثامنة

المالك الحقيقي للمال هو الله تعالي ونحن مستخلفون فيه

المالك الحقيقي للمال والأرض هو الله تعالي ،والإنسان ما هو إلا مستخلف فيه ،لذلك ينبغي علي الإنسان أن يحسن استخدامه وتوظيفه فلا يتصرف وفق رغبات وشهواتها فيسرف في الإنفاق ليرضي متطلبات نفسه ونزواتها ويبخل بالمال حرصا عليه عندما تستلزمه الضرورات التي ليس لمفسه إليها حاجة أو حظ ونسي أن هذا المال ليس ماله وأنه فقط مستخلف فيه وأن المستخلف في شيء ملزم التصرف فيه وفق ضوابط وأوامر من استخلفه ولا يجوز له أن يجتهد خارج هذه الأوامر والضوابط وإلا أصبح خائنا للأمانة فيقع تحت طائلة الآية الكريمة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28)} [الأنفال] .
فيؤكد المولي عز وجل هذه الحقيقة بكلمات واضحة مباشرة فيقول سبحانه وتعالي{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)} [الحديد]

ويقول تعالي {وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ (33)} [النور].
ومن هنا جاءت النصوص توضح المنهج الوسط في التعامل مع المال بما يحقق الاستخلاف ويؤدي إلي مرضاة الله تعالي وفي نفس الوقت تحذر من الخروج علي هذا المنهج فيقول تعالي مبيحاً لعباده الزينة والطيبات من الرزق ولكن في غير سرف ولا تقتير { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32)} [الأعراف].
ويقول تعالي {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29)} [الإسراء].
ويقول تعالي أيضا : {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا(67)} [الفرقان] .
ويقول تعالي في معرض أداء الحقوق {وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27)} [الإسراء].
والتبذير هو الإنفاق في غير المشروع ،أما الإسراف فهو الإنفاق في المشروع ولكن بزياة كبيرة عن الحد المعقول وكلاهما حرام .
وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قَالَ النبي (ﷺ): {كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَالْبَسُوا، وَتَصَدَّقُوا في غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلا مَخِيلَةٍ} [رواه ابن ماجة والنسائي وأحمد]
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ.
ورغم ذلك نجد البعض من أصحاب الثراء الفاحش ينفقون المال علي موائد القمار وعلي حفلات المُجون والرقص، وهناك من المسلمين من يكاد يموت جوعا أو مرضا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وفي هؤلاء وأمثالهم يقول النبي (ﷺ) عن خولة الأنصارية

رضي الله عنها، قالت : قال رسول الله (ﷺ):{إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق ،فلهم النار يوم القيامة } . [رواه البخاري] .
وليعلم المسلم أيضا أن نعم الله عز وجل لا يمتلكها أحد ، وإنما هي بمثابة الجوار، ليتمتع بها بما يرض الله عز وجل ، فإذا أحسن الإنسان جوار النعم لازمته، وبارك الله له فيها ، وإذا أساء جوارها فارقته ،وأثم إثما كبيرا .
فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول دخلَ عليَّ رسولُ اللهِ (ﷺ) فَرأى كِسْرَةً مُلْقَاةً فَمَشَى إليها فأخذَها ثُمَّ مسحَها فَأكلَها ثُمَّ قال لي يا عائشةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللهِ تَعالَى فإنَّها قَلَّ ما نَفَرَتْ من أهلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أنْ تَرْجِعَ إليهِمْ"[أخرجه ابن ماجه ، وابن أبي الدنيا في الشكر والطبراني في المعجم الأوسط].
ويقول الله تعالي{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)} [إبراهيم]
ولابد أن نعلم أنَّ صلاح الأمة بالتزام هذه التعاليم وهلاكها في انحرافها عن هذه التعاليم ،فعن عبد الله بن عمرو في الحديث المرفوع {صَلاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالأَمَلِ} .[رواه الطبراني في الأوسط].
ومن أهم الأشياء التي يوقن بها المسلم أن كل هذه النعم لا تصحبه في رحلته إلي الدار الآخرة ، وهي أهم رحلة لأنه من خلالها يتحدد مصير الإنسان إما نعيم مقيم ، وإما عذاب أليم ، وقد أخبر النبي (ﷺ) بذلك فعن أنس رضي الله عنه عن رسولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: {يتْبعُ الميْتَ ثلاثَةٌ: أهلُهُ ومالُه وعمَلُه، فيرْجِع اثنانِ ويبْقَى واحِدٌ: يرجعُ أهلُهُ ومالُهُ، ويبقَى عملُهُ} [متفقٌ عَلَيهِ].

الحقيقة التاسعة

كثرة المال أو قلته ليس دليلا علي رضا الله تعالي أو سخطه

كثرة الرزق لا تدل على محبة الله، ولا قلته دليل علي سخطه تعالي. فالله سبحانه يرزق الجميع، ولكنه قد يزيد أهل الضلال والجهل في

الرزق، ويوسع عليهم في الدنيا، وقد يقتر على أهل الإيمان، فلا يظن أن العطاء والزيادة دليل المحبة والاصطفاء!.

بل إنه بين أنه لولا أن يكفر الناس جميعًا لأراهم الله تعالى عطاياه لأهل الكفر، فقال جل ذكره: قال تعالي {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ(33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا ۚ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35) }[الزخرف].

وقال الله تعالي: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ (56)} [المؤمنون].

وقال تعالى: {قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَداً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا العَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ سَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً (75)} [مريم].

وقد حكى لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حال النبي (ﷺ) ، وقد دخل عليه في غرفته، وهو على حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قَرَظًا مصبوبًا، وعند رأسه أهب معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال (ﷺ) : " ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة"؟ والله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب. ولا يعطي الإيمان إلا من يحب.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "ولا تظن أن عطاءه كل ما أعطى لكرامة عبده عليه، ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه، ولكن عطاءه ومنعه ابتلاء وامتحان، يمتحن بهما عباده، قال الله تعالى:{فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)} [الفجر].

كلا أي ليس كل من أعطيته ونعمته، وخولته فقد أكرمته، وما ذاك

لكرامته علي، ولكنه ابتلاء وامتحان له أيشكرني، فأعطيه فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه إياه، وأخول فيه غيره.
وليس كل من ابتليته، فضيقت عليه رزقه، وجعلته بقدر لا يفضل عنه، فذلك من هوانه، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له أيصبر، فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سعة الرزق، أم يتسخط فيكون حظه السخط، فرد الله سبحانه على من ظن أن سعة الرزق إكرام، وأن الفقر إهانة، فقال: "لم أبتل عبدي بالغنى لكرامته علي، ولم أبتله بالفقر لهوانه علي" فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره، فإنه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته، ويقتر على المؤمن لا لإهانته، إنما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته، ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته، فله الحمد على هذا، وعلى هذا، وهو الغني الحميد". انتهى.
وقد بين المولي تبارك وتعالي أن ما يعطي للكفار والعصاة علي كفرهم إنما هو علي سبيل الإملاء والاستدراج ،فقال تعالي {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ(178)}[آل عمران].
فهو إذن ليس رضا ولكن إملاء واستدرج وغمسا في الإثم فقال تعالي { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)}[الأنعام]
وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ، ثم تلا رسول الله (ﷺ) قول الله تعالي :{ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)} [الأنعام].
فالأمر كله ابتلاء واختبار للناس فيقول الله تعالي_{ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7)} [الكهف].

الحقيقة العاشرة
السعي علي الرزق وطلب المال لا يتعارض مع أداء الواجبات

في خضم السعي علي الرزق وطلب المال يجب أن لا ينسي الإنسان واجباته المطلوبة منه ، وهي واجبة نحو ربه من أداء الفرائض والنوافل، وواجبه نحو نفسه بالترقي بها في جميع جوانب الحياة ، وواجبه نحو أهله وكل من يعول بالنفقة والرعاية والتربية علي منهج الإسلام، وواجبه نحو دينه ووطنه.

وقد بين الله تعالي في كتابه الكريم أن الغاية الأولي من وجوده في هذا الكون وهي العبادة وعمارة الكون وتحقيق الخلافة في الأرض ، فتبارك الذي أتقَنَ كلَّ شيءٍ في مُلكِهِ، وجعل رِزْقَ الخلائقِ عليه، ضَمِنَ رزقَهُم وسيؤدِّيه لهم كما وَعَدَ، وكل ذلك ليركنوا إليه ويعبدوه وحدَه لا شريكَ له.

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ(58)} [الذاريات] .

ولقد أمر نبيه صلي الله عليه وسلم قال الله عز وجل:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)}(طه){.

تكّفل الله تعالي لنا بالرزق وأمرنا أن نسعى للدار الآخرة، فقال تعالي{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (41) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ (42) } [النجم]، وربما يتعذر الإنسان بالعمل من أجل لقمة العيش ويقصر في عبادته بحجة البحث عن الرزق ويعطي لنفسه المبررات لذلك وقد نهي الإسلام الحنيف عن ذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال:{ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى ، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً ،وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ } [رواه الترمذي]

وقد ورد في الحديث القدسي : (عبدي خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت لك رزقك فلا تتعب ، إن قل فلا تحزن ،وإن كثر فلا تفرح، إن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت بدنك وعقلك وكنت عندي محمودا ، وإن لم ترضي بما قسمته لك أتعبت بدنك وعقلك وكنت عندي مذموما ، وعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في الفلاة ثم لا يصيبك منها إلا ما كتبته لك) .
نري البعض بذل كل مجهوداته فيما ضمن له ، أمَّا ما كلفوا به نراهم يقصرون فيه وهذا من الخلل في العقيدة .
إذاً أَقبِلوا على ما كُلِّفتم ودعوا ما ضُمِن لكم، فمما رُوي عن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام أنه كان يَقول لأتباعه : " لا تغتمُّوا لبطونكم ".
ويقول ابن عطاء رحمه الله تعالي :(اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس بصيرتك).

العنصر الرابع : الأسباب التي تستجلب الرزق

1- الإيمان والتقوي :

التقوي هي تجنب المحارم خشية من الله تعالي وخشية من النار ،قال تعالى: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا(3)} [الطلاق].
وفي هذا بيانُ أنَّ الذي قَدَّره من الرزق على العمومِ والإجمالِ سيتولَّاه في الخلقِ على مَدَارِ الوقتِ والتفصيلِ فهو سبحانه الرَّزَّاقُ الخلَّاقُ القديرُ المقتَدر.
وقال تعالى{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(96)} [الأعراف]

2- الاستقامة علي منهج الله تعالي :

الاستقامة هي مردود الإيمان والتقوي ،فالذي آمن واتقي من شأنه أن

يستقيم ومع الاستقامة يكون الخير ، قال تعالي{ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16)} [الجن].
ويقول تعالي {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)} [المائدة] .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): {حَدٌّ يُقَامُ فِي الأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا } [رواه النسائي] .

3ـ الاستغفار والتوبة :

قال تعالي{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً (12)} [نوح]
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قَال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): {مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } [رواه أبو داود وابن ماجه ، وأحمد في "المسند" ، والطبراني في "المعجم الأوسط" ، والبيهقي في "السنن الكبرى"، وغيرهم] .
ذكر الإمام القرطبي رحمه الله: أن رجلاً جاء إلى التابعي الجليل الحسن البصري يشكو إليه الجدب والقحط فأجابه قائلاً يا هذا: "استغفر الله "، ثم جاءه رجلُ آخر يشكو الحاجة والفقر فقال له يا هذا: "استغفر الله"، ثم جاءه ثالثُ يشكو قلة الولد فقال له:" استغفر الله"، فعجب القوم من إجابته...وقالوا: لقد أتاك رجال يشكون أنواعاً من البلاء فأمرتهم كلهم بالاستغفار.. كيف ذلك. فقال لهم وهو يرشدهم إلى الفقه الإيماني والفهم القرآني والهدي النبوي..
ألم تقرؤوا قول الله تعالى: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)} [نوح]

4ـ التبكير في طلب الرزق :

يقول النبي(ﷺ) : {اللهم بارك لأمتي في بكورها} [صحيح]
ووقت البكور هو وقت ما بعد الفجر.

5ـ اجتناب المعاصي :

إن للمعاصي نذير شؤم علي الفرد والمجتمع فبسببها يُحرم الرزق وتتحول الأمة من أمن إلي خوف ومن عافية إلي مرض ، ومن رغد إلي جوع، فقال الله سبحانه وتعالي: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(41)} [الروم].

وفي المسند: قال رسول الله (ﷺ) {إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه}

فالمعصية تؤدي إلي ضنك العيش في الدنيا والعمى والحسرة يوم القيامة: قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125)}(طه).

وقال سبحانه وتعالي :{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلاَ يَسْتَثْنُونَ (18) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20)} [القلم].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ):{يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم} [رواه ابن ماجه وهو صحيح].

مازالت نعمة إلا بذنب ، ولا حلت نقمة إلا بذنب كما قال علي رضي الله عنه (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة)

ورحم الله القائل :-

إذا كنت في نعمة فأرعها فإن المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم
وإياك والظلم مهما استطعت فظلم العباد شديد الوخم
و سافر بقلبك بين الورى لتبصر أثار من قد ظلم.

كانت عادة النساء في السلف، كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته: إياك وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار.

6ـ صدق التوكل علي الله تعالي :

قال تعالي{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (3)} [الطلاق]

قال الشافعي رحمه الله:

توكلتُ فِي رزقي على الله خالقي وأيقنتُ أن الله لا شك رازقي
ومـا يكُ من رزقـي فليس يفوتني ولو كان في قاع البحـار العوامق
سيـأتي بـه الله العظيـم بفضلـه ولو لم يكن مني اللسـانُ بنـاطق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرة وقد قسم الرحمـن رزق الخلائق؟

وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً }، [رواه الترمذي ،وقال: حديث حسن].

ألا ما أحوجنا إلى صدق التوكل على الله والرضا بما قسم وقدر!

7ـ المتابعة بين الحج والعمرة :

المتابعة بين الحج والعمرة ، فإنها سبب للرزق ،فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ) {تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة } [رواه الترمذي].

8- الإنفاق في سبيل الله :

أنفق يُنفق عليك. قال تعالى: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(39)} [سبأ]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى بِلَالٍ وَعِنْدَهُ صُبْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادَّخَرْتُهُ لَكَ وَلِضِيفَانِكَ. فَقَالَ: {أَمَا تَخْشَى أَنْ يَفُورَ لَهُ بُخَارٌ فِي جَهَنَّمَ؟ أَنْفِقْ بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا} [رواه الطبراني وأحمد والبيهقي والبزار والحديث صححه الألباني].

وكذلك الإنفاق على من تفرغ لطلب العلم الشرعي: النفقة على طلبة العلم سبب للرزق، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: {كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ (ﷺ) ،فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) ، فَقَالَ: {لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ } [الترمذي]

9- صلة الرحم:

صلة الرحم سببٌ لسعة الرزق ،لك أقارب، لك أخوات، لك بنات، لك عمات، لك خالات في أي مكان، أنت حينما تصلهم، وتعطيهم، وتأخذ بيدهم، وتتولى شئونهم، وترعاهم ،وتهديهم إلى الله عز وجل يزداد رزقك ،فعن أَنَس بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: {مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ}.[البخاري ، مسلم ، أبو داود ، أحمد]

10- إكرام الضعفاء والإحسان إليهم:

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): {هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُمْ } [رواه البخاري]

11- الهجرة في سبيل الله :

يترك مكان الضيق إلى غيره ما فيه سعة في الرزق ولكن بضوابط الهجرة، وليس كما يحدث الآن بأن يهاجر أحدهم بالسنوات تاركا

زوجته وأولاده بحجة تأمين المستقبل، مما يفتح أبواب الابتلاءات والفتن والفواحش على الزوجات.
قال الله تعالى: {وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً (100)}النساء

12- الدعاء باسم الله الرزاق:

كان من دعائه (ﷺ) {أن كان يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً } [رواه مسلم] .
أعطهم قدر احتياجهم لا توسع عليهم فيطغوا ولا تقدر عليهم فيضيق عليهم فيجزعوا وإنما أعطهم ما يكفيهم وقنعهم بذلك.
ويقول عليه الصلاة والسلام: {اللهم إني أعوذ بك من البخل والفقر، وعذاب القبر}.
وعن أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) {تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَنْ تَظْلِمَ، أَوْ تُظْلَمَ}. [النسائي ، أبو داود ، ابن ماجه ، أحمد]
وكان النبي (ﷺ) يعلم أصحابه هذا الدعاء، فكان الرجل إذا أسلم علمه النبي (ﷺ) الصلاة.
ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات {اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني.} [رواه مسلم]

العنصر الخامس : أثر الإيمان باسم الله الرزاق

1- اليقين بالله تعالي:

فمعايشة اسم الله تعالي الرزاق يغرس في نفس المؤمن اليقين والاطمئنان بأن الله هو المتفرد بالرزق وحده لا شريك له، قال تعالى:{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(24)} [سبأ].

فمما رُوي أنه جاء رجل إلى الإمام الحسن البصري رحمه الله وسأله: ما سر زهدك في الدنيا يا إمام؟ فقال أربعة أشياء:

علمتُ أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي.

وعلمتُ أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.

وعلمتُ أن الله مطلع عليّ فاستحييت أن يراني على معصية.

وعلمتُ أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي.

ويحكي أيضا أنه ..جلس رجلان قد ذهب بصرهما على طريق أم جعفر زبيدة العباسية لمعرفتهما بكرمها.

فكان أحدهما يقول: اللهم ارزقني من فضلك..

وكان الآخر يقول: اللهم ارزقني من فضل أم جعفر.

وكانت أم جعفر تعلم ذلك منهما وتسمع، فكانت ترسل لمن طلب فضل الله درهمين، ولمن طلب فضلها دجاجة مشوية في جوفها عشرة دنانير.

وكان صاحب الدجاجة يبيع دجاجته لصاحب الدرهمين، بدرهمين كل يوم، وهو لا يعلم ما في جوفها من دنانير.

وأقام على ذلك عشرة أيام متوالية، ثم أقبلت أم جعفر عليهما، وقالت لطالب فضلها: أما أغناك فضلنا ؟

قال: وما هو؟ قالت مائة دينار في عشرة أيام. قال: لا، بل دجاجة كنت أبيعها لصاحبي بدرهمين.

فقالت: هذا طلب من فضلنا فحرمه الله، وذاك طلب من فضل الله فأعطاه الله وأغناه.

وجاء رجل إلى حاتم الأصم، فقال من أين تأكل، فقال من خزائنه فقال الرجل أيلقي الله عليك الخبز من السماء، فما هذا الكلام؟ قال: " لو لم تكن الأرض له لألقى علي من السماء الخبز، يرزقني من الأرض " .

2ـ الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس:

إذا علمت أن الله وحده هو الرزَّاق تفرده بالقصد ولا تسأل أحداً سواه، تكسب العزة والكرامة والطمأنينة والحظوة عند الله عز وجل.

قيل لإنسان آخر من أين تأكل قيل من خزائن مَلِكِ لا تدخلها اللصوص ولا يأكلها السوس، خزائن الله عز وجل مفتوحة وخزائنه مملوءة وخزائنه فيها كل شيء، حيث يقول الله تعالى:{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)} [الحجر].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: { يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر } [رواه مسلم]

قال ابن رجب: المراد كمال قدرة الله وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، وإن في هذا لحثًا على إنزال الحوائج بالله وسؤاله إياها.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : {يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ :أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَدِهِ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ } [الصحيحين].

وصدق القائل:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تكفّل بالأرزاق للخلـق كلهم وللضب في البيداء والحوت في البحر

لذلك كان حال السلف الثقة الدائمة فيما عند الله تعالي واليأس فيما عند الناس ، حكوا أنَّ رجلاً من السَّلف همَّ بالسفر، فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته لِمَ ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة؟
فقالت: زوجي منذ عرفته ، عرفته أكالاً وما عرفته رزاقاً، ولي رب رزاق، يذهب الأكال ويبقى الرزاق.
فمن الأخطاء الشائعة أن" يُقال فلان مُعيل" (أي عنده عائلة كبيرة)، والصواب فلان مُعال وليس مُعيل،[المُعيل هو الله عز وجل، والناس كلهم على مائدة الرحمن].
لقد كان إيمان السلف بأن الله هو الرزاق عظيمًا، فلم يلتفتوا لأحد سوى الله في أرزاقهم، وكانوا بما في يد الله أوثق مما في أيديهم.
ولذا قال الحسن: "إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل".
وروي عن ابن مسعود قال: {إن أرجى ما أكون للرزق إذا قالوا: ليس في البيت دقيق}.
وقال الإمام أحمد: "أسرّ أيامي إليّ يوم أُصبح وليس عندي شيء".
وقيل لأبي حازم الزاهد: ما مالُك ؟ قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس.
وقيل: أما تخاف الفقر؟!
فقال: أخاف الفقر ومولاي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟!
وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: "من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسختْ نفسه، وقلّت وساوسه في صلاته".

3ـ العزة والتعفف عما في أيدي الناس :

الإيمان باسم الله الرزاق يورث العبد عزة وعفة ومهابة ، وذلك امتثالا لهدي النبي(ﷺ) فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله

(ﷺ) قال : {.. ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله} (أخرجه الشيخان ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي) .
قال أعرابي لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم.
وما أحسن قول بعض السلف في وصف الدنيا:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

قال عطاء: جاءني طاووس رحمه الله فقال لي: "يا عطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجابًا. وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، طلب منك أن تدعوه ووعدك الإجابة". (تهذيب حلية الأولياء)
"دخل سليمان بن عبد الملك إلى بيت الله الحرام وفيه علم من أعلام المسلمين وإمام من أئمة الدين عطاء بن أبي رباح رحمه الله برحمته الواسعة، هذا الإمام الذي كان ينادي المنادي في الحج ويقول: لا يفتي الناس إلا عطاء لعلمه وفضله، كان عطاء في ذلك المسجد يومها فأخذه سليمان وطاف معه، ثم قال: يا عطاء ! سلني حاجتك؟ ما هي حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! إني لأستحي أن أسأل أحداً في بيت الله جل جلاله إني لأستحي أي من الله ، فلما خرجا من المسجد قال: يا عطاء ! سلني حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! أن يغفر الله ذنبي، قال: ليس ذلك بيدي، قال: ماذا تريد أن أسألك؟ قال: سلني حاجتك من الدنيا، قال: يا أمير المؤمنين! إني لم أسألها من يملكها أفأسألها من لا يملكها! فلما أصَّر عليه، قال أطلب منك الجنة، قال هذه ليست لي، قال إذاً ليس لي عندك حاجة".
هذا العِزّ عزة التعفف، فما أجمل أن يعطي الغني الفقير، والأجمل من ذلك أن يتعفف الفقير عن مال الغني وأن يقول الحمد لله.
قال بعض العلماء: " كما أن الله لا شريك له في خلقه، لا شريك له في رزقه، كما أنه لا إله إلا الله، أيضاً لا رازق إلا الله.

4ـ عدم الشكوى لغير الله تعالي :

الإيمان باسم الله الرزاق يجعل الإنسان دائما لا يلتفت إلي مخلوق ولا يشكو له حاله ، وإنما علمه بالله تعالي يجعله دائما يرفع شكواه وحاله إلي الله تعالي ، لأن الأصل أن الشكوى إلى المخلوق تنافي كمال الصبر؛ لأن فيها رجاء للمخلوق، وقد يكون فيها شيء من التسخط من قدر الله، فالمشروع للعبد أن يجعل شكواه إلى الله وحده.

قال ابن تيمية: والصبر الجميل صبر بلا شكوى قال يعقوب عليه الصلاة والسلام "إنما أشكو بثي وحزني الى الله "مع قوله" فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون".

فالشكوى الى الله لا تنافي الصبر الجميل، فكان من دعاء النبي (ﷺ) " اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي الله إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أو يحل علي غضبك لك العتبى حتى ترضى".

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في صلاة الفجر "إنما أشكو بثي وحزني الى الله" ويبكي حتى يسمع نشيجه من آخر الصفوف، بخلاف الشكوى إلى المخلوق.

والعبد مأمور أن يسأل ربه دون خلقه، كما قال تعالى فإذا فرغت فانصب والى ربك فارغب، وقال (ﷺ) لابن عباس: {إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله}. (الفتاوى) .

وقال ابن الجوزي: وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَكْرَهُونَ الشَّكْوَى إِلَى الْخَلْقِ، وَالشَّكْوَى وَإِنْ كَانَ فِيهَا رَاحَةٌ إلا أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَذُلٍّ وَالصَّبْرُ عَنْهَا دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةٍ وَعِزٍّ. اهـ.

يُحكى عن حماد بن مسلمة أنه قال، كان في جواري امرأة أرملة لها أيتام، وكانت ليلة ذات مطر، فسمعت صوتها، تقول يا رفيق أُرفق

بحالي، قال فخطر ببالي أنها أصابتها فاقة، فصبرتُ حتى احتبس المطر، فحملتُ معي عشرة دنانير، وقرعت عليها الباب، فقالت: حماد بن مسلمة؟ " يبدو أنه معروف بالصلاح " فقلت نعم حماد، كيف الحال، فقلت في خير وعافية، احتبس المطر ودفئ الصبيان، فقال خذي هذه الدنانير وأصلحي بها بعضَ شأنك..
عندها فتاةٌ صغيرة، صاحت هذه الفتاةُ، لا نريد يا حماد أن تكون بيننا وبين الله، ثم قالت لأمها لما رفعت صوتك بإظهار السر علمت أن الله يؤدبنا بإظهار الرفق على يد مخلوق.
وأخيرا ... إذا علم المسلم هذه الحقائق الإيمانية لقضية الرزق ، وعلم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين أفرده بالسؤال والقصد، فلا ينتظر العبد الرزق إلا منه، ولا يتوكل فيه إلا عليه، وإذا علم أن الله وحده هو الرزاق أفرده بالدعاء وسؤال الرزق، ولا يسأل أحدًا سواه، وحينها يكتسب العزة والكرامة والطمأنينة.
فاللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك، واجعل أوسع أرزاقنا عند ضعفنا وكبر سننا، اللهم لا تحوجنا إلا إليك، ولا تذلنا إلا بين يديك، وصب علينا الرزق صبًّا، ولا تجعل معيشتنا كدًّا، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك، اللهم ارزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، آمين.. آمين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على نبينا محمد

الفصل الثالث

المعايشة الإيمانية لاسم الله الوكيل

ويحتوي على أربعة عناصر ..

العنصر الأول : معني الوكيل .

العنصر الثاني : اسم الله الوكيل في القرآن والسنة .

العنصر الثالث : المعايشة الإيمانية لاسم الله الوكيل .

العنصر الرابع: الآثار الإيمانية للمعايشة لاسم الله الوكيل .

العنصر الأول : معنى الوكيل

المعنى اللغوي لاسم الله الوكيل:

وَكِلَ بالله وتوكَّل عليه واتكل، أي: استسلم له، ويقال: توكَّل بالأمر إذا ضَمِنَ القيام به.

ووكَلْت أمري إلى فلان، أي: ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه.

ووكل فلانٌ فلانًا: إذَا اسْتَكفاه أَمْرَه، إما ثقةً بِكفايَتِه أو عَجزًا عن القيام بأمر نفسه.

ووَكَلَ إليه الأمر، أي: سَلَّمهُ، وَوَكَلَهُ إلى رأيه، أي: تركه.

قال الجوهري: "والتوكُّل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التُّكلان".

وقال الزجاجي: "الوكيل فعيل، من قولك: وكلت أمري إلى فلان وتوكَّل به، أي جعلته يليه دوني وينظر فيه.

والوكيل: الكفيل كما في قول الله: {قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (66)} [يوسف].

والكافل، أي: العائل، كما في قوله تعالى: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا(37)} [آل عمران]، أي: قام على أمورها وكان عائلاً لها".

معنى الاسم في حق الله تعالى:

معنى الاسم يدور حول الاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى، والركون إليه وصدق اللُّجأ عليه وإليه، والاعتماد على الله سبحانه وتعالى والاعتصام بهِ، فلا بد للمتوكل أن يستشعر افتقاره وضعفه لله تبارك وتعالى، ولا يرى لنفسه شيئًا، وبذلك يُحفَظ من العُجب.

إن الله سبحانه وتعالى هو الوكيل الذي توكل بالعالمين خلقًا وتدبيرًا، وهداية وتقديرًا.

فهو المتوكل بخلقه إيجادًا وإمدادًا، كما قال تبارك وتعالى:

{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(62)} [الزمر].

والوكيل الكفيل بأرزاق عباده ومصالحهم، وهو سبحانه وكيل المؤمنين

الذين جعلوا اعتقادهم في حوله وقوته، وخرجوا من حولهم وطولهم وآمنوا بكمال قدرته، وأيقنوا أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فركنوا إليه في جميع أمورهم، وجعلوا اعتمادهم عليه في سائر حياتهم، وفوضوا إليه الأمر قبل سعيهم واستعانوا به حال كسبهم، وحمدوه بالشكر بعد توفيقهم، والرضا بالمقسوم بعد ابتلائهم، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(2)} [الأنفال].

قال الفراء في قوله تعالى: {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا(9)} [المزمل]، "أي: كفيلاً بما وعدك"

وقال في قوله تعالى: {أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) } [الإسراء]، "أي: كافيًا وربًّا".

وقال ابن جرير في قوله تعالى: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)} [آل عمران]، "أي: يكفينا الله وهو نعم المولى لمن وليه وكفله، وإنما وصف الله تعالى نفسه بذلك.

لأن الوكيل في كلام العرب هو: المُسْنَد إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله تعالى في هذه الآيات كانوا قد فَوَّضُوا أمرهم إلى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم"، فمن ذا الذي لجأ إليه وأدبَر عنه؟!

فهو سبحانه لا يخذل من لجأ إليه بصدقٍ أبدًا.

وقال في قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا(3)} [الأحزاب]، "أي: توكَّل يا محمد على الله، وفوّض أمرك إليه، وثق به في أمورك، وولِّها إياه {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}"،

فالله تعالى كافيك وهو حَسْبُكَ وناصُرك ووليًا لك ودافعًا عنك، وقال في قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(102)} [الأنعام]، "أي: الله على كل ما خلق من شيء رقيبٌ وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته".

فيتلخَّص في الوكيل ثلاثة معان:

1- الكفيل. 2- الكافي. 3- الحفيظ.

قال الحليمي: "الوكيل هو الموكَّل والمفوَّض إليه علمًا بأن الخلق والأمر له، لا يملك أحد من دونه شيئًا".

وهذا ما ينبغي أن يترسخ في القلوب تجاه ربِّكَ الوكيل جلَّ جلاله.

العنصر الثاني
اسم الله الوكيل في القرآن والسنة

ورد الاسم مُطلقًا مُعرفًا في قول الله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(173)} [آل عمران].

وورد في عدة مواضع أخرى مقرونًا بمعاني العلو، والعلو يزيد الإطلاق كمالاً على كمال كما ورد في قوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(102)} [الأنعام]. وقال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (3)} [الأحزاب]. وقال تعالى لرسوله (ﷺ): {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(12)}[هود].

وقد خاطب الله تعالي نبيه (ﷺ) فقال:{وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (84) } [الأحزاب] .

أما وروده في السُّنَّة النبوية، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "{حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ حِينَ قَالُوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}{البخاري}وفي سنن الترمذي أن النبي (ﷺ) قال :{كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، وحنى جبهته ، وأصغى السمع متى يؤمر ؟ قال : فسمع بذلك أصحاب النبي (ﷺ) فشق عليهم ، فقال رسول الله (ﷺ): قولوا :حسبنا الله ونعم الوكيل} [الترمذي] .

العنصر الثالث
المعايشة الإيمانية لاسم الله الوكيل

لكي نعيش مع اسم الله الوكيل لابد أن نحقق معني التوكل الحقيقي، وهو صدق اعتماد القلب على الله تعالي في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة.

ومن أسباب المعايشة الايمانية لاسم الله الوكيل ...

أن تتخذ الله تعالي وكيلًا:

قال تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا(9)} [المزمل]، ملك الملوك وربُّ الأرباب جل جلاله، يأمرك أن تتخذه وكيلًا، يأمرك ألا تُلجِئ ظهرَك إلا إليه، ولا تضع ثقتك إلا فيه، ولا تعلِّق آمالك إلا به.

وحذر المولي جل وعلا من عكس ذلك فقال تعالي{أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا(2)}[الإسراء].

وكيف نتَّخِذ الله وكيلًا ؟

أولا: أن يكون اللسانُ دائمًا لاهجًا بالركون إليه والتوكل عليه:

عن أمِّ سَلَمة أن النبي (ﷺ) إذا خرج من بيته، قال {بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك أن نَزِلَّ أو نضل، أو نَظلم أو نُظلم، أو نَجهل أو يُجهل علينا} [حديث حسن صحيح في سنن الترمذي]

وعنْ أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قالَ: رسولُ اللَّهِ (ﷺ): مَنْ قَالَ يعني إِذَا خَرَجَ مِنْ بيْتِهِ : بِسْمِ اللَّهِ توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلا حوْلَ وَلا قُوةَ إلاَّ بِاللَّهِ، يقالُ لهُ هُديتَ وَكُفِيت ووُقِيتَ، وتنحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ رواه أبو داودَ، والترمذيُّ، والنِّسائِيُّ، وغيرُهم: وَقالَ الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ، زاد أبو داود: فيقول: يعْنِي الشَّيْطَان لِشَيْطانٍ آخر: كيْفَ لَكَ بِرجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِي وَوُقِي؟.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ):{ أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ، فَإِنَّهَا مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ} [أخرجه الترمذي].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : {أَلَا أَدُلُّكَ على كلِمَةٍ مِنْ تحتِ العرشِ ، مِنْ كنزِ الجنةِ ؟ تقولُ : لا حولَ ولَا قوةَ إلَّا باللهِ ، فيقولُ اللهُ: أسلَمَ عبدي واسْتَسْلَمَ } [أخرجه أحمد ، والنسائي والحاكم].

" ولا حول ولا قوة إلا بالله" معناها: لا يَحُولُ بينك وبين ما تكرَهُ إلا الله، ولا يقودك إلى ما تحب إلا الله، أو لا تَحوُّلَ للعبد من حال إلى حال إلا بالله، فما شاء الله كان وما لم يشَأْ لم يكن.

وكان النبي (ﷺ) يُعلِّمنا دعاء الكرب، فعن أبو بكرة نفيع بن الحارث قال :قال رسول الله (ﷺ){دعواتُ المكروب: اللهم رحمتَك أرجو، فلا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت }.

[رواه أبو داوود وحسنه الألباني، صحيح الجامع].]

وكان النبيُّ (ﷺ) يعلمنا عند النوم، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ): {إذا أتيتَ مضجعَك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شِقِّك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأت ظهري إليك؛ رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنتُ بكتابِك الذي أنزلت، ونبيِّك الذي أرسلت، فإن متَّ مِن ليلتك متَّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيرًا، واجعلهنَّ آخر ما تتكلم به} [رواه البخاري]

• بل كان النبي (ﷺ) يُعلِّمنا أن نتعلق بالله ونستعينه ونستخيره، عندما نريد أيَّ عمل ونعزم على أيِّ شيء؛ عن جابر رضي الله عنه قال: "كان النبي (ﷺ) يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن،{إذا همَّ أحدُكم بالأمر، فليركَع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرُكَ بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلَمُ ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى أو قال: عاجل أمرى وآجله فاقدُرْه لي ويسِّره لي، ثم بارِك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي

وعاقبة أمري، فاصرِفْه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به))، قال: ((ويُسمِّي حاجتَه} [متفق عليه]
كل هذا ما يُسمى بالتفويض اللساني؛ أن يلهج لسانُك بالتوكل على الله الوكيل، "لو أن شخصًا لديه قضيةٌ في المحكمة ونصَحوه أن يُفوِّض محاميًا ماهرًا مشهورًا بالعمل في القضايا الشائكة، فكلما كانت خبرة المحامي أكبر، زاد شعورك بالاطمئنان، فكيف لو كان الذي فوَّضتَه هو الوكيل جل جلاله؟!
ومِن هنا نهى أهلُ العلم أن يقول رجلٌ لآخر: "توكَّلت على الله وعليك"، وعَدُّوا هذا نوعًا من الشرك بالله، فلا يتوكَّل إلا على الله وحدَه، ولا يركن إلا إلى الله وحده، وإن كان الإنسان لا بد قائلًا، فليقل: (توكلتُ على الله ثم عليك)، وما بعد ثُمَّ إنما هو الأخذ بالأسباب، مع تعلق القلب برب الأرباب ومسبب الأسباب جل جلاله.

ثانيا : أن يتعلَّق قلبُك بربك:

أن يتعلَّق قلبُك بربك ، ويرضى قلبُك بربك، ويَثِق قلبك في ربك، ويركن قلبك إلى ربك، وهذا هو بيت القصيد، وحقيقة التوكل، وعُنوان الإيمان باسم الله الوكيل.
فالتوكل: "صدقُ اعتمادِ القلب على الرب في استجلاب المنافع ودفع المضارِّ؛ من أمور الدنيا والآخرة ، والاعتقاد أنه لا يعطي ولا يَمنَع، ولا يضر ولا ينفع سواه"
وقيل: "انطراح القلب بين يدي الرب؛ كانطراح الميتِ بين يدي المغسِّل، يُقلِّبه كيف يشاء".
وقال بعضهم: "يقول بعض الناس: توكَّلتُ على الله، وهو يكذب على الله، لو توكل على الله رضي بما يفعَل"؛ لأنه سبحانه وتعالى الضامنُ لرزق عباده، المدبر لشؤونهم، الراعي لمصالحهم بحكمة وعلم وقدرة مطلقة.
إن عقيدة التوكل يجب أن تنغرِسَ في الأذهان، وتنقدح في الأفئدة، فيكون المؤمن في كل أموره وجميع أحواله وشتى أفعاله، متوكلًا

على ربه وخالقه، مستعينًا بمعبوده، واثقًا بإلهه، وعلى المرء بذلُ الأسباب، والباقي على منشئ السَّحاب.

فإن قال قائل: في أي شيءٍ نتخذ الله وكيلًا ؟

أن نتخذ الله تعالي وكيلا في كل شيء؛ فالتوكل على الله عُنوان الإيمان وأمارة الإسلام؛

قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(23)}[المائدة].

وقال تعالى:{وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84)}[يونس].

فالتوكل على الله حالُ المؤمن في جميع الأحوال والأحيان:

1- فمَن أراد أن يقوم بالعبادة على وجهها، فليتوكل على الله؛ قال تعالى:{ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (23)}[هود].

، وأمرنا تعالى أن نقرأ في صلواتنا: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(5)} [الفاتحة]؛ لأنه تعالى إذا لم يُعِنْك على عبادته، فلن تفعل شيئًا!

2- ومَن أراد أن تنجَحَ دعوتُه، ويظهر أثرها، فليتوكل على الله؛ قال تعالى:{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)}[التوبة].

3- ومَن أراد سَعة الرزق وطيب الكسب، فليتوكل على الله؛ فعن عمر بن الخطاب أن رسول الله (ﷺ) قال:{ لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً} [الترمذي] .

4- ومَن أراد أن يُصيب في حكمه ويقضي بالعدل، فليتوكل على الله؛ قال الله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)}[الشورى].

5- ومَن أراد أن ينتصرَ على عدوّه، فليتوكل على الله:{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)}[آل عمران].

6- ومَن أراد أن تتمَّ عهوده وتنجح مواثيقه، فليتوكل على الله: {قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (66)} [يوسف].

7- وفي كل ما يقوله الإنسان ويقوم به ويعزم عليه، ينبغي أن يتوكَّل فيه على الله تعالى؛ قال الله: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ(159)}[آل عمران]، وقال الله: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (3)}[الطلاق].

8- إذا أعرضت عن أعدائك ورفقاء السوء، فليكن رفيقك التوكُّل. قال تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (81)} [النساء].

9 ـ إذا تلوت القرآن أو تُليَّ عليك، فاستَنِدْ على التوكُّل. ثق في إن هذا البيان هو الحق من ربُّك واخضع لحكمه، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(2)} [الأنفال].

10- إذا طلبت الصُلح والإصلاح بين قومٍ، لا تتوسل إلى ذلك إلا بالتوكُّل. يقول الله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(61)} [الأنفال].

11- إذا وصلت قوافل القضاءِ، استقبِلْها بالتَّوكُّل. قال تعالي {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)}[التوبة].

12- إذا نَصبتِ الأَعداءُ جِبالات المكر، ادخُلْ أَنت فى أَرض التوكُّل. قال تعالي {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ(71)} [يونس].

13- إذا علمت أنَّ الله هو الواحدُ على الحقيقة، فلا يكن اتِّكالك إلاَّ عليه. قال تعالي{قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ

(30)}[الرعد].
14- إذا عرفت أَنَّ هذه الهداية من عند الله تعالى، فاستقْبِلها بالشُّكر والتَّوكُّل، قال تعالي{وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12) } [إبراهيم] .
15- إذا خشِيت بأْس أَعداءِ الله، والشيطان الغدّار، لا تلتجئ إلاَّ بباب العزيز الغفار. قال تعالي {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(99)} [النحل].
وقال تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)}[الإسراء].
16- إن أَردتَ أَن يكون الله وكيلك في كلّ حال، فتمسَّك بالتَّوكُّل فى كلِّ حالٍ. قال تعالي{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا(3)} [الأحزاب].

ثالثا: أن تطلب من الله الكفاية:

إذا علِم العبدُ أن الله هو الكافي عبادَه؛ رزقًا ومعاشًا، وحفظًا ونصرًا وعزًّا اكتفى به عمَّن سواه، وطلب منه وحده الكفاية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال (ﷺ) {من استغنى أغناهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ومن استعفَّ أعفَّهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ومن استَكفى كفاهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ومن سألَ ولَهُ قيمةُ أوقيَّةٍ فقد ألحفَ} [حديث حسن رواه أبوداود] .
قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكلِّ عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاءَ التوكل عليه كفايتَه لعبده، فقال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (3)}[الطلاق]، ولم يقل: نُؤْتِه كذا وكذا من الأجر، بل جعل نفسه سبحانه كافِيَ عبده المتوكِّل عليه وحسبَه وواقيه".
فهناك لا تسأَلْ عن كل أمر يتيسر، وصعبٍ يتسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تُقضى، وبركات تنزل، ونقم تُدفع، وشرور ترفع.

ألم ترَ قول النبي (ﷺ) لصاحبِه وهما في الغار:{ما ظنُّك يا أبا بكر باثنينِ اللهُ ثالثُهما}
ألم ترَ قول الله تعالى عن مؤمنِ آل فرعون حين قال لقومه:{ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (44)}[غافر].
ألم ترَ قولَ أصحاب النبي (ﷺ) حين اجتمعَتْ عليهم أحزاب الكفر؛ قال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)}[آل عمران].
• فمن وقع في شدة وضائقة، فليطلب من الله الكفاية، فإن الله كافيه:
فإن الغلامَ المؤمن لَمَّا أبَى أن يرجِعَ عن دينه، دفعه الملك إلى نفرٍ من أصحابه، وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فإذا بلغتُم ذروته فاطرحوه، فلما بلغوا به قمة الجبل وهمُّوا بطرحه، قال: "اللهم اكفنِيهم بما شئت"، فرجف بهم الجبل، فسقطوا فهلكوا، ورجع الغلام إلى المَلِك، قال: ما الذي جاء بك؟
أين أصحابك؟ قال: كفانيهم اللهُ، فدفعه إلى جماعةٍ آخرين، وأمرهم أن يركبوا البحر في قرقور، فإذا توسطوه عرَضوا عليه أن يرجع عن دينه، فإن لم يفعل رمَوه في البحر، ففعلوا وهمُّوا، فقال: "اللهم اكفنيهم بما شئت"، فانقلبت السفينة وغرِقوا، وأنجاه الله".
• ومن كان عليه دَينٌ، فليتضرَّع إلى الله، وليطلُبْ منه الكفاية، فإنه كافِيهِ.
عن عليٍّ أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجَزتُ عن كتابتي، فأعنِّي، قال: ألا أُعلِّمك كلمات علَّمَنيهنَّ (ﷺ) ؟ لو كان عليك مثل جبلِ صِيرٍ دَينًا، أدَّاه الله عنك، قال: قل: {اللهم اكفِني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عمَّن سواك}.[رواه الترمذي]

وفي صحيح البخاري أن رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال: ائتِني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، فقال: ائتِني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقتَ، فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يقدم عليها للأجل الذي أجَّله، فلم يجِدْ مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجَّ موضعها أصلحه وقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا فقلت: كفى بالله كفيلًا، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضِي بك، وإني جهدتُ أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له، فلم أجد، وإني أستودِعُكها، فرمى بها إلى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف فخرج الرجل الذي كان أسلف لعلَّه يجد مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم لما قدم الذي كان أسلفه، فأتى إليه بألف الدينار، وقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه، فقال: أكنت بعثت إليَّ شيئًا؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بماله راشدًا}

وفي كل شيء يطلب العبد كفايتَه مِن الكافي الكفيل الوكيل جل جلاله.

رابعا : الأخذ بالأسباب :

يقول ابن القيم: " التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها"[مدارج السالكين]

فالتوكل الحقيقي أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النجاح لله والثقة بأنه لا يُضيع أجر

من أحسن عملاً، أما إن قعد عن الأسباب ولم يسعى في اتخاذها، فليس هذا من التوكُّل في شيء، وإنما هو اتكالٌ وتواكل حذرنا منه النبي (ﷺ) عَنْ مُعَاذٍ قَالَ: "كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ (ﷺ) عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ: {يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا} [متفق عليه].

عن عمر بن الخطاب أن رسول الله (ﷺ) قال {لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً }[الترمذي] .

فهنا يضع الرسول قاعدة جليلة، هي: إن كل ما يؤدي إلى ترك العمل، أو يكون مظنة للاتكال والتواكل فليس من التوكُّل في شيء..

فالاتكال يعني : ترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب.

فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، بل هو مِن تمامه وكماله، لكن الحذر من ركون القلب إلى الأسباب، فهذا هو المنافي للتوكل؛ قال الله تعالى لمريم عليها السلام: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25)}[مريم]، وهي الضعيفة، الواضعة، النُّفساء، والنخلةُ لا تُهز، ولكن الله تعالى أراد أن نتلقَّى درسًا مهمًّا، وهو أن الأخذ بالسبب ولو كان ضعيفًا دون أن يتعلق به صاحبه، تكون وراءه النتيجة المثمرة.

فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجاً وكفاه رزقه ونصره .

ولذلك يروى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه لما كان في عهد خلافته جاءه رجل من الأعراب ممن يطلب الرزق فجلس عند بابه، وصار عمر يعطيه لأنه خليفة المسلمين وأمير

المؤمنين، فمكث عند بابه لينال رزقه، فجاء إليه رجل وقال له: يا هذا! أنت هاجرت إلى عمر أو إلى رب عمر ؟
قال: وما ذاك؟ قال: اذهب فاقرأ القرآن، فإن الله يغنيك عن عمر فاستيقظ الرجل وذهب لقرآة القرآن وعبادة الله وطلب العلم فأغناه الله، ولكن عمر الذي كان يرعى رعيته سأل عن الرجل؛ لأنه انقطع عنه أياماً، فبحث عنه في المدينة حتى لقيه، فقال له: يا فلان! كنت عندنا فإلى أين ذهبت؟
فقال: يا أمير المؤمنين! جاءني رجل فقال لي هذا الكلام: اقرأ القرآن واعتمد على الله لا على عمر فقرأت القرآن فأغناني الله سبحانه وتعالى فقال له عمر : يا أخي! وماذا وجدت في القرآن يعني ما الذي لفت انتباهك في القرآن؟
قال: قول الله تبارك وتعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ(22)} [الذاريات].
ورحم الله القائل :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ
وَلا تَرْغَبَنْ فِي العَجْزِ يَوْمًا عَنِ الطَّلَبِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمٍ
وَهُزِّي إِلَيْكِ الجِذْعَ يَسَّاقَطِ الرُّطَبِ
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيهِ مِنْ غَيْرِ هَزَّةٍ
جَنَتْهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبُ.

خامسا : الدعاء باسم الله الوكيل:

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ، فكأن ذلك ثَقُل على أصحاب النبي فقال لهم قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا» [رواه الترمذي وصححه الألباني].
وهو من الأذكار المهجورة التي ينبغي على كل من يؤمن باليوم

الآخر ويخشى أهواله أن يُكثِر من ترديده.
ومما ورد من الدعاء بالوصف، قول الرسول (ﷺ): { دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت}[رواه أبو داوود وحسنه الألباني، صحيح الجامع].

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

العنصر الرابع
الآثار الإيمانية لاسم الله تعالى الوكيل

1- الزهد في الدنيا وما فيها:

فلا يركن على أحدٍ سوى الله، ويعلم أنه وحده سبحانه وتعالى الذي يكشف عنه الضُرَّ، وأنت عند ما تُبتلى، هل تهرع إلى الله وتركن بقلبك عليه؟ أم تعتمد على منصبك ومعارفك؟ فإذا ركنت إلى أيٍ من تلك الأمور الدنيوية اعلم أن هناك قدحٌ في إيمانك بهذا الاسم.
والله تعالى يقول: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا(58)} [الفرقان]، لِمَ تتوكَّل على عبادٍ يموتون ويفنون ولا يقدرون على نفعك أو ضرك؟! توكَّل على الحي الذي لا يموت. وقال سبحانه وتعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)}[هود].
فلو كُشِفَ الحجاب ورأينا مآلات الأمور، لرضيَّ كل واحدٍ منا بقدر الله سبحانه وتعالى، فوكِّل له أمرك؛ فإنه يعلم ما لا تعلمه وهو سبحانه وتعالى يُقدِّر لك الخير..
يحكي أن حاتم الأصم عزم عامًا على الحج: فأخبر أبناءه بذلك، فقالوا: إلى مَن تَكِلُنا ؟ وكانت له ابنةٌ مباركة قد رزقها الله تعالى نعمةَ الإيمان والتوكل واليقين، فقالت: دَعُوه يذهب، فليس برازق، فخرج فباتوا جياعًا، فجعلوا يوبِّخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تخجلني بينهم، فمرَّ بهم أمير البلد، فقال لبعض أصحابه: اطلبْ لي ماءً، فناوله
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

أهل حاتم كوزًا جديدًا، وماءً باردًا، فشرِب، وقال: دار مَن هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم، فرمى فيها صرَّةً من ذهب، وقال: مَن أحبَّني فليصنع مثل ما صنعت، فرمَى العسكر ما معهم من مال في هذه الدار، فجعلت البنت تبكي، فقالت أمها: ما يبكيكِ، وقد وسَّعَ الله علينا؟ فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا فاغتَنَينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟.

ورحم الله القائل:

توكلتُ في رزقي على اللهِ خالقي

وأيقنتُ أن اللهَ لا شكَّ رازقي

وما يك مِن رزقي فليس يفوتُني

ولو كان في قاع البحارِ العوامقِ

سيأتي به اللهُ العظيمُ بفضلهِ

ولو لم يكن مني اللسان بناطقِ

ففي أي شيء تذهبُ النفس حسرةً

وقد قسَّم الرحمنُ رزقَ الخلائقِ.

2ـ الثقة واليقين في الله تعالي:

يقول ابن القيم: "قال صاحب المنازل: الثقة سواد عين التوكل ونقطة دائرة التفويض وسويداء قلب التسليم، وصدَّر الباب بقوله تعالى لأم موسى: قال تعالي{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)} [القصص].

فإن فعلها هذا هو عين ثقتها بالله تعالى؛ إذ لولا كمال ثقتها بربِّها لما ألقت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء تتلاعب به أمواجه وجرياته إلى حيث ينتهي أو يقف..

وأيضا سيدنا يونس عليه السلام فجأة وجد نفسه في بطن حوت ، الأمل صفر ، الحوت وجبته المعتدلة بين الوجبتين أربعة طن ، معناها لقمة واحدة ، في ظلمة بطن الحوت ، وفي ظلمة الليل ، وفي ظلمة البحر .

قال تعالي { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ

فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)}[الأنبياء]
فالله عز وجل قلب القصة إلى قانون : " وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ"
في أي زمان ، في أي مكان، وأيضا سيدنا موسي عليه السلام وجد نفسه في معركة ضارية ليست متكافئة مع قلة ضعيفة من بني اسرائيل ضد طاغية كبير " فرعون " قوي جداً ، معه أسلحة فتاكة ،حاقد ، متغطرس ، هو خلفهم ، والبحر أمامهم ، هل هناك أمل ؟ الأمل صفر
قال تعالي {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)} [الشعراء]
من توكل على الله شعر بالأمن والراحة والطمأنينة ، يصبح عنده أمن ، عنده شعور أن الله لن يتخلى عنه .

3ـ التخلص من التشاؤم والإقبال على التفاؤل:

التشاؤم من أفعال الجاهلية، ومن صفات الذين لا يؤمنون بالله، والتشاؤم: التطيُّر بالمكروه؛ من قول أو فعل أو مرئي، فبعض الناس إذا خرج لعمله عاد! فإذا سئل في ذلك قال: رأيتُ فلانًا فتشاءمت فرجعت، أو سمعت كذا، فتشاءمت فرجعت، وإذا حدَث له شيء يكرهه ، قال : أنا اصطبحت بوجهِ مَن اليوم؟!
فحذَّر النبي (ﷺ) من ذلك، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: {الطيرة من الشرك، وما منا إلا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهَا بِالتَّوَكُّلِ} [سنن الترمذي]
فالإيمان باسم الله الوكيل يُلقِي السكينة والطمأنينة في قلوب المتوكِّلين، ويجعلهم يسيرون هادئين غير مبالينَ بشيءٍ.

4ـ التوكل علي الله يورث القوة :

التوكل على الله سبحانه وتعالى يعطي الإنسان القوة والعزة بالله وحده لا شريك له، فعن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال {مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ

أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكْتَفِ بِرِزْقِ اللَّهِ} رواه أحمد .

لأن الإنسان إذا توكل على الله وحده لا يخاف أحداً مهما كان، لو اجتمعت الدنيا كلها بعروشها وجيوشها على أن يكيدوك أيها الإنسان لا يملكون، كما قال النبي (ﷺ) لابن عباس وهو غلام صغير:{ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف}. [رواه الترمذي] .

إذاً التوكل على الله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان قوياً في إيمانه، قوياً في حياته، قوياً في صبره على البلاء، قوياً في مواجهته للمحن والابتلاء، قوياً حينما تدلهم الفتن وتضطرب الأمور ويحيص الناس. ويحار الحليم، يقف قوياً لأنه يتوكل على الله وحده لا شريك له ، ويعتصم به، ويعتمد عليه وحده لا شريك له.

والتوكل يكسب المسلم القوَّة الروحيَّة التي تضعف أمامها القوَّة المادِّيَّة، ويبدو ذلك جليًّا في موقفِه (ﷺ) وهو يَحفِر الخندق، والمشركون اجتمعوا عليْه يحاصرون المدينة، فإذا به يَعِدُ أصحابَه بفتح اليَمَن، وفتح مَمْلكتَي كسرى وقيصر.

في يوم الأحزاب ونحن نعرف ما يوم الأحزاب حين تجمعت الجزيرة العربية بأكملها بكافة قبائلها إلا القليل وحتى اليهود الذين كانوا في عهد مع المسلمين وحاصروا المدينة من كل جانب ويصفه الله تعالى في كتابه { إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)} [الأحزاب].

وكان موقف المؤمنين كما قال الله تعالى {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22)}[الأحزاب].

وماذا كان رد الله على ذلك الإيمان الصادق {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27)}[الأحزاب] .

5ـ الشعور بالعزة:

العزة التي يشعر بها المتوكِّل على الله، ويستمِدُّها من عزَّة الله، وتُعْطِيه مكانة كبيرة؛ قال تعالى:{ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49)} [الأنفال].

عزيز: لا يُذَلُّ مَن استجار به، ولا يضيع مَن لاذ بجنابه والتجَأ إليه.

حكيم: يضع الأشياء في مواضعها ولا يظلم أحدًا.

قال الخليفة سليمان ابن عبدالملك للإمام أبو حازم أحد علماء السلف في أحد مواسم الحج : ارفَع إلَيْنا حوائج دُنياك نقضِها لك، قال: "إني لم أطْلُبْها من الخالق فكيف أطلُبها من المخلوق؟!"، يُريد أنَّ الدنيا أهونُ عنده من أن يَسْأَلها من الله تعالى، فهو إذا سأل ربَّه يسأله ما هو أعظمُ وهو الآخرة والجنَّة، ورضوان الله تبارك وتعالى، إنَّ العزَّة لا تطلب إلاَّ من باب واحد؛ قال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً (10)} [فاطر].

ولله در الإمام الشافعي حين قال :

أمطري لؤلؤاً جبالَ سرنديبَ	وَفِيضي آبارَ تكرورَ تِبْرَا
أَنَا إنْ عِشْتُ لَسْتُ أعْدَمُ قُوتاً	وَإذا متّ لَسْتُ أعْدَمُ قَبْرَا
همتي همَّة الملوكِ ونفسي	نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّة كُفْرَا
وإذا ما قنعتُ بالقوتِ عمري	فَلِمَاذَا أزورُ زَيْداً وَعَمْرَا

6ـ الوصول إلى محبة الله:

إن شئت النزول محلَّ المحبَّة، اقصد أَولاً طريق التوكُّل. قال تعالي{فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ(159)} [آل عمران].

وإذا أحب الله عبدًا لا يُعذِّبه في النار أبدًا، وإذا أحب الله عبدًا ألقى محبَّته في قلوب عباده، وإذا أحبَّ الله عبدًا استجاب دعاءه وأعطاه سُؤْله.

7ـ دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب:

إن أَردتَ أَن يكون الفردوس الأَعلى منزلك، انزل فى مقام التوكُّل.

قال تعالي{الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59)} [العنكبوت].

وعن عِمران بن حُصَين رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: { يدخلُ الجنةَ مِن أمتى سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب ، قالوا: مَن هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يَكْتَوُون، ولا يستَرْقون ، وعلى ربهم يتوكَّلون}.[رواه البخاري]

الاكتواء: استعمال الكيِّ في البدن، وقد نهى عنه النبي (ﷺ) نَهْيَ تنزيهٍ، فتركه إمعان في التوكل.

الاسترقاء: طلب الرقية، وتركه علامة على التوكل.

8ـ زوال الهموم وتفريج الأحزان والغموم:

يَحكِي أحدُ الدعاة أن رجلًا فُصِل من وظيفته، تنكدت عليه معيشته، وصار في حزن وهمٍّ، قال الشيخ: وشاء الله أن يقابلني، فسألني عن فلان الذي يتوسط له في إرجاعه إلى وظيفته، قلت: لا أعرف الذي تريد، ولكن أعرف مَن يحل لك مشكلتك ويكفيك همك، فقال الرجل في لهفة وشوق: أيؤثِّر على فلان رئيس الإدارة ؟ قلت: نعم يؤثِّر عليه، قال: تعرفه ؟ قلت: نعم أعرفه، قال: تستطيع أن تكلمه ؟ قلت: نعم أُكلمه، وتستطيع أن تكلمه أنت كذلك، قال: مَن هو؟ قال: الله عز وجل، قُمْ في السَّحَر واشكُ له ما عندك، قال: فتأثَّرت وقمت من الليل، وصليت، ودعوت الله، ولُذتُ به وكأني أراه، ثم أصبحت وذهبت تلقائيًّا إلى رئيس الإدارة، وإذا به يقوم من مقعده ويرحِّب بي، ويسأل عن أحوالي، ولم تكن بيني وبينه عَلاقة ، فقلت له: والله موضوعي كذا وكذا، ففعل لي ما طلبت وكانت مشكلتي لم تُحل منذ ثلاثة أشهر، فقمت وأنا لا أصدق نفسي، وقلت: مَن تعلق بالمخلوق جفاه، ومَن توكل على الخالق كفاه.

ورحم الله من قال: "متى رضِيتَ بالله وكيلاً وجدتَ إلى كلِّ خيرٍ سبيلاً".

وصدق مَن قال: من اعتمد على مالِه قلَّ، ومَن اعتمد على عقله ضلَّ، ومَن اعتمد على جاهِه ذلَّ، ومَن اعتمد على الله لا قلَّ ولا ضلَّ ولا ذلَّ.

فاللهم إنا نسألك صدق التوكل عليك ، وحسن اللجوء إليك ولا تحوجنا إلا إليك واجعل اعتمادنا عليك وحدك إنك نعم المولي ونعم النصير .

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

الفصل الرابع

المعايشة الإيمانية لاسم الله الولي

ويحتوي على سبعة عناصر..

العنصر الأول : تعريف الولي .

العنصر الثاني: الفرق بين ولاية الله وولاية الناس .

العنصر الثالث : اسم الله الولي في القرآن والسنة.

العنصر الرابع : ولاية الله تعالي لعباده .

العنصر الخامس : المعايشة الإيمانية لاسم الله الولي .

العنصر السادس : أثر الإيمان باسم الله الولي .

العنصر السابع : صور ممن تولاهم الله تعالي برعايته.

العنصر الأول : تعريف الولي

المعنى اللغوي لاسم (الوليّ): الولي صيغة مبالغة من اسم الفاعل الوالي فِعله: وَلِيَ، يلي، ولاية، والولي هو الذي يلي غيره بحيث يكون قريبا منه بلا فاصل.

قال الزجاجي: تقول العرب فلان وليُّ فلان أي هو متولي أمره والقيّم بشؤونه كأنه يلي إصلاح أمره بنفسه لا يكله إلى غيره.

الولي : هو الذي يلي غيره ، من يتولى أمرك ، من يدير شؤونك ، من يرعاك ، من ترجع إليه ، من تستشيره ، من تعتمد عليه.

الولاية كمصدر تولي الأمر كقوله تعالى :{فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ (282)} [البقرة] .

والولي ضد العدو والموالاة ضد المعاداة.

المعنى الشرعي لاسم (الوليّ): الولي نصير المؤمنين وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه.

الولي: هو القريب الذي يرعاك أو المحب الذي ينصرك على أعدائك الولي.

الولي: هو أول من تفزع إليه وتقرع بابه حين تصيبك المصيبة لينصرك على أعدائك فيفتح لك ويأويك، كما في الآية قال تعالى{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى(6)} [الضحى].

الولي : هو المتولي لأمور خلقه ، القائم على تدبير ملكه ، الذي يمسك السماء أن تقع على

الأرض إلا بإذنه ، كما قال سبحانه{وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65)} [الحج] .

ويقول ابن القيم: الولي ولي الصالحين ومقيل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم أعذارهم ومصلح فسادهم والدافع عنهم والمحامي عنهم والناصر لهم والكفيل بمصالحهم والمُنَجِّي لهم من كل كرب والموفي

لهم بوعده وأنه وليهم الذي لا وليّ لهم سواه فهو مولاهم الحق ونصيرهم على عدوهم فنعم المولى ونعم النصير.

العنصر الثاني : الفرق بين ولاية الله وولاية الناس

قد يكون الإنسان قريبا منك في بعض الأوقات، فيتولى أمرك، لكنه لا يستطيع أن يكون بجوارك في جميع الأوقات، فَسَتَمُرُّ عليك أوقات لا تجده بجوارك عند شدة احتياجك إليه ؛ إما لغياب أو انشغال أو وفاة، أما ولاية الله لك فهي لا تنفكُّ عنك طرفة عين.

وولاية الإنسان تكون على عدد محدود ممن يتولاهم، فالأب وليُّ أسرته ، والزوج وليٌّ زوجته، ومدير الشركة وليٌّ على العاملين بها، والحاكم ولي على شعبه، ولكن (الوليَّ) سبحانه يتولى أمر الخلائق جميعا جملة واحدة وفي وقت واحد، فهو إن التفت إليك لم يلتفت عن غيرك، وإن رزَقَك لم ينشغل عن رزق الآخرين، فلا يشغله صوت عن صوت، ولا سؤال عن سؤال، سبحانه وتعالي جلَّ شأنه ، لا تختلف عليه اللغات، ولا تختلط عليه الأصوات.

العنصر الثالث : اسم الله الولي في القرآن الكريم

اسم الله الولي ورد مطلقاً معرفاً كما في قوله تعالى : {أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(9)} [الشورى] .

وقال تعالي {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ (257)} [البقرة].

وقد ورد هذا الاسم مقيداً (أي مضافاً) في نصوص كثيرة ، كقوله تعالى :{إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196)} [الأعراف] .

وقال تعالي:{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55)} [المائدة].

وقال تعالي:{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ

آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)}[آل عمران].
وقال تعالي :{إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122)}[آل عمران].
وقال تعالي: وقال تعالي :{لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (127)}[الأنعام].
ولا ولي سواه ، وقد ورد اسم الله الولي مطلقاً مقترنا باسم الله الحميد كما في قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28)}[الشورى] .
والسر في ذلك والله أعلم أن الله عز وجل الذي يتولى شؤون عباده ويدبر أمورهم على نحو يستوجب الحمد والثناء لاتصافه بصفات الكمال من العلم والحكمة والخبرة والعزة فولايته موصوفة بالكمال وما كمل كان جديرًا في ذاته بالحمد والثناء فكيف إذا كان في ذلك صلاح من تحت ولايته واستقامة أمورهم؟
ولذلك كان الله وحده الحقيق بالحمد على المنع وعلى العطاء وعلى المحبوب وعلى المكروه ولا يُحمد على كل حال سواه.
وورد أيضا مقترنا مع اسمه النصير مرتين منها قوله تعالى :{وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ(40)}[الأنفال].
ومرة في قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (45)}[النساء].
والسر والله أعلم أن الله عز وجل هو مولى عباده المؤمنين بولاية خاصة فهو سبحانه ناصرهم ومؤيدهم .
ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالي: هناك قريب وهناك ايضًا نصير فقد يكون هناك من هو قريب منك ولا ينصرك لكن الله ولي نصير.
وورد اسم الله الولي في الحديث الشريف: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: {إن آل أبي ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحِمٌ أبلها ببلالها

(أي أصلها بصلتها} [رواه البخاري].

العنصر الرابع : ولاية الله لعباده

الله جل جلاله هو " الولي " أي هو المتولي لأمور خلقه قاطبة ، القائم على تدبير ملكه ،يمسك السماء أن تقع على الأرض ، قال تعالى :{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ(33)} [الرعد].

يتابع كل إنسان ، إن كان حاله جيداً أكرمه ، وإن كان بعيداً عالجه ، هو المتولي أمور خلقه ، يمدهم بما يحتاجونه ، ويربي نفوسهم .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : ولاية الله جلّ جلاله لخلقه ولايتان ، ولاية عامة ، وولاية خاصة .

الولاية العامة:

الولاية العامة تقتضي العناية والتدبير، وتصريف الأمور، وتدبير المقادير، فالله من فوق عرشه قريب من عباده ، هو معهم بعلمه ، يرى ما يفعلون ، يسمع شكواهم ، يعلم أحوالهم ،

قال تعالي {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)} [ق]. أي نحن أقرب إليه من روحه ، أقرب إليه من قلبه ، هذه ولاية عامة ، ولاية إمداد ، ولاية تربية ، ولاية معالجة ، ولاية مكافأة ، ولاية تأديب ، ولاية تمكين ، ولاية إعطاء أسباب ما سأله الإنسان ، ولاية أن يعطي للمعلول علته .

هذه الولاية تقتضي الخلق والرزق والإحاطة، ومنها قوله تعالى {ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ(62)} [الأنعام].

الولاية الخاصة :

هذه ولاية خاصة لأهل الإيمان والتوكل ،ولاية الله للمؤمنين ولاية حفظ ونصر وتأييد، وتمكين ، قال الله تعالي:{ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)}[التوبة].

لم يقل علينا يعني المؤمن الصادق المستقيم ،لا ينبغي أن يتشاءم لأن الله يطمئنه " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا " " لَنْ " لتأبيد النفي " إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا

" من خير ،من حفظ ،من عطاء ،من توفيق، من نصر .
إذاً الله عز وجل يدبر حياة المؤمنين من ولايته الخاصة وهذا ثابت في كتاب الله تعالي..
وقال تعالي {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (141)} [النساء] .
وقال تعالي {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ (55)[النور].
وقال تعالي {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64)} [يوسف] .
وعد بالتأييد ،ووعد بالتوفيق ،ووعد بالحفظ ، ووعد بالتمكين.
فالمؤمن يجب أن يُؤمن يقيناً أن الله لن يتخلى عنه أبداً ، يؤكد هذا ما جاء في كتاب الله الكريم
قال تعالي {أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)} [القصص] .
وقال تعالي {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ " في الدنيا " وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)} [الجاثية]

العنصر الخامس : المعايشة الإيمانية لاسم الله الولي

نحن نحتاج إلي ولاية الله لنا ولكي نحصل علي ولايته تعالي لابد أن نعيش ونحيا مع اسمه الولي عز وجل وهذه المعايشة تكون بالآتي ....

1ـ استشعار ولاية الله تعالي لأهل الإيمان..

قال تعالي {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)} [آل عمران] .
وقال تعالي{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ (14)} [الأنعام].
ففي غزوة أحد جاء أبو سفيان أسفل الجبل والنبي والصحابة فوق الجبل، فقال "أفيكم محمد؟" فقال النبي "لا تجيبوه"، فقال "أفيكم أبو بكر؟" فقال النبي "لا تجيبوه"، فقال "أفيكم عمر؟"
فقال النبي "لا تجيبوه"، فقال أبو سفيان "لنا العزة ولا عزة لكم"، فقال

النبي "أفلا تجيبوه؟" قالوا "فبما نجيب يا رسول الله؟"
قال "قولوا الله مولانا ولا مولى لكم" فبدأ الجيش كله يقول الله مولانا ولا مولى لكم. [رواه ابن حبان وصححه الألباني].
قال تعالي : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (11)}[محمد].

2- الإيمان والتقوى:

قال تعالي: {أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(63)} [يونس].
أسهل وأجمل تعريف للتقوى هو أن يجدك حيث أمرك، ويفتقدك حيث نهاك، وللتقوى تمام كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «تمام التّقوى أن يتَّقي اللهَ العبد حتى يتَّقيَه من مثقال ذرَّة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، يكون حجابا بينه وبين الحرام».
من أجل أن يكون الله ولينا ينبغي أن نكون أولياءه بطاعتنا له وتوكلنا عليه.
من كان الله معه فمن عليه : لذلك سيدنا موسى ماذا قال أصحابه ؟ قال تعالي {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)} [يونس] .
وهذا سيدنا محمد (ﷺ) وهو في الغار ، يقول له الصديق : { نظرتُ إلى أقدام المشركين ونحن في الغار على رؤوسنا ، فقلت : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قَدَمَيه أبْصَرَنَا تحت قدميه ، فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما } [البخاري ومسلم] .
إذا كان الله معك فمن عليك ؟
وإذا كان عليك فمن معك ؟
ويا رب ماذا فقد من وجدك ، وماذا وجد من فقدك ؟
من أجل أن يكون الله وليك ينبغي أن تكون وليه ، يعني بطاعته ، وعبادته ، والتقرب إليه .

ورد في الأثر : {عبدي كن لي كما أريد أكن لك كما تريد ، أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد}.
فمن أجل أن يكون الله ولينا ينبغي أن نكون أولياءه بطاعتنا له ، ومعرفتنا به وتوكلنا عليه .

3ـ المحافظة على الفرائض والنوافل :

ففي حديث الولاية: "من عاد لي وليا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي من ما أفترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه"
وهم كل من علم علما فعمِل به كما رآهم الشافعي فقال: «إن لم يكن الفقهاءُ العاملون أولياء الله فما لله وليٌّ».

4ـ تولَّ أمور الناس ليتولاك الله:

تولَّ أمر أرملة أو فقير أو يتيم أو مسكين، وخاطب ربَّك بلسان الحال: قد وليتُ أمر هؤلاء، فتولَّ أنت أمري يا وليي!
الولي مصلحٌ في الأرض وليس براهبٍ في صومعة، بل صومعته بين الناس، ومحرابه ساحة المجتمع، وصيده قلوب الغافلين، وهي أمانة ثقيلة على كل مسلم؛ علِم ما لم يعلم غيره، ورزقه الله ما لم يرزق به غيره..
يقول النبي (ﷺ) "ما من رجل يلي أمر من أمور المسلمين ثم لم يجهد لهم ويتعب إلا لم يكن معهم في الجنة".
هذا سيدنا عمر بن الخطاب قبل أن يكون أمير المؤمنين وهو خارج من صلاة الفجر كل يوم جمعة كان يجد سيدنا أبو بكر الخليفة يجري إلى بيت في أطراف المدينة، ويدخل ثم يخرج وقد امتلأ بالعفرة والتراب، فتتبعه سيدنا عمر في يوم حتى خرج، فطرق الباب فإذا بسيدة عجوز عمياء تفتح له ومعها ثلاثة أطفال وشاه، فقال لها عمر: "من هذا الذي يأتيكم؟".
فقالت: "والله لا أدري، هذا رجل يأتينا كل جمعة بعد الفجر يكنس

البيت ويحلب الشاة ويغسل الثياب ويطبخ الطعام، يفعل ذلك كل يوم"، فبكى عمر وقال: "أتعبت من بعدك يا أبا بكر".

5ـ موالاة المؤمنين:

وهي محبتهم ونصرتهم والانتماء إليهم عقيدة إيمانية قلبيه، وشعيره دينية، ورابطة أخوية اجتماعية قويه في المؤمنين، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71)}[التوبة].

من أراد أن يعلم هل هُوَ مِن أولياء الله، فلينظر كيف ولاؤه لمن والاه، وعداوته لمن عاداه، والموالاة هي القرب والنصرة ورعاية المصالح.

إن القريب له حق الصلة ولو كان كافرا، لكن ليس له حق الولاية من المحبة والنصرة، فلا يُوالَى ولا يُناصَر لما هو عليه من الباطل، فالمؤمن يوالي المؤمنين، ويحمل همَّهم، ويتألم لألمهم ، ويسعد لسعادتهم، ويدافع عنهم، وأما أقرباؤه إن كانوا غير مسلمين، فلهم عليه حقٌّ واجب يؤديه، لكن قلبه مع المؤمن.

عرف ربه الولي من والى المؤمنين وأحب الصالحين وفتح قلبه للمتقين ، وما عرف ربه الولي من عادى أولياء الله وآذاهم، فتعرَّض لسخط الله ومحاربته.

6ـ عدم موالاة الكافرين:ـ

ومن والى الله كيف يوالي أعداءه؟! قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)} المائدة.

أي لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتعاشرونهم، بل وتعينونهم على إخوانكم، ثم علَّل النهي بقوله {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}، فكل هؤلاء أعداء للمؤمنين، ولا فارق بينهم، وفيه دليل على أن الكفر ملة واحدة، ثم هدَّد الله من خالف أمره:

{وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب عدم موالاة أعداء الدين مطلقا.

وقال تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ (28)} [آل عمران].

والأولياء هم الأنصار، والاتخاذ هنا يفيد معنى التعمد والمثابرة، وفيه مكاشفتهم بالأسرار الخاصة بمصلحة الدين، وقوله: ﴿من دون المؤمنين﴾ قيد في هذا الاتخاذ، أي لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وأنصارا في شيء تُقدَّم فيه مصلحتهم على مصلحة المؤمنين

لقد تأول المفسرون قوله: ﴿ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم﴾ بأحد تأويلين:

الأول: بحمل الولاية على الولاية الكاملة التي فيها الرضا بدينهم والطعن في دين الإسلام، فمن تولاهم في هذه الحال فهو منهم في الكفر والخلود في النار.

والثاني: أن يتولاهم بأفعاله من المساعدة والعون دون أن يعتقد معتقدهم ولا أن يخِلَّ بمقتضيات الإيمان، فهو مشارك لهم في المقت والذم الواقع عليهم.

وأما ما عدا ذلك كالتجارة والمعاملات الدنيوية، فلا تدخل في ذلك النفي؛ لأنه ليس فيها محادة لله ورسوله، ثم قال ربنا بعدها:

قال تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)} [المائدة].

وجملة ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ إلى آخرها متصلة بجملة {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض(51)} [المائدة].

فموقعها موقع تعليل هذا النهي، لأن ولاية المؤمنين لله ورسوله ثابتة، ومن كان الله وليه لا يكون أعداء الله أولياءه، وتفيد الجملة تأكيد النهي عن موالاة اليهود والنصارى.

قال أبو الوفاء بن عقيل : (إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان ، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع ، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك ، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة).

وقد أمر القرآن الكريم المؤمنين بالبراءة من أهل الكفر والمشركين وإن كانوا من الأقربين :

وذلك تحقيقاً لقوله تعالى {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ(22)} [المجادلة].

قال ابن مسعود رضي الله عنه نزلت في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل أباه يوم بدر وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة وأبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله.[الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي].

فقضية الولاء والبراء قربت بلالاً الأسود، وأقصت أبا لهب الأحمر، وقضية الولاء والبراء قربت صهيباً الرومي وأبعدت أبا جهل القرشي المخزومي ، وقضية الولاء والبراء قربت سلمان الفارسي وأبعدت كل نسيب وكل حسيب من أرومة قريش أو من جرثومتها.

7- الدعاء باسم الله الولـــي :

قال تعالي :{ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ(180)}الأعراف.

فادعوه بها مسألة وطلبا، «يا وليَّ الإسلام وأهله .. مسِّكْني الإسلام حتى ألقاك عليه».

اللهم فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ ، أنت وليِّي في الدنيا والآخِرَة، توفَّني مسلما، وألحِقني بالصَّالحين.

أسألك بالولي اجعلني سِلما لأوليائك، وحربا على أعدائك، أحب بِحُبِّك من أحبك، وأعادي بعداوتك من عاداك.

أسألك بالولي تولَّ أمري، ولا تتخلَّ عني..

أسألك بالولي اجعل ولائي وولايتي للمؤمنين، واجعل عداوتي للظالمين والممعتدين ..

أسألك بالولي. تولَّ أمري، ولا تتخلَّ عني..

العنصر السادس : أثر الإيمان باسم الله الوليّ

لو عاش المسلم حياة حقيقة مع اسم الله الولـي لمنحه الله عدة منح وعطايا في الدنيا والآخرة فماذا سيعطيك الله إذا تولى أمرك؟

1-لا خوف ولا حزن :

يقول الله تعالى{أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (62)}[يونس].

ليس هناك خوف في الدنيا ولا حزن في الآخرة ، أو لا يخافون على ذريتهم فإن الله تعالى يتولاهم ،ولا هم يحزنون على دنياهم لأن الله تعالى يعوِّضهم عنها.

2- البشري في الدنيا والآخرة:

أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحَسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة كما يقول المولى عز وجل في الحديث القدسي قال (ﷺ): «إن الله إذا أحبّ عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال: إني أحب فلاناً فأحبه»، قال: «فيُحبّه جبريل، ثم يُنادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبُّوه فيُحبّه أهل السماء» قال: «ثم يوضع له القبول في الأرض»،

وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

وأما البشرى في الآخرة فهي بالجنة والرضوان من المولى عز وجل، والبُشرى لهم عند الموت، يقول المولى عز وجل:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (32)}[فصلت] .

تُبشِّرهم الملائكة في لحظة الاحتضار بالجنة، وليس هذا فقط وإنما هم لأنهم لا يخافوا في الدنيا فاستحقوا أن يؤمنهم ربهم يوم القيامة من

الفزع الأكبر؛ إذ يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ(103)} [الأنبياء]، هكذا أولياء الله في مناً عن النار لا يسمعون صوتها فضلاً عن أنهم لا يرونها".

3- يُنير لك حياتك :

أهم فوائد الولاية الربانية للعبد: هدايته وإخراجه من الظلمات إلى النور.. قال تعالي:{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (257)} [البقرة].

وينور قبرك، وينور لك يوم القيامة والصراط.

والظلمات جمع، والنور مفرد لأن الحق لا يتعدد أما الباطل فيتعدد سبله، ومن هنا خط النبي (صلى الله عليه وسلم) خطا مستقيما للصراط المستقيم، وخطَّ حوله خطوطا من حواليه هي سبُل الشيطان: قال تعالي :{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ (153)} [الأنعام]

4- النصر:

أنت منصور إذا تولى الله أمرك، وينتقم ممن أذاك، يقول الله تبارك وتعالى {بَلْ اللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ(150)} [آل عمران].

وقال تعالي :{وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ(56)} [المائدة].

وقال تعالي {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا(51)} [غافر] .

وقال تعالي {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)} [الصافات] .

وقال تعالي {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47)} [الروم] .

ولقد نصر الله تعالي نبيه (ﷺ) نصراً مؤزراً يوم بدر رغم عدم تكافؤ القوي قال تعالي{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123)} [آل عمران].

وقال تعالي:{ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)}[البقرة].

5ـ الكرامات :

ما هي الكرامة؟

هي أمر خارق للعادة يظهره الله علي يد الرجل الصالح، والكرامة ثابتة، لكن الكرامة لها شرط هام ودقيق جداً، وهو أن تكون حياة الشخص الذي تحدث له الكرامة موافقة للكتاب والسنة، أي يُنظر إلى عبادته، وأخلاقه، ومدى التزامه وانضباطه على الكتاب والسنة، ولا يجوز أن يكون مقصود العبد بالعبادة تحصيل الكرامة، بل عبادة الله لطلب مرضاته وثوابه، وخوفا من عقابه، والكرامات قد تأتي تبعا لذلك، وقد لا تأتي.

وأعظم الكرامة ليس في ظهور خوارق العادات الحسية بل في الكرامة الإيمانية بلزوم الاستقامة هذا هو المقياس لأن من الممكن أن تجد دجالاً يفعل أشياء خارقة فتظنه من الأولياء، لذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالي :"إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تصدقوه حتى تعرضوه على الكتاب والسنة".

ويجمع هذه النقاط هذه الحديث القدسي .. عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال النبي (ﷺ) فيما يرويه عن رب العزة سبحانه وتعالي ..عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ): إن الله قال { من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه } [رواه البخاري] .

من يعادي وليّ أعلنت عليه الحرب، إعلان الحرب من الله تعالي علي أحد لم تأت إلا في هذا الموضع ، وفي موضع آخر فقط مع من يتعامل بالربا {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (279)} [البقرة].

ومن كرامات الصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعا ،هذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يرسل جيشا بقيادة سيدنا سارية ليقابل الروم، سيدنا ساريه خائف من مقابلة الروم ولا يعلم من أي طريق يقابلهم، أيحتمي بالجبل أم يلاقيهم من جهة أخرى؟
فإذا بالفاروق عمر رضي الله عنه وهو على المنبر يخطب في المدينة، يقول "يا سارية الجبل الجبل"، وعندما عاد سارية منتصراً بعد المعركة قالوا له "كيف انتصرت؟" قال "سمعت صوت عمر بن الخطاب يقول لي الجبل الجبل فلجأت إلى الجبل فانتصرنا".
وهذا سيدنا العلاء الحضرمي رضي الله عنه الذي أرسله النبي (ﷺ) في غزوة من الغزوات وأمره أن يذهب لمكان محدد هو وأصحابه، ويشتد عليهم العطش، ويتيهوا في الصحراء، والسماء خالية من السحب، وبينما هم كذلك رفع العلاء يديه وقال "اللهم إني أقسم عليك أن تسقينا، اللهم يا علي يا عظيم يا ولي المؤمنين أغثنا وأسقينا".
يقسم أصحابه يقولون "فوالله رأينا السحب تتجمع في السماء حتى شربنا وسقينا، فعدنا إلى أصحابنا نقول لهم إن لم تصدقونا كيف عدنا إليكم؟"، رجوعنا دليل كاف على ما حدث.

6ـ سكينة القلب:

الإنسان إذا أطاع الله شعر براحة كبيرة ، إذا أطاع الله شعر بالأنس ، شعر بحماية الله تعالي ،هو في ظل الله ، هو في رعايته ، معنى قوله تعالى :{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ(48)} [الطور]. أي برعايتنا ، وبحفظنا ، وبتوفيقنا ، وبتأييدنا ، وبنصرنا .
تخيَّل أن الله هو ولي أمرك، فكيف يكون حالك؟!
من أطاع الله شعر براحة لا توصف لأنه بظل الله ورعايته .
من قام بحقِّ الله تولّى الله أمره على وجه الكفاية، فلا يُحوِجه إلى أمثاله، ولا يدع شيئا من أحواله إلا أجراه له على ما يتمناه، فاطمئن لرعاية الله لك.

العنصر السابع : صور ممن تولاهم الله تعالي

الولي سبحانه وتعالي لا يترك أولياءه أبدا، قال تعالي { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38)}[الحج].

فهذه صور ممن تولاهم الله تعالي من الأنبياء والسلف الصالح ....

1- من الأنبياء

ـ سيدنا نوح عليه السلام كان بالأمس يُسَب ويُستهزأ به ويُضرب فيرفع يده ويقول ربي {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14)} [القمر].

ـ وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام، بالأمس يُلقى في النار، قال تعالي { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69)}[الأنبياء].

بعد قليل يصير نموذج للأمة ويبني البيت الحرام قال تعالي { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)}[البقرة].

ـ وهذا سيدنا إسماعيل الذبيح عليه السلام ، بالأمس يضجع مستسلماً للذبح وتوضع السكين على رأسه، ثم بعد قليل يصير هو نموذج يفدى إلى يوم القيامة.

ـ وهذا سيدنا يعقوب عليه السلام، بالأمس يفقد يوسف ويفقد عينيه، ثم بعد قليل يعود إليه بصره، ويعود معه الحبيب يوسف عليه السلام

ـ وهذا سيدنا يوسف عليه السلام ، تولى الله أمره، فأحوج القافلة للماء في الصحراء ليذهبوا إلى البئر، ثم أحوج عزيز مصر للأولاد ليتبنى سيدنا يوسف، ثم أحوج الملك للرؤيا وتفسيرها ليخرجه من السجن، ثم أحوج مصر بأكملها للطعام ليكون عزيز مصر، كل هذا من أجل عبده الذي تولى أمره، انظر إلى آخر سورة يوسف {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)}

[يوسف]. أتمم ولايتك عليَّ في القبر وتوفني مسلماً وأدخلني الجنة كما توليت أمري طوال حياتي.

ـ وانظر إلى سيدنا موسى عليه السلام، بالأمس يُطرد من مصر ويخرج منها خائفاً يترقب، ثم بعد قليل ينتصر ويعود إليها ويصبح كليم الله ويبلغ منزلة التكليم.

ـ وتولى الله أمر مريم بنت عمران وهي في شدة الضيق والهم والخوف والقوم والناس، أي شدة عاشتها هذه المرأة ، لكن الله تولى أمرها وكذلك يتولى الصالحين قال تعالى {فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25)فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)}[مريم]، قري عيناً ، ويصبح سيدنا عيسي نموذج للبشرية إلى يوم القيامة، لأن الولي سبحانه هو من يتولى أمورك .

ـ وانظر إلى سيدنا محمد (ﷺ) ، بالأمس يقال عنه اليتيم ويخرج من مكة، ثم يعود إليها فاتحاً ويقول لأهل مكة الذين عذبوه وآذوه {اذهبوا فأنتم الطلقاء} (ﷺ) .

ولذلك قال النبي (ﷺ) كما أخبر القرآن الكريم {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196)} [الأعراف].

2- من الصحابة والتابعين:

ـ هذا الصحابي الجليل سيدنا عاصم بن ثابت رضي الله عنه ، أرسله النبي (ﷺ) ليعلمهم، فغدروا به وأرادوا أن يقتلوه، فقال "اللهم إني أقسم عليك أن لا يمسني كافر"، فرموه بالسهام فقتل، فذهبوا ليأخذوا جسمانه من أجل أن يبيعوه لأهل مكة ويأخذوا ثمنه، فأرسل الله الدبابير تغطي جسمانه، كلما اقتربوا لدغتهم، فقالوا "إذن ننصرف إلى الليل فتنصرف الدبابير ثم نأخذها ونبيعه".

فما إن جاء الليل حتى أرسل الله سيلا من الماء فأخذ الجثة واختفت، فقالوا "أقسم على الله فأبر له الله بقسمه".
انظروا أيها السادة الأكارم ... إلى ما يفعله مع أوليائه، ولكن لماذا تعرضوا لكل هذا الأذى؟
تزيد عليك المصائب من أعدائك لتعلم الأرض كلها من ولي أمرك، فرعون لم يعرف ولي أمر سيدنا موسى عليه السلام إلا وهو يغرق، قال تعالي: {قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)} [يونس].
وأخيرا... علينا أن نعلم أن الخير كله ، والنجاح كله ، والفلاح كله ، والتوفيق كله ، والتفوق كله أن تكون ولياً لله ، ولن تكون ولياً له إلا إذا أطعته سبحانه وتعالي في كل مناحي الحياة كما قال تعالي{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)}[الأنعام].
فلابد من محاسب النفس ،فحاسب نفسك تعرِف ربَّك....
- هل تحرص على أن تكون من أهل ولايته بالقرب منه بالفرائض والانتظام في النوافل؟!
- هل توالي من والى الله وتعادي من عاداه؟!
- هل تحرص على بسط ولايتك للمؤمنين بالأقوال والأفعال والأحوال
- هل تراجع نفسك في تقواك وتحاسبها على ما فرط منها كي لا تنزع ولاية الله عن نفسك؟!
- هل توالي الله في العلن وتعاديه في السِّر؟!
- هل تستحضر معنى أن تكون وليا لله في مجال عملك وساحة جامعتك بأن ترقب الله وتتقيه؟
فاللَّهُمَّ اهْدِنا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِنا فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنا شَرَّمَا قْضَيْتَ، إِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة وعلي سيدنا رسول الله (ﷺ).

الفصل الخامس

المعايشة الإيمانية لاسم الله العفو .

ويحتوي على ثمانية عناصر..

العنصر الأول : من معاني العَفُو.

العنصر الثاني: اسم الله العَفُو في القرآن الكريم.

العنصر الثالث : الفرق بين العفو والغفران .

العنصر الرابع : من مظاهر العَفو الإلهي.

العنصر الخامس : موجبات العفو الإلهي.

العنصر السادس: التخلق بخلق العفو.

العنصر السابع : فوائد خلق العفو.

العنصر الثامن : ضوابط في العفو .

العنصر الأول : معاني العَفُو

من معاني العفو :

يرى الإمام الرازي أنَّ العفوَ له معنيان..

" المعنى الأول : هو المحو والإزالة "..

يقال عفت الديار إذا دَرَسَت وانطمست معالمها، وذهبت آثارُها..

وعلى هذا فالعفو في حقِّ الله تعالى عبارةٌ عن إزالة آثار الذنوب، أي تذكُّرها، وتذكُّر الذنب يحجب عن الرب لو أنَّ الله لم يُعاقب، لكن لمجرَّد أن تذكر ذنبك تستحي من ربِّك، فمن أسماء الله الحُسنى أنَّه عَفُّو يُنسيك هذا الذنب، وهذه من رحمة الله بنا.

فهل هناك أحد لم يقُل كلمةً غير مناسبة طوال حياته ؟

العفو هو التجاوُزُ عن الذنب وتَرْك العِقاب عليه، وأَصله المَحْوُ والطمْس ..

المعنى الثاني في حقِّ الله تعالى:

العفو يأتي على معنى الكثرة والزيادة، فعَفوُ المالِ هو ما يَفضُل عن النَّفقة كما في قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ(219) } [البقرة]

فالعفوَ أي الفضل، فالله عزَّ وجلَّ يمحو ذنوب عباده ويتفضَّل عليهم بفضله، هذا أسموه التخلية والتحلية، التطهير والتعطير، العفو والرحمة، يمحو ويُكرم، يطهِّر ويعطِّر، يشفي ويزكِّي..

فالعفو لا يعني أنه محى الذنوب، وستر العيوب فقط، لا.. بل أعطاك من فضله ما شاء فوق ما محا .

وقال بعضهم " العفو هو أن تزول عن النفوس ظلمة الزلاَّت برحمته، ووحشة الغفلات عن القلوب بكرامته ".

وقيل "العفو الذي أزال الذنوب من الصحائف، وأبدل الوحشة بفنون اللطائف ".. إزالة، وعطاء.

قال الإمام القشيري: " العفوُّ هو الذي يمحو آثار الذنوب، ويُزيلها بريح المغفرة، فهو يمحو الذنوب من ديوان الحفظة حتى إنّه يُنسيها

من قلوبهم ومن قلوب المذنبين..
أو هو الذي يترك المؤاخذة على الذنوب ولا يُذكِّر بالعيوب ".
وَ العَفْو فِي حَدِيثِ أَبي بَكْرٍ : {سلوا اللهَ العفوَ والعافية؛ فإنَّ أحدًا لم يُعطَ بعد اليقين خيرًا من العافية... }[رواه الترمذي وصححه الألباني]
فأَما العَفْوُ: فَهُوَ مَا وصفْناه مِنْ مَحْو اللَّهِ تَعَالَى ذُنوبَ عَبْدِهِ عَنْهُ.
وأَما الْعَافِيَةُ: فَهُوَ أَن يُعافيَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سُقْمٍ أَو بَلِيَّةٍ وَهِيَ الصِّحَّةُ ضدُّ المَرَض.
يُقَالُ: عافاهُ اللَّهُ وأَعْفَاه أَي وهَب لَهُ الْعَافِيَةَ مِنَ العِلَل والبَلايا.
وأَما المُعافاةُ: فأَنْ يُعافِيَكَ اللهُ مِنَ النَّاسِ ويُعافِيَهم منكَ، أي: يُغْنيك عَنْهُمْ وَيُغْنِيَهِمْ عنك ويصرف أَذاهم عَنْكَ وأَذاكَ عَنْهُمْ، وَقِيلَ: هِيَ مُفاعَلَة مِنَ العفوِ، وَهُوَ أَن يَعْفُوَ عَنِ النَّاسِ ويَعْفُوا هُمْ عَنْهُ. [لسان العرب]
هذه كلُّها من معاني العفو.. فما عليك إلا أن تقول يا رب لقد تُبت إليك..
وقد ورد أنَّه إذا قال العبد: يا ربِّ وهو راكع. قال الله: لبَّيك يا عبدي.
وإذا قال العبد: يا ربِّ وهو ساجد. قال: لبَّيك يا عبدي فإذا قال العبد وهو عاصٍ: يا ربِّ تبتُ إليك وأنا عاصٍ. قال: لبيّكَ ثم لبَّيك ثم لبَّيك.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): {لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ الْعَقِيمِ الْوَالِدِ ، وَمِنَ الضَّالِّ الْوَاجِدِ ، وَالظَّمْآنِ الْوَارِدِ } [رواه مسلم]

العنصر الثاني :اسم الله العفوُّ في القرآن الكريم

ورد اسم الله العفوُّ في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة تزيد عن تسعٍ وثلاثين آية.. ومن هذه الآيات...
قوله تعالى {فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43)} [النساء].
وقوله تعالي{فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (99)} [النساء].
وقوله تعالي {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَفُوًّا قَدِيرًا (149)} [النساء]
وقوله عزَّ وجلَّ {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ(60)} [الحج].
وقوله تعالى {وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ(2)} [المجادلة]
ولو نظرنا في القرآن الكريم نجد أن اسم الله العفو لا يأتي إلا مع الذنوب الكبيرة الرهيبة، كـ بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (51)} [البقرة]
هذه لا تكفيها توبة عادية، ولذلك قال بعدها: { ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)} [البقرة] .
وكذلك الذين تولوا عن رسول الله في معركة أحد {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ...(155)} [آل عمران].
فلو صار الحاجز كبيراً فأنت بحاجة لاسم الله العفو.
انظروا لهذه الآية ما أجملها! {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ(30) } [الشورى].
انظروا لقوله تعالى: يعفو عن كثير! فلو حاسب الله الناس بما كسبت أيديهم لما بقوا في الدنيا يوماً واحداً، ولكنه سبحانه يعفو عن كثير، لأن الكثير بحاجة إلى عفو، فيقود إلى توبة.
قال تعالي {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45)} [فاطر].

العنصر الثالث : الفرق بين العفو والغفران

يتمثّل الفرق بين العفو والغفران في أمور عديدة أهمّها:

ـ أنَّ الغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثّواب، ولا يستحقّه إلّا المؤمن ولا يكون إلّا في حقّ البارئ سبحانه وتعالى {وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ..(135)} [آل عمران]

ـ أمّا العفو فإنّه يقتضي إسقاط اللّوم والذَّمُّ، ولا يقتضي نيل الثَّواب ويُستعمل في العبد أيضًا.

ـ العفو قد يكون قبل العقوبة أو بعدها، أمّا الغفران؛ فإنّه لا يكون معه عقوبة البتَّة ولا يوصف بالعفو إلّا القادر عليه.

ـ في العفو إسقاط للعقاب، وفي المغفرة ستر للذّنب وصون من عذاب الخزي والفضيحة.

يقول الإمام القرطبي : العفو أن الله سبحانه وتعالى يعفو عن خلقه، وقد يكون هذا العفو بعد العقوبة أو قبلها.

أي هذا الذنب يستحق عقاباً معيناً، هذا المذنب يتحمل وزر هذا الذنب، العفو :هو الذي لا يعاقب على هذا الذنب، أو يعاقب في الدنيا ويعفو في الآخرة، من أقيم عليه حدّ يعد إقامة الحد عليه سبباً لعفو الله عنه في الآخرة.

أما المغفرة لا يوجد معها عقاب، المغفرة أوسع من العفو، المغفرة لا عقاب معها أما العفو قد يكون عفواً في الدنيا قبل العقاب وقد يكون عفواً في الآخرة بعد العقاب.

العفو إسقاط العقاب والغفران ستر للذنب وصون عن الفضيحة.

العنصر الرابع: من مظاهر العَفو الإلهي

تأمل الآيات والأحاديث التي تتحدث عن عفو الله الكريم، وتأمل حركة الكون تجد كرما عظيما من الله تعالي ليس له نظير:

فمن مظاهر العفو الإلهي :-

1ـ رحمة الله تعالي بالعصاة والمذنبين :

ورد في الأثر :{أوحى الله لداود : يا داود لو يعلم المدبرون عني

شوقي لعودتهم ورغبتي في توبتهم ، لذابوا شوقاً إليَّ ، يا داود هذه رغبتي في المدبرين عني فكيف محبتي في المقبلين عليَّ ؟} [احياء علوم الدين]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): {للهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبدِه المؤمن من رجُلٍ في أرضٍ دوّيَّةٍ مهلِكة، معه راحلَتُه عليها طعامُه وشرابُه، فنامَ فاستيقظَ وقد ذهبَت، فطلبَها حتى أدركَه العطش، ثم قال: أرجعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيه فأنامُ حتى أموت، فوضعَ رأسَه على ساعِدِه ليموت، فاستيقظَ وعنده راحِلتُه وعليها زادُه وطعامُه وشرابُه، فالله أشدُّ فرحًا بتوبة العبدِ المؤمن من هذا براحلتِه وزادِه}. [رواه مسلم].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ)يقول: قال الله تبارك وتعالى:{يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة} [رواه الترمذي وصححه ابن القيم وحسنه الألباني].

وتأمل في كرم الله وعفوه وهو يقول لسيدنا موسي وأخيه هارون عليهما السلام :{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) } [طه]

إذا كانت رحمتك بمن قال أنا ربكم الأعلى هكذا فكيف رحمتك بمن قال سبحان ربي الأعلى ؟

إذا كانت رحمتك بمن قال ما علمت لكم من إله غيري فكيف رحمتك بمن قال لا إله إلا اله ؟

ومن سعَة عفو الله تعالي مُناداةُ الكافرين إلى التوبة: قال تعالي {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ(38)}[الأنفال].

فإذا كان يُغفَرُ للكفار ما قد سلَف؛ فكيف بعُصاة المؤمنين إذا تابُوا؟!

ويقول سبحانه في الحديث القدسي: {قالت السماء: يا رب ائذن لي أن

أسقط كسفاً على ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك، وقالت الأرض: يا رب ائذن لي أن أخسف بابن آدم فقد طَعِم خيرك ومنع شكرك، وقالت الجبال: يا رب ائذن لي أن أسقط على ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك، وقالت البحار: يا رب ائذن لي أن أغرق ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك}

فالكون كله ناقم على الكافرين، متمرد على العصاة، مغتاظ منهم، فماذا قال الحق تبارك وتعالى لهم؟ قال سبحانه: دعوني وخَلْقي، لو خلقتموهم لرحمتموهم، فإنْ تابوا إليَّ، فأنا حبيبهم، وإنْ لم يتوبوا فأنا طبيبهم)

ـ وجاء رجل إلى النبي(ﷺ)، فقال: يا رسول الله، إني شديد الذنوب، أرأيتَ إن تبتُ إلى الله الليلة يعفو عني؟

فقال له النبي: نعم، فقال: يا رسول الله، وغدراتي وفجراتي؟

قال: يعفو عنك، وغدراتك وفجراتك، فقال: يا رسول الله، وغدراتي وفجراتي؟ قال: يعفو عنك، وغدراتك وفجراتك، فمضى الرجل وهو يقول: الله أكبر! الذي يعفو عن الغدرات والفجرات}.

لذلك طمع السلف في عفو الله وكرمه ،حيث جاء أعرابي إلى النبي(ﷺ) فقال: (يا رسول الله، من سيحاسب الناس يوم القيامة؟

فقال النبي: الله، فقال: بنفسه؟

فقال النبي (ﷺ): بنفسه، فقال الأعرابي: الله أكبر! وابتسم، فقال النبي (ﷺ): لِمَ يبتسم الأعرابي؟

قال: يا رسول الله، إن الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح، فابتسم النبي وقال: فَقِهَ الأعرابي أي فهم ألا لا كريم أكرم من الله عز وجل.

وهذا سليمان الدارني أحد التابعين يقول: لئن سألني يوم القيامة عن ذنوبي لأسألنه عن عفوه، لأني لا أجد لي مخرَجاً إلا أن أسأله عن عفوه.

2ـ سَتْرُه سبحانه وتعالي للعبد:

أن الله تعالي ينسيك الذنب، وينسيه للملائكة وملَك الشمال، ويُمحَى من

صحيفة السيئات، وتأتي يوم القيامة لا يذكّرك به ولا يسألك عنه، أنت لم تخطئ، قال تعالي {وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21)} [ق].

أحياناً يكون للإنسان في جهة من الجهات صحيفة مسجلَّة فيها سيّئاته وسلبياته فإذا أُحرِقت، أو شُطبت، أو طُويت، أو أهمِلت، انتهى الأمر وغدا أبيض الحائف، العفوُّ هو الذي يمحو السيّئات لهذا قال عليه الصلاة والسلام: {إذا تاب العبدُ توبةً نصوحا، أنسى الله حافظيه، والملائكة، وبقاع الأرض كلُّها خطاياه وذنوبه}

وعن ابنُ عمرَ رضي الله عنه قال النبي(ﷺ): {يُدنى المؤمن من ربه حتى يضَع عليه كنَفَه، فيقرِّرُه بذنوبه: تَعْرِفُ ذَنْبَ كذا وكذا ؟ فيقول: أعرف ربِّ، أعرفُ، فيقول سَتَرْتُها عليك في الدنيا، وأغْفِرُها لك اليومَ، ثم تُطوى صحيفةُ حسناته.}[البخاري]

لاحظوا أن الذنوب موجودة في الصحيفة فيقول: نعم يا رب، فيظن العبد أنه هالك، فيقول له الله: سترتها عليك في الدنيا وها أنا أغفرها لك اليوم) هذه مغفرة.

كل إنسان سيرى عمله يوم القيامة قال تعالي {مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) } [الكهف]

لكن العفُوّ ماذا يقول لك يوم القيامة؟ { يا فلان، إني راضٍ عنك لما فعلت في الدنيا، قد رضيت عنك وعفوت عنك، اذهب فادخل جنتي}

أرأيت الفرق بين هذه وتلك؟ فأي منزلة تريد أنت؟

والعفُوّ تلقاه يوم القيامة فيقول لك: { تمنَّ يا عبدي واشتهي، فإني قد عفوت عنك، فلن تتمنى اليوم شيئاً إلا أعطيتك إياه}.

3ـ من سعَة عفوِ الله مُضاعفةُ الحسنات، والثوابُ على الهمّ بها دون السيئات :

فعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما ،عن النبي (ﷺ) فيما يروي عن ربِّه عز وجل قال: {إن الله كتبَ الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك؛ فمن همَّ

بحسنةٍ فلم يعمَلها كتبَها الله له عندَه حسنةً كاملةً، فإن هو همَّ بها فعمِلَها كتبَها الله له عنده عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعمَلها كتبَها الله له عنده حسنةً كاملةً، فإن هو همَّ بها فعمِلَها كتبَها الله له سيئةً واحدةً}.[رواه البخاري]

4ـ من جميل عفوِ الله أن يُبدِّلُ السيئات حسنات:

فإذا أقلَع العبدُ عن الحرام، وباشَرَ أسبابَ التوبة والطاعة؛ ازدادَ إيمانًا مع إيمانِه؛ فتقوَى شواهِدُ الإيمانِ في قلبِه، فيُكرِمُه الله بجميلِ عفوِه، قال الله تعالى:{لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ(35)} [الزمر].

فما أوسعَ وأجملَ عفوه سبحانه، المرءُ يعصِي، ويُذنِب، ويسرِق، ومع ذلك يُبدِّل الله السيئات حسنات.. أيُّ كرمٍ هذا؟! وأيُّ فضلٍ أعظمُ من هذا الفضل؟!

قال تعالي {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)} [الفرقان].

5ـ من سعَة عفوِ الله أن رحمتَه تسبِقُ غضبَه، وعفوَه يسبِقُ عقابَه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: سمعتُ رسولَ الله (ﷺ) يقول: {إن الله لما قضَى الخلقَ، كتبَ عندَه فوقَ عرشِه: إن رحمتِي سبقَت غضبِي} [أخرجه البخاريُّ]

وعن أبي سعيدٍ الخُدري وذكرَ من يشفعُ بإذن الله في إخراجِ أقوامٍ من النار، فيقول الله عز وجل: {شفَعَت الملائكة، وشفَعَ النبيُّون، وشفَعَ المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمين. فيقبِضُ قبضةً من النار، فيُخرِجُ منها قومًا لم يعمَلوا خيرًا قطُّ، قد عادُوا حممًا، فيُلقِيهم في نهرٍ في أفواهِ الجنَّة يُقال له: نهرُ الحياة، فيخرُجون كما تخرُج الحِبَّة في حَميل السَّيل}.[رواه مسلم].

6ـ من سعَة عفوِ الله إمهالُ عبادِه قبل مُؤاخَذَتهم:

فالله سبحانه يُقابِلُ جهلَ العباد بالحِلمِ، والذنوبَ بالمغفرة، والمُجاهَرةَ بالسَّتر، والجُحودَ بالإنعام، كما في الحديث: {لا أحدَ أصبرُ على أذًى

يسمعُه من الله عز وجل؛ إنه يُشرَكُ به، ويُجعلُ له الولد، ثم هو يُعافِيهم ويرزُقُهم}. [رواه مسلم].

قال تعالي {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61)} [النحل] .

7ـ من سعَة عفوِ الله تنوُّع مُكفِّرات الذنوب:

من سعة عفو الله تعالي أن فتح للعبد أبواب كثيرة يدخل منها علي الله تعالي وتكون تكفيرا لذنوبه فمن مُكفِّرات الذنوب:

إسباغُ الوضوء، وذِكرُ الله عقِبَ الفرائِض، وكثرةُ الخُطا إلى المساجِد، وصيامُ رمضان، وصيامُ يوم عرفة، ويوم عاشُوراء، وقول: سبحان الله وبحمده مائة مرَّة، ودُعاء كفَّارة المجلِس، والعُمرةُ والحجُّ، وأداءُ الصلاة المفروضة، والصدقةُ، والصبرُ، وحضورُ مجالِس الذِّكر، والصلاةُ على النبي (ﷺ)؛ كلُّها من مُكفِّرات الذنوب.

8ـ من سعَة عفوِ الله أن الشرَّ يخُصُّ صاحبَه، والخيرَ يعمُّ حاضِرَه:

قال الله تعالى:{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)} [العنكبوت].

العنصر الخامس : موجبات العفو الإلهي

من الأشياء التي يستوجب بها العبد عفو الله تعالي .....

1ـ كثرة الدعـــاء باسم الله العَفُوُّ وسؤال الله العفو والعافية ..

عن أبي بكر قال: قام رسول الله (ﷺ)على المنبر ثم بكى، فقال {سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية} [رواه الترمذي وصححه الألباني، مشكاة المصابيح]

وعن ابن عمر قال : لم يكن رسول الله (ﷺ) يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح {اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي

ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي} [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].
وطلبُ العفوِ في المواسِمِ الفاضِلة، ومواطِنِ الإجابة أولَى وأعظم، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: يا رسولَ الله ! أرأيتَ إن علِمتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقولُ فيها؟ قال: {قُولي: اللهم إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي}.[رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

2ـ الاستغفار والتوبـة والعمل الصالـح ..

فمن كمال عفوه سبحانه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثمَّ تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِهِ كما قال تعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)} [الزمر]
ومن داومَ على طاعة الله فازَ بعفوِ الله؛ فعن أبي طويلٍ شَطبِ الممدود رضي الله عنه، أنه أتى النبيَّ (ﷺ) فقال: أرأيتَ رجُلاً عمِلَ الذنوبَ كلَّها، فلم يترُك منها شيئًا، وهو في ذلك لم يترُك حاجةً ولا داجةً إلا أتاها؛ فهل له من توبة؟ قال: «فهل أسلمتَ؟»
قال: أما أنا فأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسولُ الله (ﷺ)،..قال: «نعم، تفعلُ الخيرات، وتترُك السيئات، فيجعلهنَّ الله لك خيراتٍ كلهنَّ»، قال: وغدَراتي وفجَراتي؟!
قال: «نعم» قال: الله أكبر، فما زالَ يُكبِّرُ حتى توارَى) [رواه الطبراني].
فكلنا نذنب و نخطئ فنحن بشر وما أحوجنا إلى رحمة الله ومغفرته وعفوه وإلا هلكنا ،ولهذا شرع الله تعالى لنا التوبة كي يرحمنا ،وشملنا بعفوه ومنه وكرمه فالعفو من القدير قمة العظمة والقوة ، فالله تعالى قادر أن يهلكنا ،ولكنه يعفو ويسامح ،لأنه يمتلك كل شيء، فالكون كله ملكه ،والأمر أمره، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير .
قال ابن القيم في قصيدته النونية:
وَهْوَ العَفُوُّ فعَفْوُهُ وَسِعَ الوَرَى ... لَوْلاهُ غَارَ الأَرْضُ بالسُّكَّانِ

فالعفوُّ سبحانه هو الذي يحب العفو والستر، ويصفح عن الذنوب مهما كان شأنها ويستر العيوب ولا يحب الجهر بها ، يعفو عن المسيء كَرَمًا وإحسانًا، ويفتح واسع رحمته فضلاً وإنعامًا، حتى يزول اليأس من القلوب وتتعلق في رجائها بمقلب القلوب ..

ولنحذر كثرة الذنوب فإنها تنشئ حجابا بين العبد وبين ربه ،وهذا الحجاب ما الذي يَهتكه ؟

العمل الصالح.. فعوّد نفسك أن تعمل العمل الصالح كلَّما غفلت، أو أخطأت، أو تسرَّعت، أو تكلَّمت كلمةً، أو فعلت شيئاً لا يُرضي الله عزَّ وجلَّ.

لذلك قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114)} [هود]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اعْقِلْ يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أَقُولُ لَكَ بَعْدُ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ السَّابِعُ قَالَ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلانِيَتِهِ وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ وَلا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ وَلا تَقْبِضْ أَمَانَةً وَلا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ}.[مسند الإمام أحمد].

3ـ اعفُ يُعفَ عنك ..

وقد حثَّ الله تعالى عباده على العفو والصفح وقبول الأعذار، فاعفُ يُعْفَ الله عنك ،وقد كان أبو بكر الصديق يتصدَّق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه، فلما شارك المنافقين في اتهام أم المؤمنين عائشة بالإفك وبرأها الله عزَّ وجلَّ، قال أبو بكر "وَاللهِ لاَ أُنْفِقُ عَلى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَال لعَائِشَةَ"، فَأَنْزَل اللهُ سبحانه وتعالى {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)} [النور]، فَقَال أَبُو بَكْرٍ: "بَلى، وَاللهِ إِنّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لي"، فَرَجَعَ إِلى مِسْطَحٍ الذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ. [صحيح البخاري] .

وعاد إلى ما كان عليه وهذا شيء فوق طاقة البشر.. إنسان روَّج عن

ابنته الخبر السيِّء وأرجف في المدينة، ثم يُعاتبه الله لماذا كفَّ عن مساعدته ؟

هكذا أخلاق المؤمنين... وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم.

وقال تعالى {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)} [الشورى]

فاعْفُ عن الظالمين، وأَعْرِض عن الجاهلين، ويَسِّر علي المعسرين طلبًا لعفو الله عند لقائه،،

وفي المستدرك للحاكم ،عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينا رسول الله (ﷺ) جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر : ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟

قال : رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما : يا رب خذلي مظلمتي من أخي فقال الله تبارك و تعالى للطالب: فكيف بأخيك و لم يبق من حسناته شيء ؟

قال : يا رب فليحمل من أوزاري قال : وفاضت عينا رسول الله (ﷺ) بالبكاء ثم قال : إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم فقال الله تعالى للطالب ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من ذهب و قصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى الثمن قال : يا رب و من يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه قال : بماذا قال : بعفوك عن أخيك قال : يا رب فإني قد عفوت عنه قال الله عز و جل : فخذ بيد أخيك فادخله الجنة فقال رسول الله (ﷺ)عند ذلك : اتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المسلمين .

4ـ التجاوز عن المُعسِر والعفو عنه، وعدم مؤاخذته على عدم استطاعته سداد الدّين ..

عليك أن تتجاوز، حتى يتجاوز الله تعالى عنك .. عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ "أُتِيَ

اللَّهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟، قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي". فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ وَأَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ: هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ .
[صحيح مسلم].

5ـ عدم المجاهرة بالذنـب ..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ {كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ}[متفق عليه]

العنصر السادس: التخلُّق بخلق العفو

أمرنا الله تعالي أن نتخلق بخلق العفو فقال تعالي {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35)} [فصلت]

أن تعفو عمن ظلمك، وأن تُعطي من حرمك، وأن تصل من قطعك، هذه أخلاق المؤمنين .

الحقيقة أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يأمرنا أن نعفو عن المسيء فحسب بل أمرنا أن نُحسن إليه، فقد قال تعالى:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)} [آل عمران]

نماذج يُقتدي بها في العفو

النبي (ﷺ) يعفو عن أهل مكة :

لقد صنع لنا النبي (ﷺ) نموذج عالي في العفو عند المقدرة وهذا من شيم الكرام ، نراه وهو يدخل مكة فاتحاً والتي ائتمرت على قتله،

والتي أخرجته، والتي عذبت أصحابه، والتي قاطعته وكذبته، والتي ألبت عليه العرب جميعاً.
لقد ألقى أهلها السلاح، ومدوا إليه أعناقهم ليحكم فيهم ما يرى، إنهم في قبضته، أمره نافذ في رقابهم، حياتهم جميعاً معلقة بين شفتيه، وهذه عشرة آلاف سيف تتوجه يوم الفتح فوق رُبي مكة، تأتمر بأمره، وتنتظر إشارةً منه، إنها تستطيع أن تهلكهم في لمح البصر.
لقد سار النبي (ﷺ) في موكب النصر يوم فتح مكة حانياً رأسه حتى تعذر على الناس رؤية وجهه، وحتى كادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيره، مردداً بينه وبين نفسه ابتهالات الشكر المبللة بالدموع.
سأل أعداءه بعد أن استقر به المقام: يا معشر قريش، ويا أهل مكة فاشرأبت إليه الأعناق، وزاغت الأبصار، سألهم ما تظنون أني فاعل بكم؟
وصاحت الجموع الوجلة بكلمة واحدة، كأنما كانوا على اتفاق في ترديدها، قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخٌ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.
لقد غُمر المذنبون الذين كانوا ينتظرون القصاص، ويستحقونه بأنبل عفو، وأجمل صفح، حتى قال أبو سفيان الذي ناصب رسول الله (ﷺ) العداء أعواماً طويلة، قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما أرحمك! وما أحلمك! وما أحكمك! وما أوصلك! وما أكرمك!
يا سيدي يا رسول الله؛ ما أجمل عفوك عند المقدرة، وما أعظم نفسك التي سمت كل هذا السمو فارتفعت فوق الحقد، وفوق الانتقام، لقد ترفعت عن كل عاطفة دنيا، وبلغت من النبل فوق ما يبلغ الإنسان، لم تكن تعرف العداوات، بل لم تكن تريد أن تقوم بين الناس، لقد مكنك الله من عدوك فقدرت وعفوت، فضربت بذلك للعالم كله ولأجياله مثلاً أعلى في العفو والصفح، فلم تجعل من يوم فتح مكة يوم تشفٍ ولا انتقام بل جعلته يوم برٍّ ورحمة وعفو وسلام.

سيدنا يوسف يعفو عن إخوته :

تآمر عليه إخوته بأن وضعوه في الجب ليموت، فلما دخلوا عليه وهو عزيز مصر، قال تعالي: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ(88) } [يوسف]

ضعاف فقراء وهو عزيز مصر: قال تعالي {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ(89) قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ (90)} [يوسف] هو في الجب وانتهى ومات.

منتهى الكمال أن يعفو الإنسان عمن ظلمه: لذلك قال تعالي:{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(21) } [يوسف]

قال تعالي {قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(90) قالوا تالله لقد آثرك الله علينا (91) } [يوسف]

إذا كان الله معك فمن عليك في الجب: قال تعالي {وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) } [يوسف]

اسمعوا العفو: قال تعالي {قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(92) } [يوسف]

قال تعالي {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ(99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي(100) } [يوسف]

لم يقل عليه السلام من الجب، بل قال: من السجن، لئلا ليذكرهم بفعلتهم، هذا منتهى الكمال أن تعفو، وألا تذكر الذي عفوت عنه بجريمته، قمة العفو ألا تذكر المذنب بجريمته.

ما قال هم بحقي خاطئون لا، لا، قال: دخل بيننا الشيطان هذه قمة العفو، ألا تذكر المذنب بذنبه، ألا تمن عليه بعفوك، ألا تذكره

بجريمته: قال تعالي {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(100) } [يوسف]
هذه القصص من أجل أن نتعلم منها العفو والنبل والسماحة ، ومكارم الأخلاق ، لذلك اعفُ عمن ظلمك تكون كبيراً ولا تنتقم فتغدو صغيراً، الله عز وجل يحبنا إذا كان العفو سجيتنا .

العنصر السابع : فوائد خلق العفو

1ـ العفو يُثْمِر محبة الله تعالي ومحبة الناس..

فإذا كنت من العافين عن الناس فإن الله تعالى سيحبك، ويجعلك من أهل الإحسان الذين هم أعلى الناس إيمانًا ، كما في قوله تعالى {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)} [آل عمران].
إن الإنسان إذا عفا عن أخيه كان أقرب إلى ربه مما لو انتقم منه، لأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، وفي الحديث القدسي: {إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي }[البخاري].

2ـ الترقِي في الأخلاق :

إن الإنسان إذا اتصل بالله العفو الكريم اشتق منه بعضاً من هذا الخلق العظيم، وإذا استقرت الرحمة في قلب الإنسان فإنها تفيض على خصومه بالعفو والغفران، فيصبح العفو أحبَ إليه من الانتقام، وإذا علم الإنسان أن خصمه بشكل أو بآخر أخٌ له في الإنسانية فإذا انتقم منه خسره، وإذا عفا عنه ربحه، ولأن يربح الإنسان أخاه خير له من الدنيا وما فيها عندئذ يرى في العفو غُنْماً، وفي الانتقام غُرْماً.
إذا أيقن الإنسان أن العفو سلم يرقى به إلى عز الدنيا والآخرة، وأن الانتقام دركات يهوي بها إلى ذلٍّ ومقت يلاحقانه حتى الممات، آثر العفو على الانتقام، وإذا علم أبناء المجتمع الواحد أنه بالعفو تتسع دائرة الصداقات والمودات فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص، وبالانتقام تفشو العداوات والأحقاد حتى تصل بالمجتمع إلى أحط الدركات صار العفو ديدنهم.

3ـ العفو جلاءُ الهُموم والغُموم:

ففي غزوةِ أُحُد أصابَ الصحابةَ غمٌّ وحُزنٌ بعد مُخالفة الرُّماةِ لأمرِ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(152) }[آل عمران].

عفا عنكم لكي لا تحزَنوا، ولتكون حلاوةُ عفوِه تُزيلُ عنكم ما فاتَكم من غمِّ القتل والجرحِ.

4ـ العفو يُورث التقوى :ـ

يقول الله تعالى {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (237)} [البقرة]، فالعفو عن الناس من الأسباب التي تجعل العبد تقيًّا نقيًّا.

4ـ العفو يزيد الإنسان عزًّا :

يقول النبي (ﷺ){.. وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا} [صحيح مسلم] فكلما عفوت، ازددت عزًّا عند الله تعالى.

5ـ إبراز ما في النفوس البشرية من خير:

حينما تصح التوبة، ويتحقق الندم، وتصدق العزيمة على ترك الذنب، عندئذ يصبح العفو حياة للمذنب، كما كان القصاص حياة للمجتمع، ويغدو فرصة ثمينة ينالها المذنب، ليؤكد صحة توبته، وعظيم ندمه، وصدق عزيمته على ترك ما اقترفت يداه، وليؤكد أيضاً الجانب الخَيِر في الإنسان، وربما كان هذا المذنب الذي عُفي عنه علماً من أعلام الأمة، ومصلحاً من كبار مصلحيها، وقائداً فذاً من قادتها، والتاريخ الإسلامي حافل بمثل أولئك الذين أصبحوا من قادتها الأبطال وعلمائها الأعلام، وأوليائها المقربين كعكرمة بن أبي جهل.

مَنْ عكرمة بن أبي جهل ؟

هو الذي عادى النبي (ﷺ) أشدَّ العداء، وآذى أصحابه أفدح الإيذاء، وهو أحد صناديد قريش المعدودين، وأبرز فرسانها المرموقين، وهو ابن أبي جهل، وجبَّار مكة الأول، وزعيم الشرك الأكبر، ولم يكتف النبي (ﷺ) بالعفو عنه بل وجه أصحابه قائلاً: عن عبد الله بن زبير رضي الله عنه قال رسول الله {سيأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً

مهاجراً فلا تسبُّوا أباه فإن سبَّ الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت } [رواه الحاكم]

وقد عاهد رسول الله (ﷺ) قائلاً: لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصدِّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً قاتلته صداً عن سبيل الله إلا قاتلتُ ضعفه في سبيل الله.

وفي اليرموك لما اشتدَّ الكرب على المسلمين نزل عن جواده، وكسر غُمد سيفه، وأوغل في صفوف الروم، فبادر إليه خالد بن الوليد، وقال: لا تفعل يا عكرمة فإن قتلك سيكون شديداً على المسلمين، فقال: إليك عني يا خالد، لقد كان لك مع رسول الله (ﷺ) سابقة أما أنا وأبي فقد كنَّا من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعني أكفِّر عما سلف مني..

لقد قاتلت رسول الله (ﷺ) في مواطن كثيرة وأفرُّ من الروم اليوم؟ إن هذا لن يكون أبداً..

العنصر الثامن: ضوابط في العفو

1- أن يكون العفو عند المقدرة :

وبهذا الأمر تتبين قوة ومهابة العافي عن المسيء من المستحقين للعفو ، فعندما تظهر قدرته على الانتصار والانتقام ويعفو عنه : يكون قد حقق لنفسه المهابة وحاز فضل وأجور العفو .

قال تعالى :{ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (36) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (38) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)} [الشورى].

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله :" ووصفهم في معاملتهم للخلق بالمغفرة عند الغضب وندبهم إلى العفو والإصلاح ، وأما قوله {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ}، فليس منافياً للعفو ؛ فإن الانتصار يكون بإظهار القدرة على الانتقام ثم يقع العفو بعد ذلك فيكون أتم وأكمل .

قال النخعي في هذه الآية : " كانوا يكرهون أن يُستذلوا فإذا قدروا عفَوا " .

وقال مجاهد : " كانوا يكرهون للمؤمن أن يُذل نفسه فتجترئ عليه الفساق " ، فالمؤمن إذا بُغي عليه يُظهر القدرة على الانتقام ثم يعفو بعد ذلك ، وقد جرى مثل هذا لكثير من السلف منهم عطاء وقتادة".

وهذا نموذج عظيم في هذا الشأن ، حيث يتجلى عفوه النبي (ﷺ) بالصفح عن نفر من المشركين بالغوا في عداوتهم وأذيتهم، ويوم فتح مكة ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وهاموا على وجوههم، ومن هؤلاء: صفوان بن أمية، الذي شدّ رحاله صوب جدة، ليبحر منها إلى اليمن ، واشتد إشفاق عمير بن وهب عليه، وصمم أن يسترده من يد الشيطان بكل وسيلة، وذهب مسرعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام، قال له: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه قد خرج هارباً منك ليقذف بنفسه إلى البحر فأمنه صلى الله عليك ؟

فقال عليه الصلاة والسلام: هو آمن، قال: يا رسول الله هو آمن ؟ ثم قال: يا رسول الله أعطني آيةً يعرف بها أمانك؟

أعطاه النبي (ﷺ) عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر، قال: يا صفوان فداك أبي وأمي، الله اللهَ في نفسك أن تهلكها، هذا أمان رسول الله (ﷺ) قد جئتك به، إن رسول الله (ﷺ) أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، عزه عزك،

وشرفه شرفك، قال صفوان: إني أخاف على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك وأكرم.
فرجع معه حتى دخل به على رسول الله (ﷺ) ، فقال صفوان للنبي عليه الصلاة والسلام: إن هذا يزعم أنك أمنتني، فقال عليه الصلاة والسلام: صدق. قال صفوان: فاجعلني في الخيار شهرين، فقال رسول الله (ﷺ): أنت في الخيار أربعة أشهر. وفيما بعد أسلم صفوان.

2 - أن يترتب على العفو إصلاح ،ولا يترتب ضرر:

قال تعالى : {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) } [الشوري].

فلا يعفو عن مجرم معروف بالشر وإيقاع الضرر بالناس ،لما يترتب على العفو عنه من إطلاق يديه في الشر والسوء ، لذا لا يشرع العفو عنه ، بل تجب عقوبته وكف يده عن الناس بما يُستطاع.

لذلك شرع الله تعالي القصاص زجرا للمجرم ، قال تعالى:{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(179)} [البقرة]

ويحكي سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه ، أنه كان أبو عزة الجمحي الشاعر من أسرى بدر، وكان النبي (ﷺ) قد حدد مبلغ أربعة آلاف درهم فداءً لكل أسير، فكلم أبو عزَّة رسول الله (ﷺ)، فقال: يا رسول الله، لقد عرفتَ ما لي من مال، وإني ذو حاجة، وذو عيال، فامنن عليَّ، فمنَّ رسول الله (ﷺ)عليه، وأخذ عليه العهد ألا يظاهر عليه أحداً لكنه نقض العهد، وعاد إلى ما كان عليه من سب النبي (ﷺ)، وهجاء أصحابه، وحضِّ الناس على قتاله.

وفي يوم أحد ظفر به النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله لا تقتلني وامنن عليَّ ودعني لبناتي، وأعاهدك ألا أعود، فقال له النبي (ﷺ): {لا والله لا أدعك تمسح عارضيك بأستار الكعبة وتقول للناس: خدعت محمداً مرتين، إن المؤمن لا يُلدغ من جُحر مرتين } [رواه مسلم] ولم يعف عنه.

ومن ذلك نفهم أنه لهذا ليس من العفو أن نستسلم لعدو غاصب، سلب

الأرض، وانتهك الحرمات، وأفسد العقائد، وأفرغ القيم، وزور التاريخ، فالمؤمنون الصادقون إذا أصابهم البغي هم ينتصرون .كما قال تعالي {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39)} [الشوري]

3ـ أن يعفو عن حقِّه قاصداً الأجر والفضل من الله تعالي :

أن يعفو عن حقِّه قاصداً الأجر والفضل من الله ،فيترك الانتصار والانتقام لله تعالى .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) {يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ : مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعَزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً} [رواه أحمد وحسَّنه المحققون ، وجوَّد إسناده الألباني في " السلسلة الصحيحة]

ومع هذا الفضل العظيم والعفو الجَزيل.. فلنحذر من الاغتِرار بعفوِ الله وعظيم كرمِه، قال الله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6)} [الانفطار].

سُئِل الفُضيل بن عياض: يا فُضيل! لو وقفتَ بين يدَي مولاك سبحانه وسألَك: عبدي!

ما غرَّك بي؟ ماذا كنتَ تقول؟ قال: "أقولُ: غرَّتني سُتورُك المُرخاة"؛ أي: سترُك عليَّ غرَّني.

لذلك كان النبي (ﷺ) لا يغتر بعفو الله تعالي ويحذر من تحول العافية ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، كان عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول: {اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ } [مسلم]

فيجب علي المسلم أن يكون علي حذر فالله تعالي عفو وكريم وشديد العقاب ،فكثير من الناس يقضي عمره يجمع المعاصي والسيئات، ومع ذلك يتعلق بحبال الأماني، وعنده أمل في أن يدخل الجنة بغير حساب، أو لا تمسه النار إلا أيامًا معدودة.

وتجد هؤلاء يتعلقون بأن الله عز وجل غفور رحيم، وأنه يتجاوز عن السيئات ويعفو ويصفح ويغفر، وينسون أن الله عز وجل كما أنه غفور رحيم لمن تاب وأناب، فهو سبحانه وتعالى منتقم جبار لمن عصى واستكبر. وقد قال تعالى {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)} [الحجر] .

نسألك يا ربنا يا من أظهرَ الجميل، وستَرَ القبيحَ .. يا من لا يُؤاخِذُ بالجَريرة، ولا يهتِكُ السِّتر، يا عظيمَ العفو ، يا حسنَ التجاوُز ، يا واسِع المغفرة ، يا باسِط اليدَين بالرحمة ، يا صاحِبَ كل نجوَى ، ومُنتهَى كل شكوَى ، يا كريم الصفح ، يا عظيمَ المنِّ ، يا مُبتدِئ النِّعَم قبل استِحقاقِها، نسألك العفوَ والعافيةَ في الدين والدُنيا، والآخرة .

الفصل السادس

المعايشة الإيمانية لاسم الله الشكور

ويحتوي على ستة عناصر ...

العنصر الأول : اسم الله الشكور في القرآن الكريم.

العنصر الثاني : معنى اسم الشكور في حق الله تعالي.

العنصر الثالث : المعايشة الإيمانية لاسم الله الشكور .

العنصر الرابع : فضل الشكر ومنزلة الشاكرين .

العنصر الخامس : قواعد في الشكر .

العنصر السادس : ذم الجحود والنكران وعاقبته في الدنيا والآخرة .

العنصر الأول : اسم الله الشكور في القرآن الكريم

ورد اسم الله تعالى الشكور مقترنا بالغفور في مواضع منها :

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)} [فاطر].

وقوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)} [فاطر].

وقوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)} [الشورى].

ورد اسمه تعالى الشكور مقترناً باسمه الحليم في قوله تعالى: {إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17)} [التغابن].

نلاحظ أن اسم (الشكور) قد اقترن ثلاث مرات باسم (الغفور) واقترانه به يفيد أنه غفور لمن عصاه، وشكور لمن أطاعه، وقيل: إنه غفور لذنوبهم. شكور للقليل من أعمالهم

وورد مقترنا بالصبور في قوله تعالي {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)} [إبراهيم].

وقوله تعالي: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31)} [لقمان].

وقوله تعالي {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)} [سبأ].

وورد اسم الشكور بلفظ (الشاكر) في القرآن الكريم مرتين؛ مرة بلفظ (شاكرٌ) بالرفع، في قوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)} [البقرة] .

ومرة بلفظ (شاكراً) بالنصب، في قوله تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ

إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)} [النساء].

العنصر الثاني : معنى اسم الشكور في حق الله تعالي

الشاكر والشكور : الذي يشكر القليل من العمل ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين، ويذكر من ذكره، ومن تقرب إليه بشيء من الأعمال الصالحة تقرب الله منه أكثر، كما يقول النبي (ﷺ):{ما تصدَّقَ أحدٌ بصدَقَةٍ منْ طيِّبٍ، ولا يقبَلُ اللهُ إلَّا الطيبَ، إلَّا أخذَها الرحمنُ بيمينِهِ، وإنْ كانتْ تَمْرَةً، فتربُو في كفِّ الرَّحمنِ حتى تَكونَ أعظمَ مِنَ الجبلِ، كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّهُ أوْ فَصيلَهُ}[صحيح الجامع].

قالوا ومن معنى الشكور أنه سبحانه يرغب الخلق في الطاعة قلّت أو كثرت لئلا يستقلوا القليل من العمل، لذا كانت عائشة رضي الله عنها عندما تقرأ {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (8)} [الزلزلة].

تأتي بشطر تمرة وتتصدق به وتتأول الآية وتقول مثقال ذرة إذاً تمرة خيراً يره.

قالوا وإذا أثنى الرب على عبده فقد شكره، والثناء يكون في الملأ الأعلى كما ورد في حديث ثناء الله على عبده وهو يقرأ الفاتحة. {فإذا قالَ العبدُ:(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، قالَ اللهُ تعالى: حمدني عبدي، وإذا قالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قالَ اللهُ تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قالَ(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، قالَ: مجَّدني عبدي}.[رواه مسلم].

وحين تصلي على النبي (ﷺ) يثني عليك في الملأ الأعلى، {من صلَّى عليَّ واحدةً، صلَّى اللهُ عليه عشرَ صلواتٍ، و حطَّ عنه عشرَ خطيئاتٍ، و رفعَ له عشرَ درجاتٍ}[صحيح الجامع].

وثناء الله غير ذكره لعبده قال تعالي {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)} [البقرة].

فسبحان الله العظيم هدانا للأعمال الصالحة ، ويثني علي بعد ذلك ، يعطي ويثني عليك ،ويثيب الجزيل ،وهل هناك أكثرُ إحساناً عليك

وإنْعاماً ممن رزقك وأنت في بطن أمك ؟
وسوّغ لك الطعامَ والشراب ؟ وألبسك لباسَ الصحة والعافية ؟
وأعطاك المال والأهل والولد ؟ وذكّرك مولاك بنعمته فقال تعالي{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)} [البلد]، قال سيدنا موسى عليه السلام: {يا رب إن أنا بلغت رسالاتك فمن عندك وإن أنا صليت فمن عندك وإن أنا فعلت كذا وكذا من أفعال الطاعات فمن عندك ومن قبلك فكيف أشكرك؟ قال: "الآن شكرتني"}. فالعجز عن الشكر تمام الشكر.

العنصر الثالث: المعايشة الإيمانية لاسم الله الشكور

قال الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء : "واعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ينظم من علم وحال وعمل".
قال: فالعلم هو الأصل، وهو يُورث الحال، والحال يُورث العمل.

1ـ معرفة النعمة من المُنعم سبحانه وتعالي:

اعتراف العبد بمنة الله عليه ، وإقرارٌ بنعمِه عليه من خيرَي الدنيا والآخرة في النفس، وفي الأهل والمال والأعمال، وفي شأن العبد كلِّه ،والشكرُ دليلٌ على أن العبدَ راضٍ عن ربِّه.
واليقين بأن هذه النعمة ليست من أحد سوى الله، ولا تلتفت للأسباب مطلقاً بل ترى نجاحك وتوفيقك في شتى أمورك محض فضل من ربك، وأن من سوى الله من الخلق إنما هم سببٌ لجريان شيء مِن النِّعم على أيديهم .قال تعالي{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ(53)}[النحل] . وهذا يسمي شكر القلب.

2ـ الفرح بإنعام الله لك :

إن لم تجد هذا الفرح فاعلم أنك لم تعرف نعمة الله من الأساس، لذا دائماً أقول اكتبوا نعم الله ، تفكروا فيها، وانظروا لمن حُرِمَها، انظر لمن فقد بصره حتى تفرح ببصرك، وانظر لمن حُرِم الأولاد ويُنْفِق الآلاف لكي يُرْزق بطفل واحد وأنت عندك ثلاثة وأربعة، انظر له لتفرح بنعمة ربك، إذا فقدت إحساسك بالنعمة فابحث عن من

فقدها، فإذا استشعرتها وشعر قلبك بالفضل والفرح ، والانشراح بها فهنا يتولد عن هذا الحال العمل، وهذا يُسمي شكر اللسان لقوله تعالى {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)} [الضحى].

فيتحدّث العبدُ بنعمة ربّه عليه اعترافاً بـها ، وقبولاً لها ، وشكراً لمن أسداها ، وأنعمَ عليه بـها. فيتحدث العبد بنعمة الله عليه بلسان مقاله ، وبلسان حاله .

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبيِّ (ﷺ) أنه قال : سيدُ الاستغفار أن تقول : {اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدُك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ،أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت} [صحيح البخاري]

تضمّنَ الحديثُ الاعترافَ بنعمةِ اللهِ عليه . فكلُّ نعمةٍ فمن الله وحدَه حتى الشكر فإنه نعمةٌ وهي مِنْـهُ سبحانَه ، فلا يطيقُ أحدٌ أن يشكرَه إلا بنعمته ، وشكرُه نعمةٌ مِنْهُ عليه ، كما قال داود عليه الصلاة والسلام : يا رب كيف أشكرُك وشكري لك نعمةٌ من نعمك عليّ تستوجبُ شكراً آخر ؟ فقال : الآن شكرتني يا داود .

3ـ العمل علي رضا المُنعم سبحانه وتعالي :

إذا شعرت بقيمة النعمة بذلت وسعدك في تحقيق مقصود المُنعم ومحبوبه ، تجدك تريد أن تبذل لله.. تصلي أو تتصدق أو تكشف كربة أو تعين أحداً.. تفعل أي شيء يرضي الله فتفعل "

ويكونُ الشكرُ عَمَلاً بالجوارح بأن لا تعملِ الجوارحُ إلا بما يُرضي مولاها سبحانه .

فيعمل العبدُ بطاعة ربّه ، خِدمةً لسيّدِه ، لا يرى أنه صاحب معروفٍ بعمله ، بل ينظر إلى أعماله كلِّها على أنـها قطرةٌ في بحر جودِ مولاه جل جلاله ، وأنه مهما عمِلَ من عملٍ فإنه لا يؤدّي شُكرَ أقلَّ نعمةٍ يتقلّبُ بـها ، ولذا قام النبي صلى الله عليه و سلم الليل حتى تفطرت قدماه فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر

؟! قال: (أفلا أكون عبداً شكورا) ،{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(13)}[سبأ].
فيجب أن يتواطأ القلب واللسان والجوارح بالشكر، فهي منظومة متكاملة، آخذ بعضها بآخية بعض، وقد أنعم الله عز وجل على العبد بالجوارح والأعضاء التي لا تُقدّر بثمن ، ولو كانت تُباع أو تُتشرى لكان الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال أكثر الناس تمتعاً بالصّحة !
قال سهل بن عبد الله :الشكر :الاجتهاد في بذل الطاعة ، مع اجتناب المعصية في السر والعلانية .
وقال الجُنيد : الشكر ألاّ يُعصى اللهَ بِنِعَمِه .
وقال الشِّبلي : الشكر : التواضع ، والمحافظة على الحسنات ، ومخالفة الشهوات ، وبذل الطاعات ، ومراقبة جبار الأرض والسماوات .
لذلك كان الشكر بالقلب والجوارح واللسان، فلا يكون شاكر إلا إذا كان قلبه مخبت، ولسانه ذاكر، وكذلك جوارحه منقاده بالطاعة لله سبحانه وتعالى.
يقول الأصفهاني في المفردات: "الشكر تصور النعمة وإظهارها وهو ثلاثة أدرب:
- شكر القلب: وهذا بتصور النعمة ودوام رؤيتها.
- وشكر اللسان: بالثناء على المنعم سبحانه وتعالي.
- وشكر سائر الجوارح: وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها، وهو أن كل شيء بك يذعن لله سبحانه وتعالى".
ويقول ابن القيم رحمه الله: "الشكر مبني على خمس قواعد وهي :-
1. خضوع الشاكر للمشكور، وحظها منك الذل والانكسار لله تعالى.
2. حب العبد للمُنعم سبحانه وتعالي ،وأن يزداد المؤمن في حبه لله تعالى.
3. اعتراف العبد بنعمة الله عليه واقراره بها، فيكثر من قوله: "أبوء لك بنعمتك علي"، ويكثر من التحدث بنعم الله تعالى. يتحدث بالنعمة

لذكر المُنعم وبيان فضله لا لبيان النعمة والزهو بها.
4. ثناء العبد علي المُنعم سبحانه وتعالي بالنعمة.
5. ألا يستعمل النعم فيما يكره، لا يعصي الله ويبارزه بها.

العنصر الرابع : فضل الشكر ومنزلة الشاكرين

إن مقامَ الشكر من أعلي المقامات ومنزلة من أرفع المنازل التي يتحلى بها السائرين إلي الله تعالي ،والشكر من أسماء الله الحسني التي ينبغي أن نعيش به في حياتنا ، حتي نُحسن التعامل مع جميع نعم الله تعالي ، فنِعَم الله تترى على العباد في كل لحظة ،بل مع كل نَفَس كما قال تعالي {وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم].

فبالشكر يزداد الإيمان واليقين في القلب ،ويسعد الإنسان في الدارين، وبالشكر رفع الله الشاكرين الدرجات العليا في الدنيا والآخرة ،وقد ميز الله الشكر والشاكرين بالفضائل العظيمة منها ...

1ـ الشكرُ أولُ وصيَّةٍ وصَّى الله تعالي بها الإنسان:

قال تعالي {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)} [لقمان].

2ـ نصف الإيمان :

فالشكر من أهم الأعمال الصالحات التي يتقرب بها العبد المسلم إلى نيل رضا ربه سبحانه وتعالى، ومنزله في الدين عظمية فهو نصف الإيمان فالإيمان نصفان، الصبر نصف، والشكر نصف.

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ){يا أنس, الإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر} .

3ـ سبب في رضا الله تعالي :

أخبرَ عزَّ شأنه أن رِضاه في شُكره، فقال تعالي: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ (7)}[الزمر].

4ـ سبب من أسباب الأمن من عذاب الله:ـ

يقول عزَّ شأنه{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)}[النساء].

5ـ منة الله تعالي علي عباده :

بل لقد خصَّ الله الشاكرين بمنَّته عليهم من بين سائر عباده، فقال جل وعلا :{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ(53)}[الأنعام].

ولا يعبده حق العبادة إلا الشاكرين فيقول عز شأنه :{وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172)} [البقرة]، فلا يعبُده حقَّ عبادته إلا الشاكرين .

6ـ الشكرُ حياةُ القلب وحيَّويَّتُه :

الشكرُ دليلٌ على صفاء النفس، وطهارة القلب، وسلامة الصدر، وكمال العقل؛ بل إن الله جل وعلا خلقَ الناسَ من أجل أن يشكُروه، يقول جل وعلا :{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(78)}[النحل].

7ـ من أسس الدين :

لقد تعبدنا ربنا سبحانه بالشكر له واعتبره أحد أسس الدين فقال تعالي{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)}[البقرة].

لكن كثيرين جعلوا عبادة الشكر عبادة ممسوخة بلا روح، فإما أن يكفر بها أو ينساها أو يرددها بحركات لسان مع قلب غافل وعقل لا يعي معنى شكرها .

لذلك قليل فاعله ولقد مدح الله تعالي القلة الشاكرة فقال تعالي {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)}[سبأ].

وقال تعالي :{وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)}[الأعراف]

8ـ الجزاء الحسن للشاكرين :

ان الله تعالى وعدنا بمضاعفة الأجر من الحسنات، واتبع الزيادة بالمغفرة للسيئات، والشكر على ذلك كله، فقال تعالى : {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ

مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ(145)} [آل عمران].

ولقد أثنى الله عز وجل على أهل الإيمان وهم أهل الشكر فسعيهم مشكور قال سبحانه وتعالى :{وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً(19)} [الإسراء], وقال عز وجل{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً(62)}[الفرقان].

وقال سبحانه وتعالى{إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً (22)}[الإنسان].

فلا ينتفع بالشكر إلا أهل الشكر قال سبحانه :{وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ(12)}[لقمان].

9ـ مرتبط بطيبات الحياة :

كذلك أذن الله لعباده المؤمنين بالتمتع من طيباته التي رزقنا إياها بالحلال الطيب، ومتابعة التمتع بها بالشكر له، فقال تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172)}[البقرة].

10ـ حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

والشكرُ أمرٌ مستقرٌّ في سُلوك المُتعبّدين، ونهجٌ راسِخٌ في نفوس الصالحين، تمتلِئُ به قلوبُهم، وتلهَجُ به ألسِنتُهم، ويظهرُ على جوارِحهم.

وأولُ أنبياء الله نوحٌ عليه السلام ، وصفَه ربُّه بقوله{إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا(3)}[الإسراء]، والخليلُ إبراهيم صاحب الملَّة الحنيفية قال فيه ربُّه{شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(121)}النحل

ويقول سليمان عليه السلام وهو ينظرُ فيما خصَّه به ربُّه من نعمه وسخَّر له من مخلوقاتِه{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ(19)} [النمل].

ويقول سبحانه وتعالي عنه أيضا {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)}[النمل].

ولقد حرِصَ أنبياءُ الله عليهم السلام على تذكير أقوامِهم بهذا المقام العظيم من مقامات العبودية؛ فها هو هودٌ عليه السلام يقول لقومه{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69)} [الأعراف].

ويقول صالحٌ عليه السلام وهو يُعدِّدُ على قومِه ما منحَه ربُّهم من مظاهر النِّعَم والقوة :{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74)}[الأعراف].

أما نبيُّنا محمدٌ (ﷺ) وهو الذي قد غفرَ الله له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّر، فيقومُ لربِّه من الليل حتى تتفطَّر قدماه، ويقول: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟».

العنصر الخامس : قواعد في الشكر

القاعدة الأولى : الشكر قيد النعم :

فمن كان ذا مال أو صحة أو مكانة أو نحوها ، فلْيُحِطْها بسياج الشكر، و ليدفع عن حياضها بسلاحه ، وليعلم بأنها لن تبقى إذا لم يؤد حق الله فيها ، فإذا أردنا المحافظة على نعمة و بقاؤها ، فعلينا بالشكر فإنه " قيد النعم " كما قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله.

وروي أيضا :"أحسِنوا جوارَ نعم الله؛ فإنها قلَّ ما نفَرَت عن أهل بيتٍ فكادَت أن ترجِع إليهم".

القاعدة الثانية : و لئن شكرتم لأزيدنكم:

وهذا من فضل الله و رحمته ، فالشكر يحافظ على بقاء النعم ، ثم لا يكتفي بذلك فقط بل يزيدها ، قال ابن القيم : "والشكر معه المزيد أبدا" لقوله تعالى { لئن شكرتم لأزيدنكم } فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقبل الشكر ".

فمن لم يلمس الزيادة في إيمانه و عبادته ، فليراجع نفسه ، و من لم ير البركة في ماله و عياله ، فليراجع نفسه ، فإن الله وعد الشاكر بالمزيد ، و الله لا يخلف الميعاد.

القاعدة الثالثة: احذر الاستدراج:

قال أبو حازم: إذا رأيت الله عز وجل سابغ نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره .

و ذلك حين ترى زيادة النعم و إسباغها بدون شكر لله عز وجل. فهذه علامة خطر ينبغي الوقوف عندها، كما قال الله عز وجل {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56)} [المؤمنون].

ولذا فسر سفيان ابن عيينة قول الله عز وجل{سنستدرجهم من حيث لا يعلمون}، قال: نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر ". نعوذ بالله من ذلك.

القاعدة الرابعة : كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية :

قال الحسن رحمه الله :"إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء فإذا لم يشكر قلبها عليهم عذابا".

وانقلاب النعمة عذاباً مما نراه في واقعنا، فكم رأينا صاحب المال يعذب بماله، و ذا العيال يشتكي من عقوق أبنائه، و صاحب المنصب و الجاه ينكوي بلظى النعيم الذي يراه الناس يتقلب فيه.

القاعدة الخامسة: لا تعصيه بنعمه:

وهذه قاعدة متينة من قواعد الباب، لذا عرف كثير من السلف الشكر بذلك، فقد سئل الجنيد عن الشكر فقال: "أن لا يستعان بشيء من نعم الله على معاصيه " .

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية رضي الله عنه: إن أقل ما يجب للمنعم على من أنعم عليه: أن لا يجعل ما أنعم عليه سبيلا إلى معصيته" .

ومن أقوال سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه :

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم

وكان مخلد بن الحسين يقول: كان يقال : الشكر ترك المعاصي "
فهل من الأدب أن نستعين بنعم الله على معصيته !
فنعمة البصر يُنظر بها للحرام، ونعمة السمع لا تسمع الذكر والقرآن، والمال لا يزكى ولا ينفق منه في سبيل الرحمن ، وتُستغل المناصب والجاهات والقدرات والمواهب في غير ما يحب واهب النعمة .
فلنسأل أنفسنا إذاً : هل نحن ممن يشكر الله أم ممن يعصيه بنعمه ؟!

القاعدة السادسةً: الشكر بالعمل:

وذلك بالعبودية لله عز وجل والتقرب إليه بأداء الفرائض أولا، فلم يشكر الله عز وجل من لم يُؤدِّ فرائضه، ثم بأداء النوافل والقربات ، ثم بحسن التعامل مع خلقه ولين الجانب لهم والبعد عن ما يضاد ذلك من سوء الأخلاق والظلم والشطط ، ثم بصرف النعم في مصارفها، واستغلالها فيما يناسبها ، فكيف يكون شاكراً من يلهج لسانه بالحمد والشكر على نعمه ثم تُرمى بعد ذلك النعم في النفايات !
أو يَصرف نعمة البصر والمال والصوت والسمع.. إلخ في غير ما يُحب الله عز وجل ثم يحمده و يشكره عليها بعد ذلك.

القاعدة السابعةً : لا يشكر الله من لا يشكر الناس :

من قواعد الشكر أن تُكافئ من أسدى لك معروفاً أو خدمة ومعونة ، مهما كان حجمها وقدرها ، فإن لم تستطع مكافأته حسياً ، فلتشكره بلسانك و تُثْنِي عليه خيراً بما قدم لك ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : {مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلْيَجْزِ بِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَجْزِي بِهِ فَلْيُثْنِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا أَثْنَى عَلَيْهِ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ } [رواه أبو داود]
وهذا هو التوازن المطلوب من المسلم ، الذي حين فقدناه سقطنا في قاع الانفصام النكد ، فتجد من يتورع عن الربا و لكن لا يبالي بمال اليتيم ، ومن تورع عن الكذب وهو يفري أعراض الناس.

والتوازن هو منح الناس حقهم من الشكر والإحسان " لأن الله تبارك وتعالى نظم الشكر له بالشكر لذي النعمة من خلقه، وأبي أن يقبلهما إلا معاً لأن أحدهما دليلٌ على الآخر وموصولٌ به فمن ضيع شكر ذي نعمةٍ من الخلق فأمر الله ضيَّع وبشاهده استخف ولعمري إن ذلك لموجودٌ في الفطرة قائم في العقل: أن من كَفر نعم الخلق كان لنعم الله أكفر لأن الخلق يُعطي بعضهم بعضاً بالكُلفة والمشقة وثُقل العطية على القلوب والله يعطي بلا كلفة ولهذه العلة جمع بين الشكر له والشكر لذوي النعم من خلقه" .

القاعدة الثامنة: ولتسألن يومئذ عن النعيم:

فهذه الآية فيها ما يكفي من الحث على الشكر والاهتمام به ، لأنها تشمل كل نعمة على العبد قد تمتع بها كما قال الإمام الطبري رحمه الله " فالله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عمّ بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض " .

و قال ابن كثير "أي ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ما قابلتم به نعمه من شكره وعبادته ".

فيا لله ما أعظم غفلتنا عما يُراد بنا ! فإن كان ربنا يقول :{ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ (34) }[إبراهيم]

فلو مكث أحدنا عمره لِيَعد نِعَم الله عداً فقط بدون أن يشكرها فإنه لا يُحصيها فمتى و كيف يشكرها ، ما من نعمة إلا و نحن نتمتع بها وإن لم نعلم بها أو نستشعرها، ثم بعد هذا التمتع، السؤال عن هذا النعيم، فهل أعددنا لهذا الموقف جواباً، وهل نبدأ بمراجعة أنفسنا ومحاسبتها لنذوق بعد طعم المزيد الذي وعدنا به لندرك بعد ما فاتنا من خير ونعيم{ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ (110)}البقرة.

العنصر السادس : ذم الجحود والنكران وعاقبته في الدنيا والآخرة

وكما ألزمنا سبحانه بالشكر له ,فقد حذرنا من الكفر بنعمته وجحودها، وحذرنا من أن نسلك مَسْلك من قبلنا، من أتباع الشرائع الأخرى، أن كفروا بنعم الله وجحدوها، فقال تعالى{سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (211)}[البقرة].

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ (29)}[إبراهيم].

فبالشكر تدوم النعم ويزيد الخير وبكفرها تزول النعم ويكثر الخبث .

غافلون هم الذين يتنعمون بنعم ربهم سبحانه ويلتهون عن شكره , وخاسرون هم الذين ألهتهم النعم عن ذلك الشكر , فتقلبوا فيها ليلا ونهارا بينما هم لا يؤدون حق شكرها من صالح العمل قال سبحانه واصفا حال قرية كانت مرفهة منعمة تتقلب في أنعم الله فغفلت عن شكره وكفرت بأنعمه { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)}[النحل] .

وبينما قوم آخرون يرتعون في النعيم , فيطغون مستكبرين عن شكر ربهم بالعمل الصالح , إذ يقلب سبحانه نعيمهم نقمة , ورغدهم خسرانا، قال سبحانه وتعالي :{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)}[سبأ].

فقد كانوا يعيشون من الرغد أطيبه، ومن الرزق أوسعه، ومن القوة أشدها، ومن الأمن أهنأه.

قال ابن كثير رحمه الله: كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها ، وكانت

التبابعة منهم ، وبلقيس صاحبة سليمان منهم ، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم ، وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم .
"وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين، وتجتمع إليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم، فعمد ملوكهم الأقادم فبنوا بينهما سدّا عظيما محكما، حتى ارتفع الماء وحكم على حافات الجبلين، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل وهو الذي تغترف فيه الثمار فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف؛ لكثرته ونضجه واستوائه، وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل، ويعرف بسدّ مأرب، وذكر آخرون أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدوه ويعبدوه"
وقال ابن كثير أيضا : "وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ، ويشكروه بتوحيده وعبادته ، فكانوا كذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به ، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد ، شذر مذر .. وعوقبوا بالقحط والجذب .. وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله ، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل"
وأخيرا ... إذا كان الشكر بهذه المكانة فحري بنا أن ندعوا بدعاء رسول الله (ﷺ) ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أن رسول الله (ﷺ) أخذ بيده، وقال:{يا معاذ، والله إني لأحبك، فلا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك} [أبو داود].
قابِلوا إحسانَ ربِّكم بالإحسان، واحفَظوا النِّعَم بالطاعة والعِرفان؛ ففضلُ الله عظيم، وإنعامُه جسيم، وخيرُه عميم، وكل شكرٍ وإنْ قلَّ ثمنٌ لكل نوالٍ وإن جلَّ.

ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقعٌ أَوْشَكَ أَلَّا يَشْكُر الكثير.
جعلني الله وإياكم من خير الشاكرين.
اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل السابع

المعايشة الإيمانية لاسم الله الجميل

ويحتوي على ستة عناصر ...

العنصر الأول : معنى اسم الله الجميل.

العنصر الثاني : مراتب الجمال الرباني.

العنصر الثالث : مظاهر الجمال الرباني.

العنصر الرابع : الجمال الحقيقي في الحياة .

العنصر الخامس : الجمال المزيف وعاقبته.

العنصر السادس : آخر محطات الجمال .

العنصر الأول : معني اسم الله الجميل

الجَمِيلُ فِي اللغَةِ مِنَ الجَمَالِ وهُوَ الحُسنُ فِي الخِلقَةِ وَالخَلقِ، جَمُلَ يَجمُلُ فَهُوَ جَمِيلٌ ،وَتَجمَّلَ تَزيَّنَ، وَجَمَّلَهُ تَجمِيلًا زَيَّنَهُ، وَأَجمَلَ الصَنِيعَةَ عِندَ فُلَانٍ يَعنِي: أَحسَنَ إِلَيهِ، وَالمُجَامَلَةُ هِيَ المُعَامَلَةُ بِالجَمِيلِ، وَالتَّجَمُّلُ تَكَلُّفُ الجَمِيلِ، وَقَدْ جَمُلَ الرَّجُلُ جَمَالًا فَهُوَ جَمِيلُ وَالمرأَةُ جَمِيلَةٌ"

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) : "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس" [رواه مسلم وأبو داود والترمذي]

وقِيلَ معني الجميل: أَنَّ كُلَّ أَمرِهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَلَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَى، وَصِفَاتُ الجَمَالِ وَالكَمَالِ.

وَقِيلَ مَعنَاهُ: جَمِيلُ الأَفعَالِ بِكُم باللُّطفِ والنَّظرِ إليكُم، يُكَلِّفُكُم اليَسِيرَ مِنَ العَمَلِ ويُعِينُ عَلَيهِ، وَيُثِيبُ عَلَيهِ الجَزِيلَ وَيشكُرُ عَلَيهِ".

وجمالُ الله وكماله مطلق ،قال تعالى :{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ(27)}[الرحمن] .

فالله تعالي له الصفات الجلال والكمال سبحانه وتعالي ،قال تعالي{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)} [الرحمن] .

قال ابن القيم : ومن أسمائه الحسنى الجميل ومن أحق بالجمال ممن خلق كل جمال في الوجود ؟! إنه الله تعالي الواحد الأحد.

العنصر الثاني: مراتب الجمال الرباني

جمال الأسماء وجمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال:

أسماءه كلها حسنى : قال تعالي {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ (180)}[الأعراف].

أسماءه كلها حسنة ، وصفاته كلها صفات كمال ، وأفعاله كلها حكمة.

لذلك لما قال بعض العلماء : " الشريعة عدل كلها ، لأنها منهج الله ، رحمة كلها حكمة كلها ، مصلحة كلها ، وأية قضية خرجت من الحكمة إلى خلافها ، ومن العدل إلى الجور، ومن المصلحة إلى المفسدة ، فليست من الشريعة ، ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل " .

حتى إن علماء العقيدة قالوا : " الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع ، الله عز وجل ذاته جميلة ، وصفاته جميلة ، وأفعاله جميلة ، وأسماءه جميلة" .

ويجب أن نؤمن أن جمال الذات لا يدركه أحد في الكون ولا الأنبياء ، لا يعرف الله عز وجل إلا الله تعالي، لكن جمال الصفات تدل على جمال الذات ، وجمال الصفات محجوبة بأفعاله ، فأفعاله الجميلة تدل على جمال صفاته ، وجمال صفاته تدل على جمال ذاته ، وأنت ترى أفعاله ، ترى الربيع ، ترى العصفور ، ترى الوردة ، ترى الزهرة ، ترى طفلا جميل الصورة ، هذه كلها أفعاله .

أحيانا تأكل طعاما طيبا ، مَن أودع في الطعام هذا الطعم ؟

أحيانا يهب نسيم عليل فتنتعش به ، مَن ساق هذا النسيم ؟

أحيانا ترى مرجا أخضر ، مَن أعطاه هذا اللون الجمال ؟

ترى السماء زرقاء ، البحر صافيا ، الجبال خضراء ، الأطفال الذين وهبهم الله مسحة جمال ، وهناك إنسان قد يفتن بابنه من جماله ، هذه كلها أفعاله ، أفعاله تشير إلى صفاته ، وصفاته تشير إلى ذاته .

لذلك قال بعض العارفين : " لا يعرف الله إلا الله " .

نحن مع جمال الأفعال نرى المطر يُنعش الأرض ، نرى النبع ، الماء الزلال ، نرى الفاكهة الجميلة ، منظر الفاكهة جميل جمالا رائعا جداً ،لدرجة أن البعض يزينون بعض الغرف بصور الفاكهة ، البساتين جميلة ، الماء الرقراق جميل ، يجب أن تخترق جمال الكون إلى جمال الخالق سبحانه وتعالي.

وَعن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: "حِجَابُهُ

النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَ سُبحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"[رواه البخاري ومسلم].
وقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ عَباسٍ رضي الله عنهما: "حُجِبَ الذَّاتُ بِالصِّفَاتِ وَحُجِبَ الصِّفَاتُ بِالأَفعَالِ، فَمَا ظَنُّكَ بِجَمالٍ حُجِبَ بَأَوصَافِ الكَمَالِ، وَسُتِرَ بِنُعُوتِ العَظَمَةِ وَالجَلَالِ"[رواه مسلم].
وَمِنْ هَذَا المَعنَى يُفهَمُ بَعضُ مَعَانِي جَمَالِ ذَاتِهِ، فَإِنَّ العَبدَ يَتَرَقَّى مِنْ مَعرِفَةِ الأَفْعَالِ إِلَى مَعرِفَةِ الصِّفَاتِ، وَمِنْ مَعرِفَةِ الصِّفَاتِ إِلَى مَعرِفَةِ الذَّاتِ، فَإِذَا شَاهَدَ شَيئًا مِنْ جَمَالِ الأَفْعَالِ استَدَلَّ بِهِ عَلَى جَمَالِ الصِّفَاتِ، ثُمَّ استَدَلَّ بِجَمَالِ الصِّفَاتِ عَلَى جَمَالِ الذَّاتِ، وَمِنْ هَهُنَا يَتَبَيَّنُ أَنهُ سُبحَانَهُ لَهُ الحَمدُ كُلُّهُ، وله الشكر كله ،وإليه يرجع الأمر كله، وَأَنَّ أَحَدًا مِنْ خَلقِهِ لَا يُحصِي ثَنَاءً عَلَيهِ، بَل هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفسِهِ.

العنصر الثالث : مظاهر الجمال الرباني

الجمال في الوجود من آثار صنعه سبحانه وتعالي.. فهيا بنا ننظر إلي بعض مظاهر الجمال الرباني ....

1- الجمال في الكون:

كثيرا ما تشهد الآيات القرآنية بروعة وجمال الكون كدلالة على وجود الخالق المصور المبدع ذي القدرة المطلقة والمشيئة النافذة ، حيث أخبر سبحانه وتعالي عن الجمال في السموات والأرض يقول سبحانه وتعالي : {بديعُ السَّمواتِ والأرضِ (101)}[الأنعام].
ومعنى هذا تأكيد جوانب الإبداع في أنحاء الكون الكبير.
وفي موطن آخر يقدّم القرآن صوراً بديعة من جمال الكون، بُرهاناً على البعث، فيقول تعالى: {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (8) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (10)} [ق] .

فنلمح من مظاهر الجمال التي أبرزتها الآيات كلمة: {وزيّناها} ممَّا يجعل الزينة وهي من أبرز عناصر الجمال عنصراً في بناء الكون، وكذا قوله تعالى:{وما لها من فروج}، والاتساق والتكامل من مظاهر الجمال، وكذا قوله تعالى:{من كل زوج بهيج}،{حبّ الحصيد}،{والنخيل باسقات}، {طلع نضيد}، وهذه العبارات كُلها تصوّر أنماطاً من الجمال لها مغزاها الكبير.

وهذه الصّور الجمالية في الكون العظيم تردّدت في عدّة آيات، منها قوله تعالي:{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ(6)}الصافات.

وقال تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً (61)} [الفرقان].

وقال تعالي:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ (21)} [الزمر].

وقال تعالي :{الذي خَلَقَ سَبعَ سَمواتٍ طِباقاً مَا تَرَى في خَلقِ الرَّحْمَنِ من تَفاوُت فارجِعِ البَصرَ هَل تَرَى مِنْ فُطُور(3) ثم ارجِعِ البَصرَ كرَّتين يَنقلِبُ إليكَ البَصرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِير(4) ولقد زيّنا السماء الدُّنيا بمَصابيحَ وجَعلنَاها رُجُوماً للشياطين(5)}[الملك].

وقال تعالي {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ(28)} [فاطر].

وقال تعالي {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ

اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(61)} [النمل]

2ـ الجمال في خلق الإنسان :

أخبر الله تعالي عن خلق الإنسان، إذ قال تعالى بعد أن وصف مراحل الخلق التي مرّ بها الإنسان:

قال تعالي{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)}[المؤمنون].

وهُناك آيات أُخرى تكشف عن ظواهر الجمال في خلق الإنسان، وهي تتمثّل في التسوية، والتعديل، والتقويم، فيقول تعالى:{يا أيُّهَا الإنسانُ ما غرّك بربّك الكَريم(6) الذي خلقك فسوَّاك فعدلك (7) في أيّ صورة ما شاء ركّبك(8)}[الانفطار].

وهناك أمثلة عظيمة في الجمال الذي صنعه الله تعالي ألاو هو جمال الأنبياء عليهم السلام....

فَعَن رَبِيعَةَ بنِ أَبِي عَبدِ الرحمَنِ قَالَ: سَمِعتُ أَنسَ بنَ مَالِكٍ يَصِفُ النَّبِيَّ (ﷺ)، قَالَ: "كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَومِ، لَيْسَ بالطَّوِيلِ وَلَا بالقَصيرِ، أزهَرَ اللَّونِ، لَيسَ بأبيَضَ أَمْهَقَ وَلَا آدَمَ، لَيْسَ بِجَعدٍ قَطِطَ، ولا سَبطٍ رَجِل..."[رواه البخاري].

ومما جاء في وصفه (ﷺ)"أنه كان يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر "

وَقَدْ أُعطِيَ نَبِيُّنَا صلى الله عليه وسلم مِنْ ذَلِكَ حَظًّا وَافِرًا: تَنَاسُبَ الأَعْضَاءِ، وَتَنَاسُقَهَا، وَجَمَالَ الوَجْهِ وَاسْتِدَارَتَهُ وَاسْتِنَارَتَهُ، وَحُسْنَ القَوَامِ وَرَبْعَتَهُ، وَلِينَ الكَفِّ وَطِيبَ رَائِحَتِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِهِ.

وَعَن البَرَاءِ بنِ عَازِبَ رضي الله عنهما قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَحسَنَ النَّاسِ وَجهًا، وأَحسنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بالطَّوِيلِ البائِنِ وَلَا بِالقَصِيرِ" [البخاري ومسلم].

وَعَنهُ: "كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) مَربُوعًا بَعِيدَ مَا بَينَ المَنكِبَينِ، لَهُ شَعَرٌ يَبلُغُ شَحمَةَ أُذنَيهِ، رَأَيتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمرَاءَ لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحسَنَ مِنهُ" [البخاري ومسلم].

وَسُئِلَ رضي الله عنه: "أَكَانَ وَجهُ النَّبِيِّ (ﷺ) مِثلَ السَّيفِ؟ قَالَ: "لَا، بَلْ مِثلَ القَمرِ"[البخاري ومسلم].

فانظر كيف خلق الباري نبيه المصطفى على هيئة جميلة؛ لأنه حامل الجمال القرآني والهدي الرباني فكيف لا يكون الوعاء جميلا!

وانظر عندما انبهر النسوة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام فقطعن أيدهن لشدة انبهارهن بجمال يوسف عليه السلام: {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) } يوسف.

إن في هذا الجمال البشري النبوي متعة للناس وتأليف لهم فالوسامة تجذب الناس إليهم وتحبب صاحبها إليهم، والحكمة الشرعية في ذلك الحسن إرادة الله لعبده أن خلقه في أحسن تقويم ليشكر ربه ويعبده، فمن هنا يلزم المسلم أن يكون قصده تعبديا فيما أتاه الله من فضل، كاستثمار هذا الجمال الظاهري في الدعوة إلى الله وجذب عباد الله إلى دين الله، وليس إلى الدنيا وزينتها، ولن يحصل للعبد التوفيق إلا بتجميله للباطن الذي هو محل تكليفه الاختياري، أما الأول فقد جمله الباري سبحانه وتعالي ابتداءً منًّا منه وفضلا.

ومن الجمال الإنساني جمال النساء؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي (ﷺ) فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله (ﷺ) أنظرت إليها؟ قال: لا! قال: فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا "

في هذا الحديث دلالة على جواز النظر إلى وجه من يريد المسلم تزوجها؛ لأنه يستدل بالوجه على الجمال؛ لأن في نظر الرجل لزوجته متعة نفسية تفضي للحكمة الشرعية وهي تحقق السكينة والمودة والرحمة، والقصد التعبدي هو إعفاف النفس بتصريف

الشهوة في موضع طيب حلال. لذلك روي عن رسول الله (ﷺ)قوله لعمر بن الخطاب: "ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته ."

فالمرأة الصالحة معناه الجميلة ظاهراً وباطناً، وهي خير من الكنز؛ لأنها أنفع له إذا نظر إليها أدخلت عليه الفرح والسرور بجمال صورتها وحسن سيرتها وحصول حفظ الدين بها، وبطاعتها له، وحفظها لأسرار العشرة وحفظها للمال ورعاية الأولاد.

3ـ الجمال في خلق الحيوان :

ومن مظاهر الجمال الرباني ، الجمال في عالم الحيوان الذي خلقه الله للإنسان على وجه الخدمة والتسخير؛ قال تعالى: وقال تعالي {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) }[النحل].

لذا أمرنا الله تعالي بالنظر والتدبر في عالم الحيوان فقال تعالي { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)} الغاشية.

فهذ هو الجمال الذي أبدعه الله تعالي وصوره ، فقال تعالي :{ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)}النمل .

4ـ الجمال في التشريع الإسلامي :

يتجلي الجمال الرباني في التشريع الإسلامي في عدم التعارض مع الغرائز البشرية ،وإشباع الجانب النفسي والروحي ، لذلك أقرَّ ما تتطلَّبُه الفطرةُ البشريّة من سرورٍ وفرَح ولعبٍ ومرَح ومزاح ومداعَبَة وأشواقٍ وجمال، كل ذلك محاطٌ بسياجٍ من أدَب الإسلام الرفيع يبلُغ بالمتعةِ كمالَها وبالمرَح غايتَه، بَعيدًا عن الخَنا والحرام والظّلمِ والعدوانِ والغِلِّ وإيغار الصّدور وهدم المبادئ والأخلاق.

فهو دين لم يعادي الجمال بل سما به , ورغب فيه مع أنه يؤثر الجمال المعنوي، وجمال الحياة الباقية ، لكنّه يرعى حاجات الإنسان ومطالبه الغالبة في الدُّنيا، بل يغريه بقضائها إغراءاً مُلحّاً في إطار الطيّب والحلال الذي يزيد الجميل جمالاً؛ فيقول تعالي:{يا بني آدم خُذُوا زِينَتَكِم عند كُلِّ مَسجِدٍ وكُلُوا واشرَبُوا ولا تُسرفُوا إنّه لا يُحبُّ المُسرفين(31) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) }[الأعراف]

ونجد أن الله تعالي أحل للمسلم التمتع بكل ما هو جميل طالما انتفت المضرة في نفسه وفيمن حوله بلا إسراف ولا مخيلة ، فيقول النبي (ﷺ) : {إن الله تعالى جميل يحب الجمال ،و يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، ويبغض البؤس والتباؤس } [رواه البيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في صحيح الجامع].

وقال (ﷺ):{كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة } [رواه أحمد وصححه الألباني].

وكان (ﷺ) يحب المنظر الحسن والوجه الحسن والاسم الحسن ، وكان يقول (ﷺ):{إذا بعثتم إلي رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم } [رواه البزار وصححه الألباني في صحيح الجامع].

وقال النبي (ﷺ){خصلتان لا يجتمعان في منافق: حسن سمت (أي حسن هيئة) ولا فقه في الدين} [رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع] .

ويندرج تحت هذا الجانب علاقة الرجل والمرأة التي وجدت في الزواج الشرعي فرصة الإشباع المشروع لهذا الجانب الغريزي ، وقد هيأ الشارع لهذه العلاقة كل مقومات التمتع الكامل والطاهر فحث كل من الزوجين خاصة الزوجة على الحرص على أن يكونا في أجمل صورة وأبهى منظر في عين الآخر ،بل جعل من أوجب حقوق الرجل على زوجته أن تتزين له ، وله أن يطالبها بحقه من

الزينة منها إن هي أهملت هذا الأمر ،وبتخصيص زينة المرأة لزوجها وحجبها عن عيون الآخرين استطاع الإسلام بتوازن منقطع النظير ملائمة الفطرة السوية وتقيد أسباب الرزيلة فحل بذلك أصعب معادلة حارت فيها البشرية.

العنصر الرابع : الجمال الحقيقي في الحياة

إن الله تعالي جميل يحب الجمال، و ينبغي أن نتعبده سبحانه وتعالي بالجمال، بجمال القول، وجمال الفعل، وجمال الثياب، والنظافة، والأدب، والأفعال المحمودة، والجمال المطلق.

1ـ الجمال المحمود:

ما كان لله عز وجل من باب "إن الله جميل يحب الجمال " والإسلام دين يدعوا إلي الجمال فنجد نصوصا كثيرة تحثنا علي النظافة والتجمل في كل شيئ ، فعن خريم فاتك الأسْدي قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رحالكم ، وأصلحوا لباسكم ، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس ؛ فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش) وفي رواية: (حتى تكونوا كالشامة في الناس) [رواه الإمام أحمد في المسند] .

كما شرع الإسلام الاغتسال في حالاتٍ: كالجُمع والأعياد، والإحرام ، وحضور الاجتماعات العامة، ومن ذلك حثه على التطيب، والسواك والختان، وأخذ الزينة عند حضور المساجد والصلاة.

ومن ذلك أيضاً خصال الفطرة التي أفصح عنها حديث المصطفى (ﷺ) فعن عائشة رضي الله: أن النبي (ﷺ) قال:(عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء يعني: الاستنجاء) [رواه مسلم] .

قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة.

فكان عليه الصلاة والسلام له ثياب خاصة يرتديها إذا لقي الوفود والجمال المحمود واسع جداً، فهناك جمال الكلام، تجد إنساناً أنيقاً

يمزح مزاحاً فاحشاً: جمال الجسم مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوس، هو أنيق لكن بذيء.

فلا يجوز للمسلم أن يكون فاحش اللسان؛ لقوله (ﷺ) :{إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش} [رواه مسلم].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) {مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ, وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ}.[رواه الترمذي وقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ].

2ـ جمال الأخلاق:

إنَّ الجمال الحقيقي والزينة الأساسيَّة هي زينة الدَّاخل وجمال الباطن؛ أيْ: جمال الأخلاق، جمال الروح، جمال النَّفس، فكان النبيُّ (ﷺ)إذا نظر في المرْآة يقول: (اللهُمَّ أحسنتَ خَلْقي فأحسِن خُلُقي) [أخرجه أحمد]

فكأنه (ﷺ) يُرسل بذلك رسالةً إلى أُمَّته؛ أنَّ العناية بالباطن، ومن ذلك القلب والأخلاق، أمرٌ هو مِن صُلب دينِنا وشرْعِنا، ومقصد هامٌّ من مقاصد الشَّريعة الغرَّاء، وأنَّ مَن يَعتَني بمظْهره الخارجيِّ فقط، ويَدَع الأمراضَ المعنويَّة والنفسيَّة تفعل فعلَها في داخله، هُو إنسان مغفَّل لا يُدرك أين الخير، ولا يَعرف حيثُ مصلحته فيبادرَ إلى تحصيلها.

فإنّ من جماليات الدين الإسلامي غناه بالأخلاق السامية، بل إن الإسلام خلق جميل كالشجرة الباسقة فيها من الثمار الطيبة الشيء الكثير، بل فيها كل ثمر طيب جميل، والأصل واحد وثابت، أولم يكن خلق الرسول الأكرم (ﷺ) القرآن الكريم وهو الأصل المصدري للإسلام!

وذلك أن "التدين إنما هو تمثل قيم الجمال، والتزين بأنوارها في السلوك والوجدان "فلا يصدر عن مسلم قبح في التعبير أو قبح في السلوك.

وهذا يدفعنا إلى تدبّر ما قاله القرآن الكريم في مجال الجمال المعنوي

، ولقد جاء الجمال المعنوي في القرآن الكريم مقروناً بأنماط شتّى من السلوك البشري، وقد نعجب لبعضها! ما لها وللجمال حتى تقترن به ؟!
إنّها من ألوان السلوك غير المستحب، ومن أنواع الحلال البغيض عند الله الذي شرعه ليتيسّر للحياة أسباب الجمال!
لقد اقترن الجمال بالصبر، واقترن بالصفح ، واقترن بسراح المرأة من عصمة الزوجية ، واقترن بالهجر.

أولا: الصبر الجميل :

إنّ الصبرَ من أعظم الصفات التي تزداد بها النفس جمالاً وكمالاً، والصبر الجميل هو الذي تزداد النفس فيه باليقين والثقة، وتمتلئ بالأمل، ويغمرها بالرجاء في الله، وتكون بمنأى عن الجزع والسخط على القضاء.
قال مجاهد: الصبر الجميل: الذي لا جزع فيه.
وذكر الإمام البخاري رحمه الله تعالي حديث أمنا عائشة رضي الله عنها لما خاض المنافقون في الحديث عنها وسماه القرآن بحديث الإفك حتى ذكر قولها: "والله لا أجد لي ولكم مثلا إلا قول أبو يوسف عليه السلام : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ."
إن جمالية الصبر في اجتهاد العبد المؤمن في تحمل الهموم والأزمات إلى درجة لا يستشعر معها الناس حاله ممتثلا أمر ربه {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5)} المعارج.
فيتوجه بعمق مشاعره وهو المكلوم المجروح إلى الله تعالى شاكيا ضارعا مناجيا: { قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86)}يوسف.
إنه توجُّه يشمل مقومات الجمال الثلاث المتعة النفسية والروحية، والتعبد بالدعاء الخالص، لأجل حكم ومنافع منها ما يعلمه العبد ويقصده ومنها ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالي.
وجاء الحديث عن الصبر الجميل في موضعين في سورة يوسف.....

الموضع الأول: على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام، وقد جاءه أبناؤه يخبرونه بأنّ يوسف أكله الذئب، وبرهنوا على قولهم بدمٍ كذب على قميصه، وبرغم الفاجعة الرهيبة على قلب الأب المؤمن واجه الأمر بأناة بالغة، وثقة عظيمة، جعلته يحسّ أنّ الأمر على غير ما صوّر أبناؤه، وتذرّع بالصبر الجميل، يقول تعالى على لسانه:{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (18)} [يوسف]

الموضع الثاني: على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام أيضاً، عندما جاءه نبأ احتجاز ابنه الثاني في سجن العزيز بمصر، وبرغم تتابع المحنة، وعمقها في وجدان الشيخ الرسول، لكن ما يزال للصبر الجميل الغلبة على مشاعره، فقال: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83)} [يوسف].

ثانيا : الصفح الجميل :

يقترن الجمال بالصفح، وهو من أسمى الصفات، إذ هو يعني التغاضي عن إساءات الآخرين.

وقد طلبه الله تبارك وتعالى من نبيّه في مواجهة المُعرضين المُكذّبين من قومه، مُبيّناً له أنّه صاحب رسالة مُهمّتها الهداية، وعقاب الضّالين مرجعه لرب العالمين، والساعة آتية لا ريب فيها، فقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85)} [الحجر]

والصَّفحُ في حدِّ ذاتِه جَميل، وعندما يتّصف بالجمال يكون صفحاً لوجه الله، لا يجعله صاحبه حديثاً يُذكر به بين النَّاس ، ويمن به علي من صفح عنه ، والمراد الصفح الجميل الصفح الكامل .

لقد تجاوزَ هذا الجمالُ حتى شمِلَ العقوبةَ والعفوَ والصفحَ، لذا أمرَ اللهُ تعالي من يعفوَ عنَ الآخرينَ أنْ يكونَ في عفوِهِ وصفحِهِ رونقاً وجمالاً، فلا يعلو صفحُ المسلمِ على ضعفِ أخيهِ، ولا يمسُّ كرامتَهُ،

وأنْ يكونَ صفحُكَ عن أخيكَ فيه الحسنُ والجمالُ والكلامُ الطيبُ الذي يشرحُ الصدورَ، ويَسُدُّ الثغرات ، ويكونُ أدعى للتقاربِ والمودةِ والمحبةِ بينَ المسلمينَ.

ثالثا : الهجر الجميل :

ربما يكون الجمال في الصبر والصفح مألوفاً !! لكن ماذا نقول في جمال الهجر، وهو لون من ألوان المقاطعة .

إنّ القرآن بهذا يُعطى بُعداً جديداً للسلوك الإنساني، وأنَّ الجمال مطلوب ومرغوب حتى في السلوك الذي لا يخلو من ألم ومُعاناة.

لقد أساء المشركون إلى الرسول (ﷺ)، وأمره الله تعالي في معاملتهم بالهجر مع الصبر، والهجر قد يتنافى مع مُهمّة الداعية، لكن الهجر الذي أمر الله به نبيّه (ﷺ) هو الهجر الجميل الذي يُشعر المهجور بسوء تصرّفه، وضلال سعيه مع استبقاء البرّ به والودّ له،

فقال تعالي{وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا(10) } [المزمل] .

الهجر الجميل هو الذي لاعتاب معه ، فالله تعالي جميل يحب الجمال، فالمسلم يسعى ليكون جميلا، ولتكن رسالته نشر الجمال في الكون.

رابعا : السراح الجميل :

والسراح يعني الطلاق وهو أيضا لون من المقاطعة والألم النفسي لذلك أمر الله تعالي بأن يكون جميلا ؟!

وسراح المرأة: أن تكون في حلّ من رابطة الزوجية، فهو الطلاق، وهو أبغض الحلال إلى الله، لكنَّه مع وقعه الأليم على النفس عندما يقترن بالجمال نحصل على ثمراته، وننأى عن سوءاته، ويَجْمُل السراح عندما تفارق المرأة بيت الزوجية من غير غبن، أو قهر، أو انتقاص للحقوق، بعيداً عن البغي والعدوان.

وذُكرَ السراحُ الجميل مرَّتين في القرآن الكريم في سورة الأحزاب...

الموضع الأول : في تخيير النبي لزوجاته عندما سألنه التوسعة في النفقة، فقال ربُّ العالمين لنبيّه (ﷺ) : {يا أيها النبي قُلْ لأزواجِكَ إن كُنتنّ تُردنَ الحياةَ الدُّنيا وزينتَها فتَعالَين أُمتِعْكن وأسرّحكم سراحاً جميلاً (28)}[الأحزاب]

الموضع الثاني : مطالبة الأزواج الذين يطلّقون الزوجات قبل الدخول، بأن يمتّعوا الزوجات، والمُتعة كسوة ملائمة لمكانة المرأة ومستواها الاجتماعي، ثم السراح الجميل دون بغي على الحقوق، وتعقب بالإساءة، فقال تعالى:{يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسّوهن فمالكم عليهن من عدّة تعتدّونها فمتِعوهُن وسرّحوهُن سَراحَاً جَمِيلاً(49)} [الأحزاب]

فأمرَ اللهُ أنْ يكونَ هذا الفراقُ فيهِ جَمالٌ وإحسانٌ، فتخرجُ هذه المرأةُ من مُطلِّقِها وتفارقُهُ راضيةً، قد أعطاها حقَّهاَ وأرضاهاَ بشيءٍ يذيبُ عنها ألمَ الفراقِ وحسرةَ الطلاقِ فتذكرُهُ ويذكرُها بالخيرِ، وليسَ ذلكَ في الطلاقِ فحسب بلْ في أيِّ فضٍّ لشراكةٍ أو إنهاءٍ لتعامُلٍ ينبغي أنْ يكونَ فيهِ الجمالُ والرونقُ الذي يليقُ بأمةِ الإسلامِ، وينبغي أنْ لا يخرجَ من هذا الجمالِ إلى الخصومةِ والقطيعةِ والمحاكمِ.

وجمالُ الطلاقِ يكادُ يكونُ معدوماً بيننا، وإن كنَّا لا نُحبِّذُ الطلاقَ أصلاً، لكنْ إذا وقعَ وجبَ أنْ يكتسيَ بثوبِ الحسنِ والجمالِ.

وما نراهُ اليومَ في كثيرٍ منْ حالاتِ الطلاقِ لا يكونُ إلا بالخصومةِ والتقاطُع والتدابُرِ والمحاكمِ، فأينَ الجمالُ أيها المسلمونَ في حالاتِ التسريح والطلاقِ؟

3ـ جمال الروح :

ليس مِن الحُسْن أن نَسعَى إلى ستْر عورةِ الجسم، ونتركَ عورةَ النَّفس باديةً لكلِّ أحدٍ، واللهُ تَفضَّل علينا بكرمه فقال تعالي{ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26)}[الأعراف].

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وَخَيْرُ لِبَاسِ المَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلا خَيْرَ فِي مَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيَا

كان مِن بينِ الصَّحابة على عهد رسول الله (ﷺ) صحابيٌّ اسمُهُ زاهرُ بن حرام الأشْجعي، وكانت به دمامة رضِي الله عنْه، وكان لِحُبِّه الجَمِّ لرسولِ الله (ﷺ) يَتَفَقَّده ببعضِ طعامِ أهلِ البادية، وكان بدويًّا، وكان النَّبيُّ (ﷺ) يُبادله الهديَّة بالهديَّة، ويمنحُه كلَّ المحبَّة والتَّقدير.

وذات يومٍ رآه رسولُ الله (ﷺ) في سُوق المدينة وهو يَبيع متاعَه، فاحتَضَنَه مِن خَلْفه ولا يُبصِرُه زاهِر، فقال: أرْسِلْني، مَن هذا؟ فالتفَتَ فَعَرَف النَّبيَّ (ﷺ) ، فجَعَل لا يألو ما ألصَقَ ظهرَه بصَدْر (ﷺ) حين عَرَفَه، وجَعَل رسولُ الله (ﷺ) يقول: مَن يَشتَري العبدَ؟ فقال: يا رسول الله، إذًا والله تَجِدُني كاسدًا، فقال رسولُ الله (ﷺ): لكن عندَ الله لستَ بكاسد، أو قال: لكن عند الله أنتَ غالٍ.[رواه أحمد].

مع دمامته رضِي الله عنه كان ذا قَدْرٍ ومنزلةٍ عند الله تعالى؛ بصفاء سريرته، وطيبة قلبه، وهذه سبيل كلِّ مَن أراد أن يَنال عند ربِّه وعند الناس الحظوةَ، والمنزلة التي ليست لِسِواه.

نموذج غاية في الروعة والجمال:

رجل من أصحاب النبي (ﷺ) ، اسمه جُليبيب، رجل فقير معدوم، عليه أسمال بالية، جائع البطن، حافي القدمين، مغمور النسب، لا جاه، ولا مال، ولا عشيرة، ليس له بيت يأوي إليه، ولا أثاث، ولا متاع، يشرب من الحياض العامة بكفيه مع الواردين، وينام في المسجد، وسادته ذراعه، وفراشه الأرض، هل هناك أقل من هذا؟ وكان في وجهه دمامة، لكنه صاحب ذكر لربه، وتلاوة لكتاب مولاه، لا يغيب عن الصف الأول في كل الصلوات، ولا في كل الغزوات، ويكثر الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم..

قال له النبي (ﷺ) ذات يوم : يا جُليبيب ألا تتزوج؟

فقال : يا رسول الله ومن يزوجني؟

فقال رسول الله: أنا أزوجك يا جُليبيب ، فالتفت جُليبيب إلى الرسول (ﷺ) فقال: إذاً تجدُني كاسداً يا رسول الله.. فقال الرسول الكريم: غير أنك عند الله لست بكاسد.

جاء في يوم من الأيام رجلٌ من الأنصار، قد توفي زوج ابنته، فجاء إلى النبي (ﷺ) ، يعرضها عليه ليتزوجها، فقال له النبي (ﷺ): نعم، لما قال له نعم والد الفتاة اختل من الفرح، صارت ابنته زوجة رسول الله (ﷺ) ، ولكن لا أتزوجها أنا، فسأله الأب: لمن يا رسول الله! فقال (ﷺ): أزوجها جُليبيباً، تصور إنساناً لا يملك شيئاً، لا يملك بيتاً لا جمالاً، فقال ذلك الرجل: يا رسول الله تزوجها لجُليبيب؟ انتظر حتى أستأمر أمها يريد أن يخرج من الموضوع ثم مضى إلى أمها، وقال لها: إن رسول الله (ﷺ) يخطب إليك ابنتك، قالت: نعم لرسول الله (ﷺ) ، ومن يرد النبي (ﷺ)..

فقال لها: إنه لا يريدها لنفسه، قالت: لمن؟

قال: يريدها لجُليبيب !! قالت: لجُليبيب؟! لا لعَمْرُ الله، لا أزوج جُليبيباً، وقد منعناها فلاناً وفلاناً، فاغتم أبوها لذلك، ثم قام ليأتي النبي (ﷺ) ، فصاحت الفتاة من خدرها، وقالت لأبويها: من خطبني إليكما؟

قال الأب : خطبك رسول الله.. قالت : أفتردان على رسول الله (ﷺ) أمره؟

ادفعاني إلى رسول الله (ﷺ) فإنه لن يضيعني، البنت وافقت علي جُليبيب لا يوجد أدنى منه في المدينة، ثم ذهب إلى النبي الكريم(ﷺ) وقال: يا رسول الله شأنك بها...

فدعا النبي (ﷺ) جُليبيباً ثم زوجه إياها، ورفع النبي (ﷺ) كفيه الشريفتين، وقال: اللهم صب عليهما الخير صباً، ولا تجعل عيشهما كداً، ثم لم يمض على زواجهما عدة أيام حتى خرج النبي (ﷺ) مع أصحابه في غزوة، وخرج معه جُليبيب، فلما انتهى القتال اجتمع

الناس، وبدؤوا يتفقدون بعضهم بعضاً، فسألهم النبي (ﷺ) وقال: هل تفقدون من أحد؟
قالوا: نعم يا رسول الله نفقد فلاناً وفلاناً، ونسوا جليبيباً، ليس له مكانة إطلاقاً، فقال (ﷺ) :ولكنني أفقد أخي جُليبيباً.. فقوموا فالتمسوا خبره، فقاموا وبحثوا عنه في ساحة القتال، وطلبوه مع القتلى، ثم مشوا فوجدوه في مكان قريب، وقد استشهد، قتل سبعة من المشركين وقتلوه ،
وقف النبي (ﷺ) أمام جسده المقطع، ثم قال: أنت مني وأنا منك، لاحظوا أن الإسلام ألغى كل هذه الفوارق، لا يوجد أقل منه، قال: أنت مني وأنا منك، ثم تربع النبي (ﷺ) جالساً بجانب هذا الجسد، ثم حمل هذا الجسد ووضعه على ساعديه، وأمرهم أن يحفروا له قبراً..
قال أنس: فمكثنا والله نحفر القبر وجُليبيب ليس له فراش غير ساعدي النبي (ﷺ) ، فقال أنس: فعدنا إلى المدينة وما كادت تنتهي عدة زوجة جليبيب حتى تسابق إليها كبار الصحابة.

العنصر الخامس : الجمال المزيف وعاقبته

يَشقَى كثيرٌ من النَّاس في قضيَّة الجمال، ويَبذلون وُسْعهم وطاقتَهم في الحصول على أحْدث مقاييس الجمال، وآخرِ صرخات الموضة والأزياء، سواء في الأثاث ،أو اللباس ،أوديكور البيت ،الرجال والنساء في ذلك سواء.
أيُّ جمال ذلك الَّذي تَبحَثون عنْه وتَنشُدونه؟!
أي زينة تلك التي تَلهَثون وراءها؟! جمال صناعي، وزينة مصطنَعة.

لَيْسَ الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إِنَّ الجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا
لَيْسَ الجَمَالُ بِأَثْوَابٍ تُزَيِّنُنَا ♦♦♦ إِنَّ الجَمَالَ جَمَالُ العِلْمِ وَالأَدَبِ

فمن صور الجمال المزيف المذموم عند الله تعالي ورسوله (ﷺ)....

1ـ الاسراف في تجميل الصورة

الله عز وجل ذمّ جمال الصورة، وتمام القامة والخلقة إذا كانت بعيدة عن المنهج الإسلامي، فقال عن المنافقين: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ (4)} [المنافقون]

المبالغة في العناية بجمال الجسم وأناقة الثياب وفخامة المنزل بدون قيم أخلاقية، وبدون تعبد لله عز وجل ،هذا الجمال وحده بدون مضمون مذموم عند الله سبحانه وتعالي ، فعندما تجد امرأة تهتم بمظهرها الخارجي وتخالف شرع الله عز وجل في عدم الالتزام بالزي الإسلامي، وتغيير خلق الله تعالي فهذا لا يزيدها إلا قبحا والعياذ بالله ، لذلك أمر المولي عز وجل المرأة بالحجاب رمز العفة والجمال ، فالحجاب يزيد المؤمنة جمالاً.. ويحمي البشرة من نارٍ تلظى.. ويقيها بإذن الله من النظرات المسمومة .. ويعطي مفعولاً أكيداً لمن تريد الراحة النفسية.

ولقد حذر النبي (ﷺ) المجتمع من التبرج والسفور والانحلال الذي وقع فيه كثير من نساء اليوم بحجة البحث عن الجمال..

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ): "صنفان من أهل النار لم أرهما نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، ورجالٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها عباد الله).مسلم.

2ـ الإسراف في تجميل المنازل :

قال الله عز وجل{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً (73)} [مريم]

أي: منظر بيوتهم، وحدائقهم، وهيئاتهم، ومركباتهم شيء جميل جداً، وهذا الآن في العالم بلغ درجة تفوق حد الخيال.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)[رواه مسلم]

نجد الآن يوجد قصور ثمنها بالمليارات، من يسكنها؟ ربما تجد من يسكنها من يعملون في تجارة المخدرات، أوتجارة الأعضاء ، أو غير ذلك من التجارات المحرمة .

لذلك أمر الله تعالي نبيه (ﷺ) بعدم النظر والالتفات إلي هذه الأشياء الزائفة فقال تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ (131)}[طه]

فلو وقع نظرك علي بيت جميل ، أو مركبة فارهة جداً ،فلا تنس أن تدعو بدعاء النبي (ﷺ): عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي (ﷺ) (اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ)[متفق عليه]

وكان سيدنا عمر بن عبد العزيز إذا دخل مكان عمله يتلو هذه الآية:{أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)} [الشعراء].

وأرسل سيدنا عمر كتابًا إلى بعض الولاة، قال فيه: " أما بعد ؛ فقد نُمِيَ إلي أنه قد صار لك هيئة حسنة في مسكنك ومطعمك، ومشربك وملبسك، ومركبك، ليست لعامة المسلمين، فاحذر يا عبد الله أن تكون كالدابة مرت بواد خصب فجعلت همها في السمن، وفي السمن حتفها ".

عاقبة الجمال المزيف

إن العناية الفائقة بالجمال الخارجي ، والترف والزينة له عاقبة وخيمة والعياذ بالله تعالي ، ولقد توعد الله تعالي صاحبة بالهلاك والتدمير ،لان في باطنهم كفرا واستعلاء ، قال الله عنها: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ (24)} [يونس].

العنصر السادس : آخر محطات الجمال

في الآخرة يحط الجمال رحاله كأعظم جزاء ينتظر الموحدين ، إنها الجنة التي يتجسد فيها الجمال بأروع حلله بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فهي نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في دور عالية بهية سليمة ، ونصوص الكتاب والسنة تتكاثر في وصف هذا الجمال لتشحذ همم العاملين وتوقظ أفئدة الغافلين ، قال تعالى {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20)عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (22)}[الإنسان] .

وقال تعالى :{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ (15)} [محمد]

وقال تعالى:{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28)} [المطففين].

ويصفها (ﷺ) بقوله :{ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران ،من يدخلها ينعم ولا ييأس ،ويخلد ولا يموت ،ولا يبلى ثيابهم ،ولا يفنى شبابهم } [رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع].

وقال (ﷺ):{إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا } رواه مسلم .

وأخير.. ما أحوجنا إلي الجمال بأن نجعله جزءاً أساسياً في حياتنا ،في أخلاقنا ،وأرواحنا ونفوسنا ، وفي بيوتنا وتعاملاتنا ، فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجملنا بالتقوي ، وأن يزيننا بالحلم ،وأن يكرمنا بالعافية .

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

الفصل الثامن

المعايشة الإيمانية لاسم الله الجبار

ويحتوي على سبعة عناصر ...

العنصر الأول : حقيقة اسم الله الجبار.

العنصر الثاني : منزلة جبر الخواطر في الإسلام.

العنصر الثالث : جبر الخواطر في القرآن الكريم.

العنصر الرابع : جبر الخواطر في السنة النبوية المطهرة .

العنصر الخامس : جبر الخواطر في حياة السلف الصالح.

العنصر السادس : جبر الخواطر في الواقع المعاصر.

العنصر السابع : الآثار الإيمانية للمعايشة مع اسم الله الجبار.

العنصر الأول : حقيقة اسم الله الجبار

ورد اسم الله "الجبار" في القرآن مرة واحدة فقط في {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ(23)} [الحشر].

وقد ورد في السنة ، ففي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : {يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدِهِ ، وَقَبَضَ بِيَدِهِ ، فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُهَا ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْجَبَّارُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟... }.

واسم الله الجبار له ثلاثة معان:

1- جبر القوة: و(الجبار) هو الجبروت ، كمالك الملك والملكوت ، يقول عليه الصلاة والسلام : " سبحان ذي الجبروت والملكوت ، والكبرياء ، والعظمة " [أخرجه أبو داود والنسائي] .

فهو سبحانه وتعالى الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله عز وجل وجبروته وفي يده وقبضته.

2-جبر العلو : الجبار الذي تنفذ مشيئته في خلقه ، الله عز وجل لا غالب لأمره . قال تعالي {لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ (41)} [الرعد] .

فإنه سبحانه فوق خلقه عال عليهم، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم، حيث قال النبي (ﷺ) {ما شاءَ اللهُ كانَ ،وما لم يشأْ لم يكن} [أخرجه أبو داود] .

إذا كنت مع الجبار فأنت مع الذي إرادته نافذة ، أنت مع الغالب على أمره ، قال تعالي{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ (21)} [يوسف] .

وقال تعالي {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107)}[هود] .

3 - جبر الرحمة: الجبار: صيغة مبالغة مِن جابر ، جابر جبّار، والجبر من جبر يجبر ، والجبر إصلاح الشيء بالقهر.

فإنه سبحانه وتعالي يجبر الضعيف بالغنى والقوة، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج

والطمأنينة فيها، وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا على ذلك من أجله.
الجبار: هو الذي يجبرك عندما تلجأ إليه بكسرِك فهو الذي يُجبِر المنكسرين.
وهذا الاسم بمعناه الرائع يُطمئنُ القلبَ ويريحُ النفس فهو سُبْحَانَهُ "الذِي يَجْبُرُ الفَقرَ بِالغِنَى، والمَرَضَ بِالصِحَّةِ، والخَيبَةَ والفَشَلَ بالتَّوْفِيقِ والأَمَلِ، والخَوفَ والحزنَ بالأَمنِ والاطمِئنَانِ، فَهُوَ جَبَّارٌ مُتصِفٌ بِكَثْرَةِ جَبْرِهِ حَوَائِجَ الخَلَائِقِ". [تفسير أسماء الله للزجاج]
وأصل كلمة "الجبار" هو كلمة "جبيرة" وهي التي يستخدمها من كُسِرَت يداه لتصليح الكسر.
هناك نوعان من الكسر: كسر للأبدان وكسر للقلوب.
وإذا كان الأطباء يُجبرون كسر الأبدان فإن الله سبحانه وتعالى يُجبر كسر القلوب.
بل حتى إن كسر الأبدان يُجبره "الجبار"! إذا كسِرت يداك، فما على الطبيب إلا إنه يعيد العظم المكسور إلى مكانه ثم يضع الجبيرة ولكن يلتئم العظم "بالجبار" حيث يأمر الخلايا العظمية بالنشاط بعد أن كانت قد سكنت حتى يلتئم الكسر ثم يأمرها الله بالسكون مجدداً.
هذا مثل "الجبار" في الأبدان، فما بالك "بالجبار" في القلوب؟
وقال ابن القيم في النونية في معنى الجبار:

وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه قسمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان
والثانِ جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنو منه من إنسان

والمعني الذي نعيش معه ، وهو المعني الثاني وهو جبر الرحمة .
"الجبار" هو الذي يجبر المنكسرين.

"جابر" أم "جبار"؟

والفرق بينهما هو أن "الجابر" قد يُجبرك مرة أو مرتان ولكن

"الجبار" يُجبرك كلما لجأت إليه. وقد يسمى شخص بـ "جابر" ولكن لا أحد يسمى بـ "الجبار" إلا الله سبحانه وتعالى.

الفرق بين "الجبار" و"المنتقم":

"المنتقم" علاقة بالظالمين فقط ولكن "الجبار" الأصل فيها للمظلومين لكي يجبرك، يأخذ الحق ممن ظلمك: يقصم الله من ظلمك، ليُجبرك ، فهو جبار للمظلومين، جبار على الظالمين. إذا كنت منكسراً، ومن كسرك لم يتب ومُصِراً على ما فعله بك، فسيجبرك الله ويأخذ لك الحق ممن كسرك.

نلاحظ أن كلمة "جبار" في حياة الناس هي كلمة مذمومة، ويتجلى ذلك في العديد من الآيات القرآنية ، ومنها قوله تعالى: {وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59)} [هود].

وقوله تعالى: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(15)}[ابراهيم].

فنفى الجبر هنا هو نفي للطغيان وللقهر والتحكم في مخلوقات الله عز وجل لمنافع وأهواء شخصية.

لكن "الجبار" سبحانه وتعالى هي كلمة كلها خير ومصلحة لأنه يرد للظالمين حقوقهم، فهو جبار للمنكسرين، جبار على الكاسرين.

لابد أن يقصم الله من ظلمك، وكأن اسم الله "الجبار" له شقان: شق إذا كان ظالم وشق إذا كان مظلوم.

العنصر الثاني : منزلة جبر الخواطر في الإسلام

من أعظم العبادات ..

عندما يطرق آذننا مصطلح **"عبادة"** فإن أول ما يتبادر إلى أذهاننا الصلاة والصيام وبر الوالدين وصلة الأرحام وغيرها من العبادات التي تتبادر إلى الذهن عادة، ورغم عظم شأن هذه العبادات وكبير فضلها إلى أن هناك عبادات أصبحت خفية ربما لزهد الناس بها وغفلتهم عنها وأجر هذه العبادات في وقتها المناسب يفوق كثيراً من أجور العبادات والطاعات، ومن هذه العبادات عبادة "جبر الخواطر".

تطييب النفوس المنكسرة وجبر الخواطر من أعظم أسباب الألفة والمحبة بين المؤمنين، وهو أدب إسلامي رفيع، وخلق عظيم لا يتخلق به إلا أصحاب النفوس النبيلة، فما أجمل هذه العبادة وما أعظم أثرها، يقول الإمام سفيان الثوري :"ما رأيت عبادة يتقرب بها العبد إلي ربه مثل جبر خاطر أخيه المسلم".

ومما يعطي هذا المصطلح جمالاً أن الجبر كلمة مأخوذة من أسماء الله الحسني وهو "الجبار".

لذا أوصى الله تعالى رسوله (ﷺ) بعدمِ كسرِ الخواطرِ، فقالَ تعالي :{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(10)}[الضحى].

من أجمل صور تطييب الخاطر وأرقى صور التعامل ما قاله ابن قدامه رحمه الله: "وكان من توجيهات ربنا سبحانه وتعالى لنبيه (ﷺ)، فكما كنت يتيماً يا محمد (ﷺ) ،فآواك الله، فلا تقهر اليتيم، ولا تذله، بل: طيب خاطره، وأحسن إليه، وتلطف به، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك، فنهى الله عن نهر السائل وتقريعه، بل: أمر بالتلطف معه، وتطييب خاطره، حتى لا يذوق ذل النهر مع ذل السؤال". [تفسير ابن كثير]

وها هو عزَّ وجلَّ يجبرُ خاطرَ الرَّحمِ لمَّا عاذتْ به من القَطيعةِ، قَالَ (ﷺ) "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ".[صحيح الجامع]

وقد وضع الله تعالي عقاب من يهملها بعد التكذيب بيوم الدين فقال تعالي {رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)}[الماعون].

العنصر الثالث : جبر الخواطر في القرآن الكريم

لو تأملنا القرآن الكريم لوجدنا أن الله تعالي يؤسس لجبر الخواطر ، ففي قصة سيدنا يوسف عليه السلام قال تعالي :{فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ(15)} [يوسف].

فكان هذا الوحي من الله سبحانه وتعالى لتثبيت قلب يوسف عليه السلام- ولجبر خاطره؛ لأنه ظلم وأوذي من أخوته والمظلوم يحتاج إلى جبر خاطر، لذلك شرع لنا جبر الخواطر المنكسرة.

ومثله قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ(85)} [القصص].

فرسول الله (ﷺ) الذي أحب مكة التي ولد فيها ونشأ أُخرج منها ظلما، فاحتاج في هذا الموقف الصعب وهذا الفراق الأليم إلى شيء من المواساة والصبر، فأنزل الله تعالى له قرآن مؤكد بقسم؛ أن الذي فرض عليك القرآن وأرسلك رسولا وأمرك بتبليغ شرعه سيردك إلى موطنك مكة عزيزا منتصرا وهذا ما حصل.

ومثله قوله تعالى :{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (5)} [الضحى].

وانظر لروعة العطاء المستمر في هذه الآية حتى يصل بالمسلم لحالة الرضا، فهذه الآية رسالة إلى كل مهموم ومغموم، وتسلية لصاحب الحاجة، وفرج لكل من وقع ببلاء وفتنة؛ أن الله يجبر كل قلب لجأ إليه بصدق.

وقد ورد في صحيح مسلم أنَّ النبيَّ (ﷺ) تلا قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ في إبراهيمَ : {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(36)} [إبراهيم].

وقال عيسى عليه السلام : {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم (118)} [المائدة].

(فرفعَ يديهِ وقال اللهمَّ ! أُمَّتي أُمَّتي وبكى . فقال اللهُ عزَّ وجلَّ : يا جبريلُ ! اذهب إلى محمدٍ، وربُّكَ أعلمُ ، فسَلهُ ما يُبكيكَ ؟ فأتاهُ جبريلُ

عليهِ الصلاةُ والسلامُ فسَألهُ. فأخبرهُ رسولُ اللهِ (ﷺ) بما قالَ . وهو أعلمُ . فقال اللهُ : يا جبريلُ ! اذهبْ إلى محمدٍ فقلْ : إنَّا سنُرضيكَ في أُمَّتكَ ولا نَسُوءُكَ .

وقد شرع الله عز وجل نصيبا في التركة لليتامى والمساكين وذوي القربي جبرا لخاطرهم ، وتطييبا لنفوسهم ، حتى لا يبقى في نفوسهم شيء، قال تعالى: { وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا(8)}[النساء].

وكذلك يطيب خاطر المطلقة بالتمتيع، وهو حق على المحسنين، متاعاً بالمعروف، فإذا لم يفرض لها مهر كان المتاع والتمتيع واجباً على المطلق، وإذا كان لها مهر أخذته، فإن تمتيعها بشيء تأخذه معها وهي ترتحل من مال غير المهر، أو ثياب، أو حلي، ونحو ذلك؛ جبراً لخاطرها، وتطييباً للقلب المنكسر بالطلاق، قال تعالي {مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ (236)} [البقرة].

وقال تعالي {فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28)} [الأحزاب].

وذلك لأن القلب قد حصل فيه انشعاب، والنفس قد كُسرت وكسرها طلاقها، فجبر الكسر بالمتاع من محاسن دين الإسلام، كما أُقر القرآن الكريم الدية في قتل الخطأ؛ لجبر نفوس أهل المجني عليه، وتطييباً لخواطرهم.

وقد عاتب الله نبيه محمد(ﷺ) لأنه أعرض عن ابن أم مكتوم وكان أعمى عندما جاءه سائلا مستفسرا قائلا: علمني مما علمك الله، وكان النبي (ﷺ) منشغلاً بدعوة بعض صناديد قريش، فأعرض عنه، فأنزل الله تعالي : {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (1) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (4)}[عبس].

قال القرطبي في التفسير: "فعاتبه الله على ذلك؛ لكي لا تنكسر قلوب أهل الإيمان".

أم سيدنا موسى عليه السلام . فقد كان فرعون يقتل الذكور من

المواليد، وقد وضعت أم موسى سيدنا موسى وأوحى الله لها: "...أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ..."
وبعدها قال الله تعالى: "...وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ(7)" [القصص].
ثم يقول الله تعالى، {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ (13)} [القصص].
يا مكسورين ، يا ضعفاء، يا يتامى، يا أُمة محمد (ﷺ)، "إذا كنا مكسورين، فليس لنا إلا "الجبار". {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ(3)}[القصص]. "لن يُرجعك الجبار أبداً".

أكثر الناس جبراً لخواطرهم من الله:

هم الوالدين، فإياك أن تكسِر بخاطر أبيك أو أمك أو تدمع أعينهم أو تحمر وجوههم أو تنكسِر قلوبهم!
ولذلك وردت كلمة "جبار" مرتين في القرآن على الوالدين على الحذر من أن تكون جباراً عليهم؛ مرة على لسان سيدنا يحيى في قوله تعالي :{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا(12) } [مريم].
ومرة على لسان سيدنا عيسى في قوله تعالي :{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا(30)}[مريم].

العنصر الرابع : جبر الخواطر في السنة النبوية

لجوء النبي (صلى الله عليه وسلم) للجبار في رحلة الطائف التي قام بها النبي (ﷺ) حيث واجهه أهلها بالحجارة ، وقد كان يبلغ من العمر خمسون عاماً، وكان يبحث عن مكان يأوي إليه مع زيد بن حارثة، فدعى النبي (ﷺ) شاكياً إلى الله دون أن يطلب منه شيئاً قائلاً، "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت

رب العالمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي".

ثم يأتي غلام يسمى عدَّاس يقدم قطف عنب للنبي (ﷺ) ويجري حوار معه يعرف منه أنه رسول الله، فينزل عدَّاس مُقبِلاً قدما النبي (ﷺ)

لابد أن يجبُرك!

قد يجبُرك الله تدريجياً لحكمةٍ يعلمها، ولكن لابد وأن يُجبر خاطرك ولو بإشارة، ثم يأتي الجبر الكامل وهي رحلة الإسراء والمعراج.

لذلك كان رسول الله (ﷺ) لم يرد سائلا قط بل كان يرشد الصحابة للحل ويدلهم على الطريق ويطيب خاطرهم فقد دخل (ﷺ) ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال :{يا أبا أمامة، مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: هموم لزمتني، وديون يا رسول الله، قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله -عز وجل- همك، وقضى عنك دينك، قلت: بلى يا رسول الله؟ قال: قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت: {اللهم إني أعوذ بك من الهم، والحزن، وأعوذ بك من العجز، والكسل، وأعوذ بك من الجبن، والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال، قال أبو أمامة: ففعلت ذلك، فأذهب الله -عز وجل- همي وقضى عني ديني}.

[رواه أبو داود]

وعندما جاء فقراء المهاجرين مكسوري الخاطر وقالوا : يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: "أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: {أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ}

[رواه مسلم].
وحتى الأطفال كان لهم من جبر الخاطر مع رسول الله (ﷺ) نصيب فعن أنس رضي الله عنه قال: {كان رسول الله (ﷺ) أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير أحسبه قال: كان فطيما ، قال: فكان إذا جاء رسول الله (ﷺ) فرآه قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير طائر صغير كالعصفور؟ قال: فكان يلعب به } [رواه مسلم] .
ويُجبر بخاطر من يُجبر بخاطر اليتامى ويقول النبي (ﷺ): {أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة}.[الترمذي]
يجبر بخاطر العبيد ويجعل كل شخص يُخْطئ يُحَرِر عبد حتى يتحرر العبيد، يُجبر بخاطر الخدم فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ):{ إخوانُكُم جعلَهُمُ اللَّهُ تحتَ أيديكُم ، فأطعِموهم مِمَّا تأكُلونَ ، وألبِسوهم مِمَّا تلبَسونَ ، ولا تُكَلِّفوهم ما يغلبُهُم ، فإن كلَّفتُموهُم فأعينوهُم }[أخرجه البخاري ومسلم].
قال أحمد بن عبد الحميد الحارثي: "ما رأيت أحسن خلقاً من الحسين اللؤلؤي، كان يكسو ممالكيه كما يكسو نفسه".
ويجبر بخاطر المرآة: فيقول (ﷺ) {مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِي جارَهُ، واسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا، فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِن ضِلَعٍ، وإنَّ أعْوَجَ شَيءٍ في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا} [أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم]
ويجعل الشرع الحنيف لهن نصيب في الميراث لم يكن لهن إياه قبل الإسلام.
بل إنه عليه الصلاة والسلام جبر بخواطرنا نحن الذين نحبه ونشتاق إليه ونتمنى لو كنا إلى جانبه نذود عنه وننافح عن دعوته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ:{السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ووَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا ” قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ” بَلْ أَنْتُمْ أَصْحابِي، وَإِخْوَانُنَا

لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ "، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ " فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ }.[رواه مسلم].

ومَن تأمل وتدبر بعض مواقف رسول الله (ﷺ) في حياته، يرى أن مراعاة الخواطر كان مِن أولوياته (ﷺ) مع الصحابة، فإذا تأملنا حال أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها، نرى أنها أسلمتْ قديمًا، وكانت متزوجة مِن ابن عمها: السكران بن عمرو، وأسلم هو أيضًا، ثم هاجرا إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فلما قدما مكة مات زوجها، وقيل: مات بالحبشة، وهنا تزوجها (ﷺ) وتعدُّ السيدة سودة أوَّل امرأة تزوجها الرسول (ﷺ) بعد خديجة، وكانت قد بلغت مِن العمر حينئذٍ الخامسة والخمسين، بينما كان رسول الله (ﷺ) في الخمسين مِن عمره، ولما سمع الناس في مكة بأمر هذا الزواج عجبوا؛ لأن السيدة سودة لم تكن بذات جمالٍ ولا حسبٍ، ولا مطمع فيها للرجال، وقد أيقنوا أنه إنما تزوجها رفقًا بحالها، وشفقة عليها، وحفظًا لإسلامها، وجبرًا لخاطرها بعد وفاة زوجها.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُقال لَهُ: زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ كَانَ يُهدِي إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) الْهَدِيَّةَ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):{إِنَّ زاهِرًا بَادِيَنا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ) قَالَ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ (ﷺ) وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ -وَالرَّجُلُ لَا يُبصره-؛ فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَن هَذَا؟! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ (ﷺ) جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) (مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟)، فَقَالَ زَاهِرٌ: تجدُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ كاسِدًا، قَالَ: (لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ)، وفي لفظ: (بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ)} [رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني].

فتأمل كيف تعامل رسول الله مع زاهر، وكان رجلًا دميمًا؟!

لذا قال: "تجدُني يَا رَسُولَ اللَّهِ كاسِدًا"، ولكن جبر رسول الله (ﷺ) خاطره، وأخبره أنه عند الله له قدر ومنزلة.
وعن جابر رضي الله عنه- قال: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ لِي:{يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: (أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ} قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ -عَزَّ وَجَلَّ-: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ)، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا(169)} [آل عمران]. [رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني].
فانظر كيف جبر الرسول خاطره، وأزاح عنه الهم بهذه الكلمات؟!
وأيضا موقف آخر مع سيدنا جابر رضي الله عنه ، أنه كان ليهودي دَيْن عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، فجاءه يطلب وفاء الدَّيْن ، فقال له جابر : انظر إلى الشّجر ما فيه إلّا الحشف (الثمر الرّديء) ، فقال اليهودي : والله لأشكيك إلى رسول الله (ﷺ) ، فجاء إلى الرسول (ﷺ) وشكا له ذلك ، فقال له الرسول (ﷺ): ارجع إلى بيتك وسترى خيراً إن شاء الله ، ثم ذهب الرسول (ﷺ) إلى حائط جابر ودار حوله وسأل جابر قائلاً: أين عريشك يا جابر ؟ (أي الخُصّ الذي يجلس فيه) ، فقال جابر : هذا هو يا رسول الله، فدخل الرسول إليه وصلّى فيه ثم سلّم وقام ، ثم قال : يا جابر ، قال : لبّيك يا رسول الله ، قال : جُزَّ واجمع (أي اجمع التّمر) .
فقال جابر : فجمعتُ رُطَباً وتمراً ما جمعته من قبل ، ووفّيتُ دَيْني لليهوديّ ، وحملتُ إلى بيتي منه ما لا يعلمه إلّا الله ، فقال رسول الله (ﷺ): (أشهدُ أنّي رسولُ الله) .
وعندما جاء عكرمة بن أبي جهل مسلما وجاء إلى النبي (ﷺ)، نبه النبي عليه الصلاة والسلام الصحابة الكرام رضي الله عنهم ألا يسبوا

أباه أمامه، وأن لا يعيروه بأبيه ، وذلك جبرا لخاطره.
وكان (ﷺ) يجبر خاطر كل من تكلم معه ، فكان إذا تكلم معه إنسان نظر في عينيه، هذا من جبر الخواطر، وكان إذا صافحه أحد لا يفلت يده حتى يفلت الطرف الآخر، وهذا جبر للخواطر، وكان إذا ناداه أحد لا يلتفت إليه بجنبه بل يلتفت إليه بكله (ﷺ) جبرا لخاطره.
واستُحبت النبي (ﷺ) تعزية أهل الميت وذلك لتسليتهم ومواساتهم، وتطييب خاطرهم، عند فقد ميّتهم.
فالناس بحاجة إليها عند فقد الأحبة، والنبي (ﷺ) كان حريصا علي ذلك .

العنصر الخامس : جبر الخواطر في حياة السلف الصالح

هذه عائشةُ رضيَ اللهُ عنها كلما حدَّثتْ بحديثِ الإفكِ، تذكرُ موقفَ امرأةً من الأنصارِ، قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي؛ فهل رأيتُم كيفَ أنَّ المشاركةَ في البُكاءِ، أصبحَ مثالاً من أمثلةِ الوفاءِ؛ فها هي الدَّمعاتُ كانَ لها أعظمُ الأثرِ والمواساةِ.
نحتاجُ أن نقولَ للمكلومِ: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ، إنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى؛ فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ.
ولَمَّا صُلِبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، دَخَلَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الْمَسْجِدَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ -وهي أُمُّ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ، فَمَالَ إِلَيْهَا فَعَزَّاهَا، وَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الْجُثَثَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا الْأَرْوَاحُ عِنْدَ اللهِ تعالى؛ فَاتَّقِي اللهَ، وَعَلَيْكِ بِالصَّبْرِ".
أراد حسان بن سعيد المخزومي أن يبني جامعاً، فأتته امرأة بثوب لتبيعه، وتنفق ثمنه في بناء ذلك الجامع، وكان الثوب لا يساوي أكثر من نصف دينار، فطيب خاطرها، واشتراه منها بألف دينار، وخبأ

الثوب كفناً له.
وجبر الخواطر ليس في المصائب فقط ولكن في السُّرورِ والأفراحِ قد يكونُ جبرُ الخواطرِ للمحبةِ مفتاحٌ؛ فها هو كعبُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه لمَّا تاب اللهُ تعالى عليه وعلى صاحبيه الذينَ تخلَّفوا عن غزوةِ تبوكَ، يقولُ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رضيَ اللهُ عنه يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ وكيفَ ينسى كعبُ هذه اللحظاتِ، وقد شاركَهُ طلحةُ الفرحةَ والتبريكاتِ ..

العنصر السادس : جبر الخواطر في الواقع المعاصر

سأل أحد الأطباء المشهورين أحد الدعاة ما أفضل عبادة تقربني من ربنا سُبحانه وتعالي، خصوصًا في أواخر عُمري؟
قال له: خَمن أنت يا دكتور ايه أفضل عبادة ؟!
فقال: الصلاة؟ قال: لا؛ فقال: الصيام؟ قال: لا؛ فقال: العُمرة؟
قال: لا؛ ثم تابع الداعية قائلاً: أفضل عبادة هي جبر الخاطر
فسأله الدكتور: إزاي ده يامولانا؟
فرد عليه الداعية قائلاً : من ألعن من الذي يكذب بالدين ؟
يعني من ألعن من شخص بيقول مفيش ربنا و لا في رسول و العياذ بالله ؟
فرد الدكتور: فعلا يامولانا مفيش اصعب من كدا !!
رد الشيخ قائلاً : ربنا بيقول : أرأيت الذي يُكذب بالدين؟!
شايف اللي بيكذب بالدين بيعمل ايه؟
{فذلك الذي يدُع اليتيم} يعني بيكسر خاطر اليتيم؛ {و لا يحُض على طعام المسكين} " يعني بيطرد المساكين و يمنع عنهم الطعام ولا يجبر خاطرهم !!! ثالث حاجه ايه ؟
قال: {فويل للمصلين} إذا ثالث حاجة قالها الصلاة !!
يعني أول حاجتين ربنا ذكرهم هما: جبر الخاطر ، والثالثة الصلاة،

جبر الخاطر والثالثة الصلاة ! ..
قال الدكتور أخذت النصيحة من الشيخ في بالي و توكلت على الله وذهبت إلي المنزل ثاني يوم كان أجازتي ، وفي هذا اليوم أنا متعود أنزل يوم اجازتي اشتري بعض متطلبات البيت
وبيته في ٦ أكتوبر وهو كان بيشتري الحاجات من وسط البلد....
وهو ذاهب إلي البيت افتكر مكالمة تليفون كانت من جاره بيقوله:
"جبر خاطر يا دكتور ابقى عدي علي حماتي راقده عندك في المستشفى مريضة ، اطمئن عليها وطمنا"
قال افتكرت نصيحة الشيخ "اجبر خاطرًا " !
وجاري قالي جبر خاطر....
فحسيت انها رسالة من ربنا لي!
بالفعل قررت أذهب إلي المستشفي قبل المنزل علشان أجبر خاطر جاري وذهبت إلي حماته في المستشفي...
فجأة جالي وجع شديد في صدري و أنا في المُستشفى وأخذت الدواء بعدها بدقيقتين لأني عرفت إن جالي جلطة في شُريان القلب، فناديت علي الدكتور قلت له أعطني دوا كذا ، وفورًا أعطاني الدواء ..
الجلطة دي لو كانت جاتلي و أنا بعيد عن المُستشفي أو ذهبت إلي البيت ولم أهتم بوصية جاري كنت موت فورًا لأن أقوى إنسان في الدُنيا لو جاتله جلطة في الشريان التاجي سيموت بعدها ب ٥ دقايق إذا لم يأخذ الدُعامة!
فسُبحان الله وكأن ربنا بيقولي جبرت بخاطر جارك وخدت بالنصيحة جبرت أنا بخاطرك وانقذت حياتك ! :
- العبادات عامله زي الأبواب " الصلاة باب ، الصيام باب ، جبر الخواطر باب ، خلي باب مفتوح بينك وبين ربنا ، أنت لا تعرف ستدخل الجنة من أي باب ، فلا تقفل كُل الأبواب...
فجَبْرُ الخواطر من أفضل العبادات إلى الله وإياكم وكسر الخواطر فهي ليست عظاماً تجبر، بل هي أرواحاً تُقهر، " من سار بين الناس

جابرا للخواطر أدركه الله في جوف المخاطر! "

العنصر السابع : الآثار الإيمانية للمعايشة مع اسم الله الجبار

1- إدراك عظمة الخالق وجبروته :

فكلما كان العبد أعلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه كان أعظم افتقاراً إليه وتذللاً بين يديه.

فاسم الله الجبار من أسماء التعظيم .

ورد في الحديث القدسي {الكِبْرِياءُ ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما قذَفْتُهُ في النار} [مسلم] .

2- إدراك ضعف المخلوق وعجزه :

فمن عرف قدر نفسه ، وأنَّه مهما بلغ في الجاه والسلطان والمال ؛ فهو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صرفاً ولا عدلاً ؛ تصاغرت نفسه ، وذهب كبرياؤه ، وذلَّت جوارحه ، وعظم افتقاره لمولاه ، والتجاؤه إليه ، وتضرعه بين يديه.

3- الانكسار والذل لله تعالي:

إذا ما استحضر العبد معني اسم الله الجبار؛ انكسر لله بأنواع الانكسار كلها، وشهد حاجته وفاقته الشديدة إلى ربوبية الله عز وجل وألوهيته، فالعبد فقير إلى ربه في الهواء الذي يتنفسه، وفي شرابه الذي يشربه، وفي طعامه الذي يأكله، بل في كل نفس من أنفاس حياته، والله وحده هو الذي يجبر هذه الحاجة وهذا الضعف والعجز بفضله ومنِّه سبحانه وتعالى، وهو يحتاج إلى الله عز وجل خالقًا رازقًا، فيحتاج أن يحب الله، ففي القلب حاجة وفاقة لا يسدها إلا التعبد والتأله لله عز وجل وحده لا شريك له.

فإذا ما استحضر العبد ذلك واستحضر أنه فقير إلى الهداية والتوفيق والإعانة على العبادة من الله؛ انكسر ولم يتعزز بطاعة أو بمنزلة أو حال، ولم ير لنفسه فضلاً على غيره، فضلاً عن أن يرى لنفسه فضلاً على الله عز وجل تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ففي فاقته إلى الربوبية والألوهية، إلى الرب والإله، إلى الرزق والعبادة انكساره

وتذللـه لله، فيجبر الله كسره.
وقد حكي عن بعض العارفين: "دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها، فما دخلت من باب إلا رأيت عليه الزحام، فلم أتمكن من الدخول، حتى جئت باب الذل، والافتقار، فإذا هو أقرب باب إليه، وأوسعه، ولا مزاحم فيه، ولا معوق، فما هو إلا أن وضعت قدمي في عتبته: فإذا هو -سبحانه- قد أخذ بيدي، وأدخلني".
وقد ورد في الحديث القدسي الجليل ...
"يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنْسَكم وجِنَّكم كانوا على أتْقَى قلب رجل واحدٍ منكم ما زاد ذلك في مُلْكي شيئاً ،يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجرِ قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيتُ كُلَّ إنسان مسألتَهُ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنْقُص المِخْيَطُ إذا أُدِخلَ البحرَ ، يا عبادي إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم ثم أُوفّيكم إيَّاها فمن وَجَدَ خيراً فليَحْمَدِ الله ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ " [مسلم] .

4ـ الانكسار عند ارتكاب الذنب :

وإذا ما استحضر العبد المؤمن أنه يخطئ بالليل والنهار كما جاء في الحديث القدسي: {يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ}[رواه مسلم]، ورأى معاصيه ورأى نعم الله عليه؛ فذلك يكسره انكسارًا ناشئًا عن شهود كثرة الذنوب والمعاصي، واستحضار نعم الله المنهمرة المتتابعة.
ذكر الامام ابن القيم رحمه الله تعالي :عندما عصى سيدنا آدم ربنا سبحانه وتعالى ناداه الله ،أصبح يجري في الجنة لا يعرف أين يذهب، فقال له تبارك وتعالى: أفراراً مني يا آدم!!، قال: لا يارب ،ولكن حياء منك) .
فناداه ربنا سبحانه وتعالى بلسان الحال: يا آدم ، لا تجزع : أي لا

تحزن من قولي لك أخرج منها فلك خلقتها ، ولكن انزل إلى الأرض، "وذُل نفسك من أجلي ، وانكسر في حبي" حتى إذا زاد شوقك إلي وإليها تعال لأدخلك إياها مرة ثانية!!

يا آدم ، كنت تتمنى أن أعصمك - أي من الموت ، فقال : نعم يارب، فقال تبارك وتعالى: يا آدم إذا عصمتك وعصمت بنيك فعلى من أجود برحمتي، وعلى من أتفضل بكرمي، وعلى من أتودد، وعلى من أغفر.....يا الله!!

يا آدم، ذنب تُذِلُّ به إلينا، أحبُ إلينا من طاعة تراءِ بها علينا..

يا آدم، أنين المذنبين أحب إلينا من تسبيح المرائي ..

انكسار ناشئ عن الحاجة والفقر: يجبر الله عز وجل انكسار العبد إذا ما قال العبد: "رب اغفر لي وتب علي" فيقيل الله عثرته، ويقبل اعتذاره وتوبته.

وبهذا يتحقق كمال العبودية، ومَن لا يرى فاقته وحاجته، ولا يشعر بالذل والانكسار لله سبحانه وتعالى، ولا يرى ذنوبه، أو لا يستشعر حبه لربه؛ فهو في خطر عظيم، فإن لم يكن هلك؛ فهو على شفا الهلكة.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله فوائد غزوة "أحد". "[زاد المعاد] ففي غزوة أحد تعزز المسلمون بما وقع يوم بدر، وظنوا أنهم منصورون في كل معركة، فكسرهم الله عز وجل بالهزيمة؛ ليتوبوا إليه خضوعًا وذلاً، فيجبرهم الله عز وجل، فكذلك المصائب تكسر الإنسان، فإذا استشعر العبد أنها مِن عند الله -عز وجل- فصبر واحتسب؛ جبر الله مصيبته، وأصلح عيبه، وأعطاه خيرًا مما فقد منه".

وكذلك ما حدث في غزوة "حنين"، فإن نفوسًا ضعيفة تعاظمت بالفتح وشعرت بالقوة، وخرج مَن يقول: "لن نغلب اليوم من قلة"! فقال الله عز وجل: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ

مُدْبِرِينَ(25)} [التوبة]
فحصل الانكسار في أول المعركة، وفي آخرها جبر الله المؤمنين، وهذا فضله ورحمته بعباده عز وجل ؛ إذ يبتليهم بالمصائب فيكسرهم، ثم يجبر كل كسير.

5ـ استشعار لذة الانكسار بين يدي الله تعالي :

ومن الأمور التي تجدد الإيمان استشعار لذة المناجاة والانكسار بين يدي الله عز وجل، فلماذا يقول الرسول (ﷺ) أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ؟
لأن حال السجود فيه ذلة ليست في بقية الأحوال، وفيه انكسار وخضوع ليست في بقية الأحوال، ولذلك أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، لما ألصق جبهته بالأرض، وهي أعلى شيء فيه لمن وضعها؟ لله، صار أقرب شيء لله.
قال ابن القيم رحمه الله : "فإن تمام العبودية هو: بتكميل مقام الذل والانقياد، وأكمل الخلق عبودية: أكملهم ذلاً لله، وانقيادًا، وطاعة، والعبد ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل، فهو ذليل لعزه، وذليل لقهره، وذليل لربوبيته فيه وتصرفه، وذليل لإحسانه إليه، وإنعامه عليه؛ فإن من أحسن إليك: فقد استعبدك، وصار قلبك معبدًا له، وذليلاً، تعبد له لحاجته إليه على مدى الأنفاس، في جلب كل ما ينفعه، ودفع كل ما يضره".

6ـ الدعاء باسم الله تعالى الجبار:

من دعاء الطلب والمسألة بهذا الاسم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي كان يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني واهدني وعافني وارزقني» (الترمذي)، يقولها بين السجدتين، فالجبر هو جبر للكسر ونحو ذلك، من جبر الله مصيبته أي رد عليه ما ذهب منه.
وعن عوف بن مالك أن النبي يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» (سنن أبي داود)،

والمقام واضح لماذا يستخدم هذا في هذا المقام لا شك هذا مقام الذل والافتقار لله سبحانه وتعالى.
وقال ابن القيم:" فلله ما أحلى قوله هذه الحال أي حال الانكسار بين يدي الله والخضوع له سبحانه:
- أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيدٌ سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضريع، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه .
وأخيـرا . هيا بنا نتعبد إلى الله بهذه العبادة، فاجبروا الخواطرَ، وشاركوا المشاعرَ، واعلموا أنَّها عبادةً لا ينساها اللهُ القويُّ القاهرُ.
وتطييب الخاطر بكلمة: ذكر، دعاء، موعظة، مال، مساعدة، جاه، قضاء حاجة، الكلمة الطيبة صدقة.
وقبول الاعتذار من تطييب الخواطر، إهداء الهدية من تطييب .
يقول أحدهم: "يا رب، عَجِبت لمن يعرفك، كيف يخاف من عبادك وأنت الجبار؟!
ويا رب، عَجِبت لمن يعرفك، كيف يُخيف عبادك وأنت الجبار؟!
" لو كُسِرت، اسجد بين يديه وقل له: "يا جبار، أجبر بخاطري".
ولو ظَلِمت، اطلب السماح ممن ظلمته واطلب منه ألا يدعو عليك واجبر بخاطره.
فإذا شعرت بانكسار قلبك وشدة حزنك اسأل الله الجبار أن يجبرك وكلما كان انكسارك لله أعظم كلما كان جبر الله لك أعظم.

الفصل التاسع

المعايشة الإيمانية لاسم الله الرقيب

ويحتوي على ستة عناصر...

1- اسم الله الرقيب في الكتاب والسنة .

2- معني الرقيب .

3- معنى اسم الرقيب في حق الله تعالى.

4- المعايشة الإيمانية لاسم الله الرقيب .

5- الآثار الإيمانية لاسم الله الرقيب .

6- صور مضيئة لأهل المراقبة .

العنصر الأول : اسم الله الرقيب في القرآن الكريم

ورد اسم الله الرقيب في القرآن ثلاث مرات: في قوله تعالى: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(117)}[المائدة].

وقوله تبارك وتعالى في مطلع سورة النساء:{ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(1)} [النساء].

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: هو مراقب لجميع أعمالكم وأحوالكم، كما قال:(وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)".

وقوله تعالي{..وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا(52)} [الأحزاب] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال النبي (ﷺ) :{أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان } [أخرجه ابن مردويه والبيهقي] .

العنصر الثاني : معني الرقيب

الرقيب في اللغة: فعيل بمعنى فاعل وهو الموصوف بالمراقبة، والرقابة تأتي بمعنى الحفظ والحراسة والانتظار مع الحذر والترقب.

والترقب: الانتظار، ومنه قوله تعالى{وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ(93)}[هود].

عن ابن عمر: أن أبا بكر قال: "ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ" (رواه البخاري)، أي: احفظوه فيهم..

وقال هارون: {إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي(49)} [طه]،

فالرقيب الموكل بحفظ الشيء المترصد له المتحرز عن الغفلة فيه، ورقيب القوم حارسهم.

وقال الزجاج: "الرقيــب: هو الحافظ الذي لا يغيب عمَّا يحفظه".

وقال السعدي: "الرقيب: المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفسٍ بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير" .

العنصر الثالث : معنى اسم الرقيب في حق الله تعالى

ـ مراقبة الله تعالى لخلقه مراقبة عن استعلاء وفوقية، وقدرة ، وصمدية، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ملك له الملك كله، وله الحمد كله، وإليه يُرجع الأمر كله...

تصريف الأمور كلها بيديه، ومصدرها منه ومردها إليه، سبحانه مستو على عرشه لا تخفى عليه خافية، عالمٌ بما في نفوس عباده مطلع على السر والعلانية، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي، ويدبر أمور مملكته، فمراقبته لخلقه مراقبة حفظٍ دائمة، وهيمنةٍ كاملة، وعلم وإحاطة..

ـ الرقيب سبحانه هو المطلع على خلقه يعلم كل صغيرة وكبيرة في ملكه، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(7)} [المجادلة].

ـ والرقيب الذي ينظر عن قصد، فيتتبع كل شيء، ويحيط بكل شيء، وليس مجرد بصير، لأن البصير قد يرى الشيء ولا يقصد إلى النظر إليه، بخلاف الرقيب، الذي يعلم الظواهر وخفي الأسرار، ويعلم البصيرة الصادقة وخائنة الأبصار. {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(14)}الفجر.

ـ الله تعالي رقيب أي: راصد لأعمال العباد وكسبهم، عليم بالخواطر التي تدب في قلوبهم، يرى كل حركة أو سكنة في أبدانهم، ووكل ملائكته بكتابة أعمالهم وإحصاء حسناتهم وسيئاتهم،

قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَاماً كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(12)} [الانفطار].

العنصر الرابع : المعايشة الإيمانية لاسم الله الرقيب

لو تخيلت أنك في مكان محاط بكاميرات مراقبة في كل مكان، تحصي عليك حركاتك وسكناتك، في بيتك، وفي حيك، وفي سوقك، وفي عملك، وفي سفرك..

ولو نمي إلي علمك أن هاتفك أيضا مراقب ،وأن الرسائل مراقبة !! كيف ستكون أفعالك؟ وكيف ستكون أقوالك؟ وكيف ستكون تصرفاتك؟ هذا والمراقِب بشر من البشر، فكيف والمراقب الله الذي خلقك، والذي سواك فعدلك؟

فيا هولها من مراقبة ما أصعبها، مراقبةِ من لا تنطلي عليه حيل المتحايلين، ولا خُدَع المتلاعبين، ولا سحر الساحرين ، قال تعالي{ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (80)} [الزخرف].

فمعرفة اسم الله الرقيب من الأسباب التي تعين على زيادة إيمان العبد ، وتقوية يقينه بالله تبارك وتعالى.

فلو عشنا مع اسم الله الرقيب حقا ، وعرفنا حقيقته، واستجلينا عظمته، انضبطت أفعالنا، وصدقت أقوالنا، وحسنت تصرفاتنا، واستقامت علاقاتنا، ولَمَا ساءت أحوال بعضنا، ولا كَثُرت الخصومات بين كثير منا، ولا انتشرت العدوات، ولا عُرِف أكلُ أموال الناس بالباطل من سرقة، ورشوة، وتزوير، وتحايل، ولا ظُلِم إنسان، ولا انتهكت حرمة من حرمات الله ، ولا هُتِك عِرض لإنسان ، لأننا دوماً نراقب الله تعالي ونعلم أنه مطلع علينا ويرانا، وسيحاسبنا علي كل صغيرة وكبيرة، ولكي نعيش مع اسم الله تعالي الرقيب علينا بمراقبته تعالى في السر والعلانية..

فما معنى المراقبة ؟

يقول ابن القيم "المراقبة: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق على ظاهره وباطنه"[مدارج السالكين)] ..

فكلما هَفَت نفسه إلى المعصية، عَلِمَ علم اليقين أن الله البصير مُطلعٌ على خفايا نفسه وعلى سره وجهره..
فلا يكن الله تعالى أهون الناظرين إليه، فإذا تيَّقن العبد من نظر الله تعالى إليه، تتولد لديه مراقبة لله في جميع أحواله مما يجعله يرتقي درجة عظيمة من درجات الإيمان ألا وهي درجة الإحسان. فأول المراقبة: علم القلب بقرب الربِّ.
قال الحارث المحاسبي: "أوائل المراقبة: علم القلب بقرب الرب "
قالَ الجُنيد: من تحقق في المُراقبة خافَ على فواتِ لحظةٍ من ربهِ يعني.. إذا كُنتَ في حال المراقبة وشعرتَ أنَّ الله معكَ دائماً وأنهُ مُطّلعٌ عليك وأنهُ يعلمُ سِرّكَ ونجواك خِفتَ أن تُضيعَ لحظةً من حياتك.
وقال ذو النون: علامة المراقبة إيثارُ ما أنزلَ الله وتعظيمُ ما عظّمَ الله وتصغيرُ ما صغّرَ الله.
وقالَ إبراهيم الخواص: المراقبة خلوص السرّ والعلانية للهِ عزّ وجل من الداخل ومن الخارج، وقيلَ أفضلُ ما يُلزمُ الإنسان نفسهُ في هذه الطريق المحاسبة والمراقبة وإيقاعَ عملهِ مع الحُكم الشرعي

درجات المراقبة:

يقول الإمام الغزالي "اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: أنه يراقب فلانًا ويراعى جانبه، ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوعٌ من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب..
أما الحالة: فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه.
وأما المعرفة: التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل

نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك.
فهذه المعرفة إذا صارت يقينًا، أعنى أنها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب فقهرته. فرُبَّ علمٍ لا شك فيه لا يغلب على القلب، كالعلم بالموت..
فإذا استولت على القلب، استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين" [إحياء علوم الدين]
والمراقبة لمن وحد الله في اسمه الرقيب على نوعين:

النوع الأول:

مراقبة العبد لربّه بالمحافظة على حدوده وشرعه واتباعه لسُنَّة نبيه ..

فعلى العبد أن يسعى لتحقيق أركان القبول في جميع أعماله، وهي:

1ـ الإخلاص: فإن كان يقوم بأعمال بر ظاهرة، عليه أن يقوم بأعمال خفية عن الناس في المقابل؛ لكي يُحقق معنى الإخلاص: قال رسول الله "من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل" [صحيح الجامع].

2ـ المتابعة لهدي النبي (ﷺ).. بأن يتحرى السُّنَّة في عمله ،فيوقن بأن الله معه من فوق عرشه يتابعه يراه ويسمعه، مراقبة العبد لربه ، بالمحافظة على حدوده وشرعه ، واتباعه لسنة نبيه (ﷺ) كما ورد من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : " يا غلام ، إني أُعَلِّمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستَعِنْ بالله " [رواه الترمذي وصححه الألباني].

والنوع الثاني:

إيمان العبد بمراقبة الله لعباده وحفظه لهم وإحصائه لكسبهم..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): قال الله عز

وجل : (إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل ، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها ، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها ، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها ، وقال رسول الله (ﷺ) قالت الملائكة : رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به ، فقال : ارقبوه ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، فإنما تركها من جرَّاي) رواه الشيخان ، وهذه رواية مسلم .

مِنْ جَرَّاي، أي: ابتغاء وجهي.. فيستشعر العبد أن الله تعالى ناظرٌ إليه حال عمله، ويرى خطارات قلبه وظاهر عمله.

فينبغى أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفى العمل.. هل حركه عليه هوى النفس أو المحرك له هو الله تعالى خاصة ؟

فإن كان الله تعالى، أمضاه وإلا تركه، وهذا هو الإخلاص.

وفي هذا يقول الحسن البصري رحمه الله: "كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت، فإن كان لله أمضاه.

ويقول: رحم الله عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر".

وجاء عن محمد بن علي رحمه الله: "إن المؤمن وقاف ومتأنٍ يقف عند همه ليس كحاطب ليل. فلا يتسارع الإنسان في الأعمال في هذه الحياة الدنيا ولو كان ظاهر ذلك من الأعمال الصالحة حتى ينظر قبل أن يقدم عليه هل له فيه نية صحيحة أو لا".

فهذه مراقبة العبد في الطاعة وهو: أن يكون مخلصاً فيها.

أما مراقبته في المعصية تكون: بالتوبة والندم والإقلاع..

فكلما ورد الذنب على خاطره، يستعيذ بالله منه ويبعث على وجل قلبه ، فيكون دائمًا أبدًا مُنيب إلى ربِّ العالمين، كثير الرجوع إليه.

ومراقبته في المباح تكون: بمراعاة الأدب، والشكر على النعم.. فإنه لا يخلو من نعمة لابد له من الشكر عليها، ولا يخلو من بلية لابد من الصبر عليها، وكل ذلك من المراقبة..

والتوسع في المباحات يبعث على الذنب لا محالة؛ لأن النفس تطغى بذلك وهي لا تأمر بخيرٍ أبدًا. ثم تأتي مرحلة المراقبة بعد العمل.. وهي أن يكون قلبه وجلاً ألا يُقبَل عمله، وهذا من تمام المراقبة ، قال تعالى{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60)} [المؤمنون].

ولكي نعيش مع اسم الله الرقيب ونحقق معني المراقبة علينا بالآتي...

1. مراقبة القلب:

القلب محل نظر الله تعالي ، نري البعض يعتني ببيته، وبثيابه ومركبته وبالشكل الخارجي ، وهذا محل نظر الخلق ،لقد طهرنا محل نظر الخلق سنين ،أفلا طهرنا محل نظر الله تعالي

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ} [البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، مالك]

لذلك هناك من المقصرين من يكون الله أهون الناظرين إليه، يستحي من صديق، يستحي من أستاذ، يستحي من قريب محترم، ولا يستحي من الله.

فهل راقبنا قلوبنا ؟ هل يحب غير الله؟ هل يعتمد على غير الله؟ هل يرجو غير الله؟ هل يخاف من غير الله؟ هل يتوكل على غير الله؟ تعاهد قلبك، لو أن مثلا أخوك أصابه خير، فتألمت، هذا مؤشر خطير، لو أنك تراقب قلبك لقلت: هذه صفات المنافقين، قال تعالى: {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ(50)} [التوبة]

إذا أصاب أخاك خير فتألمت فهذه علامة النفاق، وإن أصاب أخاك شر ففرحت فهذه علامة النفاق، هذه مراقبة القلب، أن تراقب قلبك، أن تحاسبه في حسد، في غيرة، في حقد، في تشفٍّ، في شرك، في تعلق بغير الله، في اعتماد على المال فقط، اعتماد على صديق قوي فقط.

2. مراقبة اللسان:

قال رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ): { إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ } [الترمذي، ابن ماجه، أحمد، مالك]

فينبغي أن تعدّ كلامك من عملك، وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: قَالَ رَأْسُ الْأَمْرِ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ [أحمد، الترمذي، النسائي، ابن ماجه]

مراقبة اللسان هل ينطق هذا اللسان بالباطل؟

فمن مراقبة اللسان قل خيرا تغنم أو اسكت عن شر تسلم ، لذلك قال بعض السلف :"عالجت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة قبل أن أقدر منه على ما أريد"

وكان بعضهم لا يدع أحداً يغتاب أحداً في مجلسه، ويقول لجلسائه: "إن ذكرتم الله أعناكم وإن ذكرتم الناس تركناكم".

3. مراقبة الجوارح:

قال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ(19)} [غافر]

وقال تعالى: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(220)} [الشعراء]

لذلك أفضل إيمان أن تؤمن أن الله يراقبك، وأنك تحت المراقبة، وإن ربك لبالمرصاد.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ" [متفق عليه]

مراقبة الجوارح، هل تنظر العين إلى الحرام؟

هل تستمع الأذن إلى ما لا يجب أن تسمعه؟
هل تبطش هذه اليد؟ هل تتحرك بالباطل؟ هل تقودك قدماك إلى مكان منكر؟
وقال أحد السلف: "تعاهد نفسك في ثلاث مواضع، إذا عملت فاذكر نظر الله عليك، وإذا تكلمت فانظر سمع الله منك، وإذا سكت فانظر علم الله فيك".
ولما سئل بعضهم: "بما يستعين الرجل على غض بصره عن المحظورات ؟"
قال: "بعلمه أن رؤية الله تعالى سابقة على نظره إلى ذلك المحظور".

4. مراقبة الله في الخواطر:

من راقبَ اللهَ في خواطرِهِ عصمهُ في حركات جوارحهِ أحياناً
الإنسان يسمح لخواطره أن يَردها أشياء لا تُرضي الله يتصور معصية، يتخيل أنهُ يعصي الله، يسرحُ خيالهُ في متاهات البُعدِ عن الله، إذا سَمَحَ لخواطرهِ أن تجولَ في المعاصي أغلبُ الظن أنَّ هذه الخواطر إذا تُركت على عواهنها انقلبت إلى معاصي.
نعم أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسب إلا على العمل ولكن إذا سمحت لخواطركَ بالشطط ربما زلّت قدمك فانقلبت الخواطر إلى عمل، وشيءٌ آخر هو أنَّ مُعظمَ الذين عَصوا ربهم معاصٍ كبيرة هم في الأساس ما أرادوا أن يعصوا هذه المعصية ولكن خاطِرٌ، فنظرةٌ، فكلامٌ، فابتسام، فموعدٌ، فلقاءٌ، ففاحشةٌ. أساسُها خاطر.
فلذلك من باب الوقاية ومن باب الورع لا تسمحُ لخواطِركَ أن تجولَ في المعاصي مع أنكَ لا تُحاسب على الخواطر لكن نخافُ أن تدعها تجول عندئذٍ تضعفُ عن مقاومتها فإذا أنتَ أمامَ معصيةٍ.
وقيل : من تركَ ما أُشتبهَ عليه من المعاصي كانَ لِما استبانَ أترك.
ومن تجرّأَ وارتكبَ معصيةً يعدُّ شُبهةً عِندَ الناس في المرحلة التالية سوف يتجرأ ويقع في المعصية البيّنة الواضحة.

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: "الحق عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد، لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد نيته، ورفع اليدين إليه ، والسؤال له ،فقلوب الجهال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر، لَكَفُّوا الأَكُف عن الخطايا. والمتيقظون علموا قربه، فحضرتهم المراقبة، وكَفَّتهم عن الانبساط".

من آمن أن الله يراقبه وهو له بالمرصاد لا يمكن أن يعصيه :

كان الإمام أحمد ينشد :

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنَّ مَا يُخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

ألم ترَ أن اليوم أسرع ذاهبٍ وأن غدًا إذًا للناظرينَ قريبُ

قال العلماء مجمِعون على أنَّ مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لِحفظها في حركات الظواهر، فمن راقبَ الله في سِرّهِ حَفِظهُ في حركاتهِ في سِرّهِ وعلانيتهِ.

خطورة معصية الخلوة :

يا عبدالله إنك إذا خلوت بمعصية الله فما أنت إلا أحد رجلين: إما رجل يعلم أن الله لا يراه ولا يعلم بحاله، فهذا كافر بالله العظيم لإنكاره علم الله تعالى المحيط بكل شيء، وإما أنك تعلم أنه يراك ومع هذا تجترئ على معصيتك فأنت والله جرئ.

فهذا حديث عظيم الخطورة لمن انتهك حرمات الله في الخلوات ، لا يراقب الله تعالى ، ولكن يراقب البشر الذين لا ينفعونه ولا يضرونه شيئاً ، ونسي أن الله معه يسمع ويرى : فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ : " لأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضاً ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً " ، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، جَلِّهِمْ لَنَا ، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ ، قَالَ : " أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا "

[رواه ابن ماجة وصحح إسناده البوصيري ، وصححه الألباني في الصحيحة] .
وعلى النقيض من أولئك الذين يعصون الله في الخلوة هذه نتيجة من يخاف الله في الخلوة ودعته نفسه والشيطان للمعصية ، ولكن تنهاه مراقبته لله أن يعصيه طرفة عين فكانت النتيجة الظل الظليل يوم القيامة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا فِي الْمَسْجِدِ ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَمْ تَعْلَمْ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ " [متفق عليه] .

5. مراقبة الله فيما أعطاك:

مراقبة الله فيما أعطاك من نعم ومواهب، فمثلا أنت رجل قوي شاب، في مقتبل الحياة، فهل راقبت الله تعالي في قوتك وشبابك هذا ، فالقوة ينبغي أن تكون في طاعة الله تعالي ، وفي خدمة الآخرين لا تستطيل بها علي عباد الله وتعترف دائما بالفقر والحاجة إلي من أعطاك القوة ، انظروا إلي هذا الشاب القوي سيدنا موسي عليه السلام حينما سقي لابنتي الشيخ الكبير صاحب مدين قال كما حكي القرآن الكريم عنه { فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(24)}[القصص]

6. مراقبة الله عز وجل في الوقت:

أحياناً يضيع من الوقت كمّ كبير لهدف غير ذات قيمه، أنت وقت، رأس مالك الوقت، أثمن شيء تملكه هو الوقت، ينبغي أن ينفق بترشيد، لذلك الآن في إدارة الوقت لا يعقل أن تستهلك استهلاكاً رخيصاً، لو ضبطت المواعيد لرشد استهلاك الوقت، لو ضبطت الاحتفالات لرشد استهلاك الوقت، لو ضبط كل شيء بنظام لرشد

استهلاك الوقت.
قَالَ النَّبِيّ (ﷺ): {لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبلاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ} [الترمذي]
ولعظم العمر أقسم الله تعالي بعمر النبي (ﷺ) قال تعالى: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ(72)} [الحجر]
والنظر في سيرة السابقين الناجين الذين راقبوا الله تعالي واستفادوا بأوقاتهم ،مثل هذا الشاب الذي صنع لنفسه اسما في وقت قليل وأنجز أعمالا كثيرة في وقت قليل، هو محمد ابن القاسم.
قال الشاعر :

إن السماحة والمروؤة والندي لمحمد ابن القاسم ابن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سؤدد من مولد

محمد ابن القاسم الذي فتح بلاد الهند عن طريق السند، انطلق من الجزيرة العربية إلي بلاد لا يعرفها ، يقود الجيوش المسلمة لتنشر الاسلام وتبلغ الأمم دعوة اسلام، لولا طموح هذا الشاب وإقباله ما كانت باكستان وبنجلاديش ومسلموا الهند ،
هذه البلاد مدينة لمحمد ابن القاسم ، ومن ذهب إلي مراكش وركب القطار متجها إلي داخل باكستان ، وجد هناك محطة مكتوب عليها محمد بن القاسم يا تري كم عمره المفاجأة عمره 17 سنة .

7. مراقبة الله في الخُلق والسلوك والمشاعر:

اتق الله حيثما كنت في إقامتك، وفي سفرك، اتق الله مع الناس، وفي خلوتك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): {اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ} [أحمد، الترمذي، الدارمي]
عليك أن تراقب سلوكك وأخلاقك في المعاملات ، عليك أن تراقب كسب المال، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "يأتي على الناس زمان لا يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو حرام

وأطيب الكسب عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور
وإن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا
وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا"
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):{ إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ وَيَحْلِفُونَ وَيَأْثَمُونَ} [أحمد]
وأخيرا ...لم يراقب اللهَ من أؤتمن على وظيفة، فجعلها مطية لقضاء مصالحه الخاصة.
ولم يراقب اللهَ من عَينت له الدولة أو الشركة أجرة مقابل عمله، ثم هو يتقاضى الرشوة من العملاء ،أو المواطنين .
لم يراقب اللهَ من تعاقد مع الدولة أو الشركة على عدد من الساعات، ثم هو يتكاسل في أدائها، ويدعي كذبا إنجازها.
لم يراقب الله من أؤتمن على أي أمانة من الأمانات ثم ضيعها أوفرط فيها أو تصرف فيها بمصلحته الخاصة.
قال رسول الله (ﷺ): "مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلاَّ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ" [البخاري].

العنصر الخامس: الآثار الإيمانية لاسم الله الرقيب

1ـ تحقيق الأمن والأمان للأمة:

لوعلم اللص أن الله يراه ، وأن المَلَك يحفظ عليه فعله، وأن كتابه منشور بين يديه، لما أقدم على السرقة.
ولو علم الراشي والمرتشي، اللذَان يتسللان ويستخفيان، ويعتقدان أنهما في مأمن عن أعين الناس، وفي سياج منيع عن الفضيحة.. لو علما أن الله تعالى يراهما ويرقبهما، لما تَقَحَّما جريمة الرشوة. {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا(52)} [الأحزاب].
ما لي أراك على الذنوب مواظباً؟ أأخذت من سوء الحساب أمانا؟

لا تغفلن كأن يومك قد أتى ولعل عمرك قد دنا أو حانا
فخف الإله فانه من خافه سكن الجنان مجاوراً رضوانا

2ـ الوقاية من مخاطر الدنيا:

معايشة اسم الله الرقيب يكسب العبد وقاية من مخاطر الدنيا ، فَيَكلؤُه الله بحفظه، ويحوطه بعنايته. قال تعالى {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)} [الطلاق].

فهؤلاء الثلاثة، الذين انطبق عليهم الغار في الصحراء، لم ينجهم إلا أعمالهم التي راقبوا الله فيها، وأخلصوا في القيام بها: الذي كان يبدأ بوالديه في السقيا، لا يقدم عليهما ولد ولا زوجة.

والذي استثمر مال الأجير الغائب حتى رجع فوجد ماله قطعانا من ماشية.

والذي أغواه الشيطان بالزنا بابنة عمه، مستغلا فقرها وحاجتها، ثم تاب ورجع إلى الله قبل الإقدام على المعصية. كانوا يعلمون أن لهم ربا ينظر إليهم، ويحصي عليهم أعمالهم، ويراقب حركاتهم وسكناتهم، فتصرفوا بإزاء هذه المراقبة، فأنجاهم الله من ورطتهم.

ذكروا ربهم في الرخاء، فذكرهم في الشدة، ولو نسوه في الرخاء، لنسيهم في الشدة.

قال النبي (ﷺ) "احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ. تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ" [رواه أحمد، وهو في صحيح الجامع].

3ـ الشعور بمراقبة الله عز وجل تولد الاستقامة والانضباط على أمره :

من ثمرات هذا الاسم اسم " الرقيب " أنك تشعر أنك مراقب من قبل الله عز وجل وحينما تشعر أنك مراقب لابدّ من أن تستقيم على أمر الله قال تعالي {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً}

هذا حال مثمر ، دائماً وأبداً تتساءل هل هذا العمل يرضي الله ؟

هل هذا العمل لا يرضي الله ؟

هل هذه الكلمة تكلمت بها من رضاء الله أم من سخط الله ؟ .قال النبي (ﷺ) " إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً " [الترمذي] .

يا غلام إني أعلمك كلمات : " احفظ الله يَحْفَظْك " [الترمذي].

في كل حركة ، وسكنة ، وكلمة ، وصلة ، وقطيعة ، وعطاء ، ومنع ، وغضب ، ورضا ، اجعل نفسك تحت المراقبة .

حينما تشعر أن الله يراقبك ، عندها تكون منضبطاً ،فحال المراقبة، يفضي بك إلى الانضباط .

فمعايشة المؤمن لاسم الله الرقيب تجعله موقن دائما أن الله معه فوق عرشه يتابعه في كل حركاته.

4ـ دوام الملاحظة ودوام التوجه إلى الله ظاهراً وباطناً :

أثر اسم الرقيب في المؤمن ، دوام الملاحظة ، ودوام التوجه إلى الله ظاهراً وباطناً ، لأن الله سبحانه وتعالى خصّ المخلصين بألا يكلهم في جميع أحوالهم إلى أحد سواه ، ما أوكل أمرك إلى أحد ، أمرك بيد الله ، هذا من كرامة الإنسان على الله ، أمرك بيد الله ، ما أسلم أمرك إلى أحد ، قال تعالى :{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ (123)} [هود] .

5ـ الفوز بالجنة والنجاة من النــار:

فإن من راقب الله يُبلَّغ المنازل العلا، لذلك سُئِل ذو النون: بِمَ ينال العبد الجنة ؟

فقال: "بخمس: استقامةٍ ليس فيها روغان، واجتهادٍ ليس معه سهو، ومراقبةِ الله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب".

6ـ الأمان من الفزع الأكبر يوم القيامة :

7ـ تُثمر محبة الله تعالى ورضاه ..

8ـ يرزقه الله تعالى حُسن الخاتمة إذا راقب قلبه واستقامت أحواله في حياته.

العنصر السادس : صور مضيئة لأهل المراقبة

ـ الحارس المبارك:

في خراسان في القرن الثاني في مشرق العالم الإسلامي كان هناك شاب يتقى الله اسمه المبارك وكان عبدا يملكه أحد أسياد خراسان وكان يعمل بالزراعة ولأنه على درجة من الورع والإيمان أعتقه سيده لكنه ظل يعمل في الزراعة عند سيده الذي يمتلك بستانا كبيرا من الفواكه .

جاء موسم الرمان وجاء مجموعة من الضيوف عند هذا الرجل وقالوا نشتهى أن نأكل الرمان فقال سأبعث خادمي المبارك يأتيني برمان طيب وقال يا مبارك اذهب واتيني برمانة طيبة فأتى بها ففتحها فوجدها مرة .

فقال يا مبارك اذهب وأتي برمانة حلوه (في المرة الثانية) فأتى برمانة مرة (في المرة الثالثة أتي برمانة مرة) فقال يا مبارك تعمل عندنا منذ سنين ولا تعرف الرمان الحلو من المر فقال يا سيدي لم تأذن لي يوما أن آكل منه .

فأراد صاحب المزرعة أن يتحقق فسال العاملين في المزرعة وسأل الجيران فأكدوا له فارتفع في نظره وكانت له بنت يأتيها الخطاب فجلس يوما مع المبارك وقال يا مبارك يأتيني لابنتي خطاب كثير فلمن أزوجها قال : في الجاهلية كانوا يزوجون للحسب ، وعند اليهود كانوا يزوجون للمال ،وعند النصارى كانوا يزوجون للجمال، وفى الإسلام كانوا يزوجون للتقوى.

فانظر من أي دين أنت فافعل . فقال يا مبارك والله لن أزوج ابنتي أحدا غيرك فتزوجها وأنجبت عبد الله المبارك . هو رجل جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر وفصاحة العرب مع قيام الليل والتقوى والورع لقبه العلماء بفقيه العرب وأصبح من رواة الحديث الثقات قال سفيان الثوري رحمه الله لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام كعبد الله بن المبارك لم استطع .

ـ تذكر أن باب الله مفتوح :

وقد ورد أن امرأة راودها رجل عن نفسها فأبت فأكرهها، فأرادت أن تعظه بأعظم موعظة وهي مراقبة ربها، لأنه لم يجن هذه الجناية إلا لأنه لم يراقب الله ونسي أن الله يراه، وبعد الإجبار قالت له: أغلق جميع الأبواب، فأغلق جميع الأبواب المحسوسة التي بينه وبين الناس (الأبواب البشرية) ونسي أن الباب الذي بينه وبين الله مفتوح ومكشوف، فقالت له: هل أغلقت جميع الأبواب؟ قال: لم يبق باب إلا وأغلقته، فقالت له: بقي باب مفتوح لم تغلقه! قال: أي باب؟!

قالت: بقي الباب الذي بيننا وبين الله مفتوح، ألا تخاف الله؟

فارتعد وخاف ووجل فتركها خوفًا من الله الذي يراه حيث ما كان، وتاب هذا الرجل واستقام حاله.

فينبغي أن نعلم يقينًا أن هذا الباب مفتوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويجب أن تعلم أن ما يسترك من الله ظلام ولا سحاب ولا سقف ولا غطاء، أنت مكشوف لله عز وجل على الدوام، ألا تستحي من الله!

ـ عمْرةُ بنت رواحة:

عنْ حُصيْنٍ عنْ عامرٍ قال: سمعْت النُّعْمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما وهو على المنْبر يقول: أعطاني أبي عطيَّةً، فقالتْ عمْرة بنْت رواحة: لا أرْضى حتىَّ تُشْهد رسولَ الله (ﷺ) فأتى رسولَ الله (ﷺ) فقال: إنّي أعطيْتُ ابني مِنْ عمْرة بنْت رواحة عطيةً، فأمرَتْني أنْ أُشْهدك يا رسول الله، قال: (أعطيْتَ سائر ولدك مثْلَ هذا؟) قال: لا، قال: (فاتَّقوا الله، واعْدلوا بيْن أولادكم)، قال: فرجع، فردَّ عطيته؛ [البخاري ومسلم].

وفي رواية لمسلم، قال:(فلا تُشْهِدْني إذًا؛ فإني لا أشْهد على جوْرٍ).

انظروا ماذا فعَلَت الزوجة؟ فإن بشير بن سعد أراد أن يُكْرمها وهي زوجته الثانية، ويخصَّ ولدَها بعطية، فعرفت أن الله رقيب عليهم،

غيرةُ النِّساء لم تحملها على الظُّلم؛ لأنَّها تراقب الله عز وجل - آه يا نساءَنا لو راقبْتُنَّ الله!

- قصة ذبح الطائر:

كان لأحد السلف غلام مقرّب عنده، فسأله التلاميذ: لماذا تُقرِّب زميلنا هذا منك أكثر منا ، فأجابهم إجابة عملية ، بأن أعطى كل واحد منهم طائرًا، وقال لهم: كل واحد يذبح هذا الطائر في مكان لا يراه فيه أحد. فكل تلميذ أخذ طائره واختبأ في مكان وذبحه ، ورجع الجميع ومعهم الطيور مذبوحة إلا هذا الغلام لم يذبح الطائر. فسأله الشيخ: لماذا لم تذبح الطائر؟

فقال: يا شيخي، لقد قلت لنا كل واحد يذبح الطائر في مكان لا يراه فيه أحد. وكلّما ذهبت إلى مكان أجده معي. فقال: مَن؟ فقال: الله.

- سهل بن عبد الله التستري :

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم الليل، فأنظر إلى صلاة خالي (محمد بن سوار)، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟

قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي؛ فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك في كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته؛ فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي : احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة؛ فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سرى؛ ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل من كان الله معه، وناظراً إليه، وشاهده .. أيعصيه؟ إياك والمعصية!.

- وأخـيرا ... علينا أن نوقن أن الله تعالي مطلع علينا وناظر إلينا ،قال تعالي {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108)} [النساء].

واعلم أن الملائكة تسجل عليك جميع أحوالك فكيف تكون حجتك يوم القيامة ، وكتابك ينطق إما بُحسن الأعمال أو بسوء الأعمال قال تعالي {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(19)} [ق].

وقال تعالى{هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(29)} [الجاثية].

وحتي لا تتحسر وتندم في وقت لا ينفع فيه الندم ولا الحسرة قال تعالي {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا(49)} [الكهف].

فمهما لبسنا علي الناس واستطعنا خداعهم، وقلبنا الحقائق في الدنيا، ففي يوم القيامة على رؤوس الأشهاد يُفتضَح الأمر، وتُبلي السرائر، قال تعالي:{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (29)} [ق].

وكيف حجتهم يوم القيامة، وكتابهم ينطق عليهم بسوء أعمالهم، وقبح ما جنته أيديهم؟

قال تعالى{هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29)} [الجاثية].

فاعمل حسابًا لمن لا يُفارقونك ليلاً ولا نهارًا، ويُحْصون عليك الصغير والكبير، والفتيل والقِطْمير، ويَعُدُّون عليك أنفاسك، ويسجِّلون همساتك ولمساتك، وسَكناتك وحرَكاتك.

قال تعالي{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ(80)} [الزخرف].

واستعد ليوم تنطق فيه جوارجك عما قدمت في الدنيا من أعمال فماذا يكون حالك بين يدي الله تعالي ، قال تعالي{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)} يس

وقال تعالي {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(24)} [النور].

وقال تعالي {حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)} [فصلت].

فمن تحقق له مقام المراقبة وصار له حالاً دائمًا ، وصل إلى مقام الإحسان الذي قال عنه النبي (ﷺ) {أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ} [رواه مسلم].

واستحق أن يكون الله معهم بمعيته الخاصة ،كما قال تعالي{ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)}النحل.

فاللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة ، اللهم اجعلنا نخشاك كأننا نراك ، اللهم مُنَّ علينا بمراقبتك في السر والعلانية ، يارب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلي آله وسلم تسليما.

الفصل العاشر

المعايشة الإيمانية لاسم الله الحسيب

ويحتوي على أربعة عناصر ...

العنصر الأول : اسم الله الحسيب في القرآن الكريم.

العنصر الثاني: من معاني اسم الله الحسيب.

العنصر الثالث : المعايشة الإيمانية لاسم الله الحسيب.

العنصر الرابع : الآثار المترتبة علي الإيمان باسم الله الحسيب .

العنصر الأول : اسم الله الحسيب في القرآن الكريم

ورود اسم الله الحسيب في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم منها :

قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً (86)} [النساء]

وقال تعالى: {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً (6)} [النساء]

وقال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً (39)} [الأحزاب]

العنصر الثاني : من معاني اسم الله الحسيب

الحسيب على وزن فعيل من صيغ المبالغة.

ويأتي الفعل، حسِبَ بمعنى ظن، وبمعنى : عدّ يعد

والحسيب: أي الكافي ، ويقال : هُوَ حَسِيبٌ: ذُو حَسَبٍ وَنَسَب

حسيبك الله : انتقم الله منك.

" الحسيب ": هو الكريم ، العظيم ، المجيد ، الذي له علو الشأن ، ومعاني الكمال له في ذاته وصفاته مطلق الجمال والجلال .

قال تعالي{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(11)} [الشورى].

هل تعلم له سمياً ، أي مشابهاً .

قال تعالي{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ (284)} [البقرة].

قال الحليمي: "الحسيب: المدرك للأجزاء والمقادير التي يعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب"، بل إن الله تعالى يجعل العبد يوم القيامة حسيبًا على نفسه، حاكمًا على أعماله، مقرًّا بذنوبه؛ قال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)} [الإسراء]،أي: محاسبًا،

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:

وهو الحسيب كفاية وحماية والحسب كافي العبد كل أوان

العنصر الثالث: المعايشة الإيمانية لاسم الله الحسيب

لو تأملنا اسم الله الحسيب لوجدناه يحتوي علي ثلاث معاني إيمانية وهي :

المعنى الأول : الله سبحانه وتعالى هو الكافي لعباده.

المعنى الثاني : (الحاسب) الذي أحصى كل شيء، لا يفوته مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

المعنى الثالث : حسيب بمعنى المحاسب (وهو أسرع الحاسبين).

المعنى الأول : الله سبحانه وتعالى هو الكافي لعباده

كفاية الله لعباده عامة وخاصة :

فالكفاية العامة : تكون للناس جميعا ،أي أنه سبحانه كَفَى جميع المخلوقات، وقام بإيجادها وإمدادها وإعدادها لكل ما خُلقت له.

فالله تعالي الكافي الذي لا غنى لهم عنه أبداً، بل لا يُتَصَوَّر للخلق وجود بدونه، فهو خالقهم وبارئهم ورازقهم وكافيهم في الدنيا والآخرة ، لا يشاركه في ذلك أحد أبداً.

وإن ظن الناس أن غير الله يكفيهم فهو ظن باطل، وخطأ محض، بل كل شيء بخلقه وتقديره وأمره سبحانه وتعالي جل شأنه.

ولا تظنن أنك إذا احتجت إلى طعام وشراب وأرض وسماء وشمس وغير ذلك، فقد احتجت إلى غيره ،ولم يكن هو حسبك، فإنه هو الذي كفاك بخلق الطعام والشراب والأرض والسماء، فهو حسبك.

لا تظن أن الطفل الذي يحتاج إلى أمه تُرضعه وتتعهده أن الله ليس حسيبه وكافيه بل الله كفاه إذ خلق أمه وخلق اللبن في ثديها وخلق له الهداية إلى التقامه وخلق الشفقة والمودة في قلب الأم حتى مكنته من التقامه ودعته إليه وحملته إليه, فالكفاية إنما حصلت بهذه الأسباب والله وحده المتفرد بخلقها لأجله .

وأما الكفاية الخاصة هذه تكون لأهل التوحيد والتوكل :

فكفايته للمتوكلين وقيامه بإصلاح أحوال عباده المتقين قال تعالي{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (3)} [الطلاق].

أي كافيه كل أموره الدينية والدنيوية .
وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أوى إلى فراشه قال :{الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا , فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي }.
والعبد لا غنى له عن ربه بأن يكون له حافظاً وكافياً ومسددا وهاديا ولذا شرع للمسلم في كل مرة يخرج من بيته أنه يقول:{بسم الله توكلت على الله لاحول ولا قوة إلا بالله } ليكفى همه وحاجته روى أبو داود والترمذي وصححه الألباني لشواهده أن رسول الله (ﷺ) قال:{إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ قَالَ « يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِىَ وَكُفِىَ وَوُقِىَ }أي هديت إلى طريق الحق والصواب وكفيت من كل هم ديني ودنيوي .
وفي الكفاية الخاصة للمؤمنين أهل التوكل والتوحيد ورد الدعاء المشهور [حسبنا الله ونعم الوكيل] في سورة آل عمران في أعقاب غزوة أُحُد ، في غزوة "حمراء الأسد "، وذلك حين خوَّفهم بعضُ المنافقين بأن أهل مكة جمعوا لهم الجموع التي لا تهزم ، وأخذوا يثبّطون عزائمهم ، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا بوعد الله ، وتمسكا بالحق الذي هم عليه ، فقالوا في جواب جميع هذه المعركة النفسية العظيمة [حسبنا الله ونعم الوكيل] كما قال الله تعالي:{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)}[آل عمران].
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :{حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ : قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ

(ﷺ) حِينَ قَالُوا :إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } [صحيح البخاري]
ومعنى حسبنا الله : أي الله كافينا ، فالحسب هو الكافي أو الكفاية ، والمسلم يؤمن بأن الله عز وجل بقدرته وعظمته وجلاله يكفي العبد من كل ما أهمه وأصابه ، ويرد عنه بعظيم حوله كل خطر يخافه ، وكل عدو يسعى في النيل منه .
وأما معنى : (نِعْم الوكيل)، أي : أمدح من هو قيِّم على أمورنا ، وقائم على مصالحنا ، وكفيل بنا ، وهو الله عز وجل ، فهو أفضل وكيل ؛ لأن من توكل على الله كفاه ، ومن التجأ إليه سبحانه بصدق لم يخب ظنه ولا رجاؤه ، وهو عز وجل أعظم من يستحق الثناء والحمد والشكر لذلك .
{فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ} وجاءت "فضل" هنا نكرة في سياق الاثبات على اعتبار أن تكون مطلقة ؛ وكان يمكن أن يقول فانقبلوا "بنعمة وفضل" لكن أضاف "من الله" لكي يشعر قيمة هذه النعمة، فهي نعمة خاصة جدا مميزة جدا" بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ" أي كل سوء، "لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيم".
فرضِيَ عنهم ربهم وأرضاهم ولا شك هذا هو الفوز.
وهذا الدعاء من أعظم الأدعية فضلا ؛ لأنه يتضمن حقيقة التوكل على الله عز وجل ، فهي تعني توكيل كل الحول والقوة له سبحانه من الموكل في هذا الأمر المعني .
ومَن صَدَق في لجوئه إلى ربه سبحانه حقق له الكفاية المطلقة ، الكفاية من شر الأعداء ، والكفاية من هموم الدنيا ونكدها ، والكفاية في كل موقف يقول العبد فيه هذه الكلمة يكتب الله عز وجل له بسببها ما يريده ، ويكتب له الكفاية من الحاجة إلى الناس ، فهي اعتراف بالفقر إلى الله ، وإعلان الاستغناء عما في أيدي الناس .
هذا الدعاء قاله أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حين

ألقي في النار ، قال تعالي{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (20) يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (21)}الأنبياء.
وقاله كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام حين قال أصحاب موسى إنا لمدركون فانفلق له البحر نصفين قال تعالي{ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(67)} [الشعراء].
هؤلاء هم الأنبياء صفوة الله لم يلجئوا إلا لله في أمورهم وترديد هذا الدعاء حسبنا الله ونعم الوكيل!!.
قال القرطبي: لَمَّا فَوَّضَوا أُمُورهم إليه واعْتَمَدُوا بِقُلُوبِهم عليه أعطاهم مِن الجزاء أربعة مَعَانٍ: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتِّباع الرضا، فَرَضَّاهم عنه ورِضِي عنهم.

المواضع المناسبة للدعاء بـ " حسبنا الله ونعم الوكيل "

يناسب هذا الدعاء كل موقف يصيب المسلم فيه هم أو فزع أو خوف ، وكذلك كل ظرف شدة أو كرب أو مصيبة ، فيكون لسان حاله ومقاله الالتجاء إلى الله ، والاكتفاء بحمايته وجنابه العظيم عن الخلق أجمعين .
وهناك أوقات يردد المسلم هذا الدعاء :-

1- في الصباح والمساء :

عَن أبي الدَّرداءِ رضيَ اللَّهُ عنه قالَ : مَن قالَ إذا أصبحَ وإذا أَمسى : "حَسبيَ اللَّهُ لا إلَهَ إلَّا هوَ عليهِ توَكَّلتُ وَهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ سَبعَ مرَّاتٍ ". كفاهُ اللَّهُ ما أَهَمَّهُ"
[وهذا اسناد صحيح وقد صححه العلامة الالباني موقوفا على ابي الدرداء في السلسلة الضعيفة] .

2- عند الشدائد:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا».[رواه الترمذي]

وقد ورد في ذلك حديث ضعيف جدا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال :{إذا وَقَعْتُمْ فِي الأَمْرِ العَظِيمِ فَقُولوا : حَسْبُنا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ } رواه ابن مردويه .

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

3- لرد كيد الأعداء:

وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:{حسبنا الله ونعم الوكيل}، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: {إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل}[البخاري].

وقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):{إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[والحديث حسنه الحافظ ابن حجر في الفتوحات الربانية ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير و ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود]

وقد ورد في البداية والنهاية للإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالي أن الخليفة " ابوالعباس عبد الله العبّاسي ،قتل 38 ألف مسلم بعدَ أنْ دمّر الدّولة الأموية و أسّس الدولة العبّاسية ودخل بخيله مسجد بني أُمَيّة ، ودخل قصرهُ وقال : أَتَرَونَ أَحَد مِن النّاس يُمكِن أن يُنكِر عليّ ؟! قالوا له : لا يُنكِر عليك أحد إلا الأوزاعي ! فأمَرُهم أن يُحضِروه ، فلمّا جاؤوا الإمام الأوزاعي قام رحمهُ الله فاغتسل ثم تكفّنَ بكفنِه ، ولبس فوقهُ ثوبه ، و خَرَج من بيتِه إلى قصر الخليفة..

فامر الخليفة أبو العباس السفاح وزراءه و جُندَه أنْ يقفوا صفّين عن

اليمين والشّمال و أن يرفعوا سيوفهم !!
في محاولةٍ لإرهاب العلاّمة الأوزاعي رحمه الله، ثم أمرهم بإدخاله ، فدخل عليه رحمه الله يمشي في وقار العلماء و ثَبَات الأبطال ..
و يقولُ عن نفسِه : والله ما رأيتهُ إلا كأنه ذُبابٌ أمامي يوم أنْ تصوّرتُ عرشَ الرّحمن بارزاً يوم القيامة ، وكان المُنادي يُنادي فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير .. والله ما دخلت قصرهُ ، إلا و قد بعتُ نفسي من الله عز وجل.
فقال له الخليفة أبو العباس: أأنت الاوزاعي ؟ فرد عليه بثبات : يقول الناس إني الأوزاعي ! اغتاظَ الرجل و أرادَ إهلاكَه ، فقال : يا أوزاعي ! ما ترى فيما صَنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العِباد والبِلاد ؟
أجِهاداً ، ورِباطاً هو ؟ قال: فقلت: أيها الأمير ! حدّثني فُلان عن فُلان ، يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: {إنّما الأعمال بالنّيات، وإنما لكل امرئ ما نوى }.
دُهِشَ الخليفة ابو العباس من هذه الإجابة المُسدَّدة ! فنكتَ بالخَيزرانة في يدِهِ على الأرض أشدّ
ما ينكت، ثم قال : ما ترى في هذه الدماء التي سفكنا مِن بني أُميّة ؟
فرد عليه بقوله : قال : حدّثني فلان عن فلان عن جدّك عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنّ الرسول (ﷺ) قال :{لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاثٍ : النفسُ بالنفسِ ، والثّيِّبُ الزاني ، والمفارقُ لدِينِه التاركُ للجماعةِ}.
غضب الخليفة العباسي جداً ،و رفَعَ الأوزاعِي عِمامته حتي لا تعوق السّيف ،و تراجعَ الوزراء للوراء ، ورفعوا ثِيابهم حتي لا يصيبهم دمه !فقال له السّفاحُ وهو يشتاطُ مِن الغَضَب :
ما تري في هذه الأموال التي أُخِذت ، وهذه الدُّور الّتي اغتُصِبت ؟
فقال له رحمهُ الله : إن كانتَ في أيديهم حراماً فهي حرامٌ عليك أيضا، وإن كانت لهم حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي.

وسوفَ يُجرّدُك اللهُ يوم القيامة و يُحاسِبك عُرياناً كما خَلَقك فان كانت حلالاً فحساب وان كانت حراما فعقاب .. !!
فزاد غيظَ السفاح أكثر وأكثر و نكتَ على الأرض ، بعصاهُ ، أشدّ ما ينكت و الإمام يردد جهراً : حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ..
فقال له : اخرج عليّ و رماهُ بِصُرّة مال ، ليأخُذها ،فرفض الإمام أخذها ، فأشار عليه أحد الوزراء بأخذها ..
فأخذها من يدِه و نثرها أمامه في أثواب الوُزراء و الحاشية ،ثم ألقى الكيس و خرجَ مَرفوع الرأس قائلاً : ما زادني الله إلا عزةً و كرامه.
ولما مات الإمام الأوزاعي رحمه الله ذهب الخليفة أبو العباس إلي قبره و قال : والله إني كنتُ أخافك كأخوفِ أهل الأرض .. و ما خِفتُ غيرك والله إني كنت إذا رأيتك رأيت الأسد بارزاً رحمهُ الله تعالى.
وكان يزيد بن حكيم يقول: ما هِبت أحداً قط هَيبتي رجلاً ظلمتُه وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله، يقول لي: حسبي الله، الله بيني وبينك.
وروى الترمذي وصححه الألباني عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس}.

4ـ عند إعراض الناس عن الحق:

فقد قال الله تعالى آمراً بذلك نبيه (ﷺ): {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(129)} [التوبة].
يعني: يكفيني ربي، لا إله إلا هو، لا معبود سواه ، عليه توكلت وبه وثقت، وعلى عونه اتكلت، وإليه وإلى نصره استندت؛ لأنّه ناصري ومعيني على من خالفني وتولى عنّي منكم ومن غيركم من الناس، وهو رب العرش العظيم.

وقال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ(38)} [الزمر].

فإن قيل: حسبنا الله تقال لاستدفاع المكروه، فأين المكروه في إعراض المشركين؟

فالجواب: أنهم إذا أعرضوا وكذبوا فتكوا، فتقال الكلمة لدفع شرهم.

5ـ عند الخوف من وقوع الظلم:

فعن أم المؤمنين عائشة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما، أنهما تفاخرتا فقالت زينب: زَوجني الله وزوجَكُن أهاليكن. وقالت عائشة: نزلت براءتي من السماء في القرآن. فَسَلَّمَت لها زينب، ثم قالت: كيف قلتِ حين ركبت راحلة صَفْوان بن المعطل؟ فقالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت زينب: قلت كلمة المؤمنين"[رواه الطبري في التفسير].

فالمسلم لا يلتفت إلى أهل الخداع والمكر؛ لأن الله كافيه شرهم، وهو حسبُه من كيدهم؛ قال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ(62)} [الأنفال].

هذا هو المؤمن، يفزع إلى الله في كلِّ شؤونه، ويعتمد عليه في كلِّ أموره.

اللهُ يُحْدِثُ بعدَ العُسرِ مَيْسَرَةً ... لا تَجْزَعَنَّ فإنَّ القاسمَ اللهُ

إذا بُلِيتَ فثِقْ باللهِ وارْضَ بهِ ... إنَّ الذي يَكْشِفُ البَلْوَى هو اللهُ

واللهِ مَا لَكَ غيرُ اللهِ مِن أحَدٍ ... فحَسْبُكَ اللهُ في كلٍّ لكَ اللهُ

6ـ عند إحسان الظن بالله وانتظار فضله :

قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ(59)} [التوبة]

قال السعدي رحمه الله: "{وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ}، أي: كافينا الله، فنرضى بما قسمه لنا، وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا: {سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ}، أي: متضرعون في جلب منافعنا، ودفع مضارنا، لسلموا من النفاق ولهدوا إلى الإيمان والأحوال العالية".

المعنى الثاني : (الحاسب) الذي أحصى كل شيء، لا يفوته مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

لكي تعرف كم ذرة رمل في جبل فهذا أمر يعجز عنه البشر! اللهم إلا إذا وجدت تقنيات عالية تصنع مثل هذا الأمر، لكن إن صنعته ستصنعه عن حساب كالحاسوب أو غيره، أما الله عزّ وجلّ فيحسب دون حاجة إلى حساب، الله سبحانه وتعالى يدرك هذه الأجزاء ومقاديرها، هذا جبل الحسنات وهذا جبل السيئات لا يحتاج إلى أن يحسب أو يجند ملائكته لكي يحسبون، الله سبحانه وتعالى يدرك الأجزاء والمقادير التي يعلمها العباد بالحساب من غير أن يحسب.

فالله سبحانه وتعالى "الحاسب" الذي أحصى كل شيء لا يفوته مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء قال تبارك وتعالى{وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28)}[الجن].

وكتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة .

وقال تعالي {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)}[الحديد].

وقال تعالي { وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)}[يس]

وقال :{إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94)}[مريم].

وأعمالك كلها أيها الإنسان محسوبة محصية، لا يضيع منها شيء، ولا يزاد عليك شيء، فتجزى بها يوم القيامة ولا تظلم.

قال تعالى:{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا

وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)} [الأنبياء]، وقال سبحانه:{أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ (6)} [المجادلة].
وقد أمر الله سبحانه الحفظة بذلك، أن يدونوا كل صغيرة وكبيرة.
قال تعالى:{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(18)} [ق].
وهذا الحفظ والإحصاء الدقيق، والحساب الذي لا يفوته شيء، هو الذي يبهت أهل الأجرام، الذين لا يبالون بأعمالهم صلحت أو فسدت، يعملون السيئات بلا حساب ويظنون أنهم متروكون سدى، لا حساب ولا عذاب، قال تعالى عنهم :{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)} [الكهف].

المعنى الثالث : حسيب بمعنى المحاسب (وهو أسرع الحاسبين)

لا مفر من حساب الله تعالي: فالله سبحانه وتعالى لا يشغله حساب أحد عن أحد ولن يكون هناك دور تنتظر فيه، ولن يكون هناك مفر من هذا الحساب، الكل سيحاسب وبدقة شديدة عن كل صغيرة وكبيرة، قال جلّ في علاه: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(17)} [غافر]، وهو أسرع الحاسبين سبحانه وتعالى
والله سبحانه وتعالى هو أسرع الحاسبين فحين يُرَدُّ إليه العباد فيحاسبهم لا يشق عليه ذلك فهو سبحانه يعلم عددهم وأعمالهم وآجالهم وجميع أمورهم ، وقد أحصاها وعلم مقاديرها ومبالغها وهو لا يحسب بعقد يد ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين.
فالله حسيب، قال تعالى:{وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19)} [آل عمران]
وحساب الخلق لا مشقة فيه على الخالق الحاسب، بل هو يسير عليه.
قال تعالى :{ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ

الْحَاسِبِينَ (62)} [الأنعام].
قال ابن جرير: ثم ردت الملائكة الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم إلى الله سيدهم الحق، (ألا له الحكم) يقول: ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه، (وهو أسرع الحاسبين) يقول: وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس، وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها.
لأنه لا يحسب بعقد يد، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ". اهـ .
فكما أنَّ خلقهم وبعثهم لا مشقة فيه كما قال سبحانه{مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ (28)} [لقمان].
فكذلك حسابهم لا مشقة فيه ولا تأخير، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(82)} [يس].

معايشة إيمانية ليوم الحساب :

فما الحساب؟ وما هي صفته؟ وعلى ماذا يحاسب الله تعالى العباد؟
يوم الحساب: هو محكمة العدل الإلهية التي يقضي فيها رب العزة سبحانه بين خلقه وعباده وينبغي أن تعلم أن يوم القيامة: يوم يجمع الله فيه الأولين، والآخرين للحساب قال تعالي:{قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50)} [الواقعة].
وقال تعالي {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9)} [آل عمران].
يوم تتكشف فيه الحقائق والأستار، فالكل مكشوف النفس والعمل والمصير: قال تعالي {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18)} [الحاقة].
يوم يشيب من هوله الوليد، وتذهل الأم الحنون عن طفلها، وتسقط فيه الحامل حملها قال تعالي{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ

وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)} [الحج].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): يقول الله يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذلك حين يشيب الصغير, وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى, ولكن عذاب الله شديد, فاشتد ذلك عليهم, فقالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟ قال: (أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجلًا، ثم قال: والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة), قال: فحمدنا الله وكبَّرنا، ثم قال: (والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ). [رواه البخاري ومسلم]

وأما صفة الحساب: فلا بد لكل محكمة من حاكم يحكم ويقضي، وشهود يشهدون، ومتهم وأرض يقام عليها الحكم.

أولا : الحاكم:

فهو الله جل جلاله، جبار الأرض والسماء، تباركت أسماؤه وعظمت صفاته الذي يعلم السر وأخفى، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، الخالق لكل شيء سبحانه وتعالى ويبدأ الأمر:

أ- بنفخ إسرافيل في الصور بأمر الله سبحانه فتصعق الخلائق كلها وتموت: قال تعالي {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۖ (68)} [الزمر:].

ب- إحداث تغير عام في الكون فتنشق السماء وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب وتتفتت الأرض قال تعالي {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3)} [التكوير].

كورت أي ظلمت، انكدرت: أي تناثرت، وسيرت: أي حركت وصارت كالهباء.

ج- ينفخ إسرافيل في الصور بأمر الله سبحانه فتقوم الخلائق للحشر: قال تعالي {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68)}[الزمر].

د- نزول عرش الرحمن جل جلاله : قال تعالي {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17)} [الحاقة]، أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله (ﷺ) قال: {أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام} [رواه أبوداود والطبراني]

هـ- ثم يشرق على الأرض نور الحق جل جلاله قال تعالي قال تعالي{وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69)}[الزمر].

أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء.

و- ثم مجي الحق سبحانه مجيئا يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه الكبير المتعال ، قال تعالي :{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(22)}[الفجر].

وأما صفة حكمه جل جلاله سبحانه:

- العدل المطلق: قال تعالي{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)}[الزلزلة].

أ- فلا ظلم: قال تعالي {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)}[الكهف].

ب- ولا أنساب: قال تعالي {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101)} [المؤمنون].

أي لا تنفع الإنسان يومئذ قرابة ولا يرثي والد لولده يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجئ ليأخذ حقه، قال: فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته

وإن كان صغيرا).

ج- ولا رشوة لتغير صورة الحكم: فالحاكم هو الغني المتعال والكل مفتقر إليه سبحانه قال تعالي:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)}[فاطر].

د- ولا تهديد ولا ضغوط: فالحاكم هو القوي سبحانه قال تعالي {أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ(165)}[البقرة].

وقال تعالي {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (93)}[مريم]. فالكل ضعيف وعبد.

ثانيا :الشهود:

وأما الشهود فهم كثير فلا مكان للإنكار والكذب والمراوغة .

1- وأعظمهم شهادة هو **الله** سبحانه الله جل جلاله قال تعالي {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7)}[المجادلة].

2- الرسل عليهم الصلاة والسلام ويشهد للرسل سيدنا وحبيبنا رسول الله (ﷺ) للحديث: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ) يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته فتشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا" فذلك قوله جل ذكره وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) والوسط العدل [رواه البخاري]

3- الملائكة: قال تعالي {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(18)}[ق].

يقول الحسن البصري رحمه الله: (يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما

الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا وقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك).

4- الجوارح: قال تعالي {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)}[فصلت] .

وعن أنس رضي الله عنه قال: (كنا عند النبي (ﷺ) فضحك فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال: من مخاطبة العبد ربه فيقول: يا رب ألم تجرني (تحفظني) من الظلم؟ يقول: بلى، فيقول: إني لا أجيز اليوم على نفسي شاهدا إلا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، والكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه ويقول لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكنّ وسحقا فعنكنّ كنت أناضل) .

5- الأرض: قال تعالي {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4)}[الزلزلة].

قرأ رسول الله (ﷺ) هذه الآية: (يومئذ تحدث أخبارها)

قال: (أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمةٍ بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها).

6- التسجيل الكامل كما ذكر بعض العلماء: لقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)} [الزلزلة].

وتعرض الأعمال عرضا حيا ناطقا، فسيرى المرء عمله وهو يباشره ويا للفضيحة.

اللهم إنا نسألك ستر الدارين، اللهم إنا نعوذ بك من خزي الدنيا والآخرة، يا رب العالمين.

ثالثا: المتهم:

هو الإنسان الذي خلقه الله بيده، وأسجد له الملائكة، وكرّمه على كثير ممن خلق، سخر الكون له، وأرسل له الرسل، وأنزل له الكتب، وجعل له واعظا من عند نفسه بالفطرة التي فطر الله الناس عليها على معرفته سبحانه وحذره من الشيطان وطاعته ثم يستقبل الإنسان ذلك كله بالسخرية قال تعالي {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (30)} [يس].

ويجعل من الشيطان ربا يعبده من دون الله: قال تعالي {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62)} [يس].

ويمر بآيات الله الدالة عليه سبحانه وتعالي معرضا قال تعالي {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)} [يوسف].

يمن الله عليه بالنعم فيزداد طغيانا قال تعالي :{ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ (7) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (8)} الأعلى.

الإنسان الذي إذا أحاطت به الخطوب تذكر ربه وإذا كان في نعمة غفل وكفر قال تعالي {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ(53) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54)} [النحل].

رابعا :أرض المحكمة:

قال تعالي{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48)} [إبراهيم].

وللحديث : عن سهل بن سعد قال سمعت النبي (ﷺ) يقول {يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها

معلم لأحد}[رواه البخاري]
وأيضا: (أرض بيضاء لم يسفك عليها دم، ولم يعمل عليها خطيئة).
فهي أرض أخرى غير أرضنا لم تطأها قدم من قبل، ولم تعمل عليها خطيئة، ولم يسفك عليها دم، أرض طاهرة من ذنوب بني آدم وظلمهم، طهر يتناسب وطهر القضاء.
وأما على ماذا يحاسب الله تعالى العباد: فاعلم أن الحساب سوف يكون مشافهة: فكل عبد يعرض على ربه، ويتولى سبحانه حسابه بنفسه للحديث:
عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)[رواه البخاري ومسلم]
والحساب إما أن يكون يسيرا: وذلك بأن يعرض على العبد عمله بحيث لا يطلع عليها أحد ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة ، فعن صفوان بن محرز أن رجلا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في النجوى قال يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى صحيفة حسناته}[رواه البخاري]
وأما أن يكون الحساب عسيرا وذلك لمن كثرت معاصيه فذلك الذي يناقش الحساب ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة قال رسول الله (ﷺ): ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أليس قد قال الله : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا)؟
فقال رسول الله (ﷺ): إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب).

والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة.

والحساب يتناول كل شيء:

1- العمر والمال والجسم والعلم لقول النبي (ﷺ):{لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه}.

2- عن النعم وشكرها قال تعالي {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)} [التكاثر].

قال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا). ولقوله (ﷺ): {إن أول ما يسأل عنه العبد من النعيم أن يقال: له ألم نصح لك بدنك، ونروك من الماء البارد}

3- عن الحواس واستعمالها: قال تعالي {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)}[الإسراء].

قال ابن عباس: يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم.

4- عن الفرائض من صلاة وزكاة: لقوله (ﷺ): {إن أول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة وآخر ما يبقى الصلاة، وأول ما يحاسب به الصلاة ويقول الله : انظروا في صلاة عبدي، قال: فإن كانت تامة كتب تامة، وإن كانت ناقصة يقول: انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فإن وجد له تطوع تمت الفريضة من التطوع، ثم قال: انظروا: هل زكاته تامة ؟ فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة قال: انظروا هل له صدقة فإن كانت له صدقة تمت له زكاته .}

5- عن الدماء والقتل: لقول النبي (ﷺ):{أول ما يقضى بين بالناس يوم القيامة في الدماء} كلٌ عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : قال : قال رسول الله (ﷺ){كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت مشركا أو يقتل مؤمنا متعمدا}[أبو داود]

.وعن عُبَادةَ بنِ الصَّامِتِ، عن رسولِ اللهِ (ﷺ) أنَّه قال: (مَن قَتَلَ مُؤْمِنًا فاغتَبَطَ بقَتْلِهِ لم يَقْبَلِ اللهُ منه صَرْفًا ولا عَدْلًا). [أبو داود]
وعن أبي الدَّرْداءِ، عن رسولِ اللهِ (ﷺ) أنَّه قال: (لا يَزالُ المُؤْمِنُ مُعْنِقًا صالِحًا ما لَمْ يُصِبْ دمًا حرامًا، فإذا أَصابَ دمًا حرامًا بَلَّحَ).
أي (ضعُفَ وانقطَعَ فلم يستطِعِ المشْيَ) [أبو داود]
6- السؤال عن المسؤولية والأمانة: قال تعالي {وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)} [الصافات].
وعَنْ ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ : {أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ } [رواه البخاري ومسلم].
7- عن الكلمة: لقوله (ﷺ): (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) .
ولقول النبي (ﷺ): {وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم}

و ما من كاتب إلا ستبقى ... كتابتـه وإن فنيت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

8- عن الحقوق والمظالم للحديث: (يقول الله تعالى: أنا الديان، أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة).

العنصر الرابع : الأثار المترتبة علي معايشة اسم الله الحسيب

1ـ استشعار معيَّة الله عز وجل :

الإيمان باسم الله "الحسيب" يُفضِي إلى استشعار معيَّة الخالق للعبد في كل زمان ومكان، وإذا كان الله معك، فمَن عليك؟ وإذا كان عليك، فمن معك؟

قال الإمام أحمد رحمه الله: "إذا أحببتَ أن يدومَ الله لك على ما تُحِب، فدُمْ له على ما يحب".

وقيل:

كُن عن همومك مُعْرِضا وَكِلِ الأمور إلى القضا
وابْشِر بِخَيْر عاجِلٍ تنس به ما قد مضى
فَلَرُبّ أمر مُسْخِطٍ لك في عواقِبه رِضى
وَلَرُبّما ضاق المضيقُ وَلَربما اتـسع الفضا
الله يفعل ما يشـاء فلا تكـن مُعْتَرِضا
الله عَوَّدَك الجمـيل فَقِسْ على ما قد مضى

2ـ استشعار الفقر والحاجة إلي الله تعالي :

ـ أن يستشعر أن الله الحسيب هو الذي يكفيه لا غنىً له عنه، بل لا يتصور العبد حياته دون ربه، فيديم اتصاله به ويديم افتقاره له ويتجسد ذلك في دوام الدعاء والتضرع إليه سبحانه وتعالي.

3ـ دوام محاسبة النفس

إن النجاةَ والمخرجَ في موقف الحساب يترتب علي محاسبة النفس في الدنيا والوقوف معها وقفة جادة .....

كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ،واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا.

فمن حاسب نفسه بدقه في حياته خُفّف عليه من الحساب يوم القيامة.

فعن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه قال رسول الله (ﷺ) "الكَيِّس مَنْ دانَ نفسَه وعَمِلَ لما بعد الموت والعاجِزُ مَنْ أتْبَعَ

نَفَسَهُ هَواهَا وتمنَّى على الله الأماني" [الترمذي] .
ولو سَرَتْ هذه المحاسبة على وجهِها الأكمل، لَمَا تفشَّت بيننا مظاهرُ الغش والرِّشوة والمحسوبية ، وضياع الحقوق والمظالم، ولكن الفَطِن منا مَن يُؤدِّي المظالم في الدنيا قبل يوم الحساب، فالله كفيلٌ بردِّ الحقوق إلى أصحابها، قال تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)} [الغاشية].
فلا يمر بك يوم دون أن تنظر أين أنت من طريق الإسلام ؟
هل تقدمت أم تأخرت ؟
هذا سيدنا عمر بن عبد العزيز دخلت عليه زوجته فاطمة بنت عبد الملك رأته يبكي قالت له : مالك تبكي ؟
قال لها : دعيني وشأني ، فلما ألحت عليه ، قال : ويحك يا فاطمة إني وليت أمر هذه الأمة ، فرأيت المريض الضائع ، والفقير الجائع ، والشيخ الكبير ، والأرملة الوحيدة ، وذي العيال الكثير ، والرزق القليل ، والمأسور ، والمظلوم ، وأمثالهم في أطراف البلاد ، فعلمت أن الله سيسألني عنهم جميعاً ، وأن خصمي دونهم رسول الله ، فخفت ألا تثبت حجتي فلهذا أبكي ، دعيني وشأني قال تعالي{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(93) } الحجر.
ونُقِل عن توبة بن الصّمة: (أنه جلس يوماً ليحاسب نفسَه فعدّ عمره فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيّامها فإذا هي واحدٌ وعشرون ألفاً وخمسمائة يوم؛ فصرخ وقال: يا ويلتى!
ألقى الملك بواحدٍ وعشرين ألف ذنب! فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟!!)
[وتمام القصة ثم خرّ فإذا هو ميّت!! فسمعوا قائلاً يقول: يا لكِ ركضةٌ إلى الفردوس الأعلى. الإحياء والقصة مذكورة في صفة الصفوة لابن الجوزي].
وأخيرا.... إن غياب الناس عن معايشة اسم الله الحسيب ،ونسيان محاسبة النفس لهو نذير غرق الأمة في لجج من بحار الفساد والتيه

المنتهية بنار وقودها الناس والحجارة ، وأن الفساد في الدنيا إنما يكون ظاهراً جلياً حينما لا يتوقع المجتمع أو الفرد حساباً، لا يتوقع حساباً من رب قاهر أو من ولي حاكم أو من مجتمع محكوم أو من نفس لوامة، وحينما لا يتوقع المجتمع و الفرد حساباً على تصرفاتهم فإنهم ينطلقون في حركاتهم كما يحبون ويموجون كما يشتهون وكما تهوى أنفسهم فيتقلبون على الحياة ودروبها بلا زمام ولا خطام فيتشبهون بأهل النار من حيث يشعرون أو لا يشعرون كما قال تعالي{إِنَّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً (27) وَكَذَّبُواْ بِـئَايَـٰتِنَا كِذَّاباً (28) } [النبأ].

فاللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

الخاتمة

إن المعايشة الإيمانية لأسماء الله الحسنى تجعل العبد يعيش بين الخوف والرجاء، فالخوف والرجاء جناحي الإيمان وبهما يصل العبد لمرضاة الرحمن، وتُورِث العبد الهيبة الحقيقية لله تعالى وكلما وصلت الهيبة في قلب العبد يزداد الحياء من الله تعالى فيسارع بأداء الفرائض والتقرب إليه بالنوافل ، وتجنب كل ما يغضبه سبحانه وتعالى، فتتحقق العبودية ويزداد الإيمان واليقين بالله تعالى.

وأيضا تُورث العبد الذل والافتقار بين يديه سبحانه وتعالى

وأيضاً تطرح العبد على باب المحبة ،لأن من عرف الله أحبه سبحانه وتعالى .

وأيضاً تُورِث العبد الثقة واليقين والطمأنينة ، وحسن الظن بالله تعالى، فلا يخاف على أجل ولا رزق ، ولا على أي شيء لأنه إذا ما خالط الإيمان بأسماء الله الحسنى بشاشة قلب العبد يبتهج قلبه ويأنس بقربه من معبوده جل جلاله ويحيى حياةً طيبة ، ويُصبح فارغاً إلا

من ذكر الله تعالى وذكر أسمائه وصفاته، ويأتيه من روح اللذة والنعيم السرور ، وريحان الأمان والطمأنينة والحبور ما يعجز عن ذكره التعبير ويقصر عن بيانه التقرير.
نسأل الله العظيم أن يرزقنا الإيمان الصادق والتوحيد الخالص ، وأن يحيينا عليه وأن يتوفنا على الإيمان والتوحيد إنه ولي ذلك ومولاه فهو نعم المولى ونعم النصير.

الشيخ السيد طه أحمد

فهرس الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
1	المقدمة	1
2	الفصل الأول : المعايشة الإيمانية لاسم الله الفتاح	4
3	الفصل الثاني : المعايشة الإيمانية لاسم الله الرزاق .	28
4	الفصل الثالث : المعايشة الإيمانية لاسم الله الوكيل .	65
5	الفصل الرابع : المعايشة الإيمانية لاسم الله الولـــي.	86
6	الفصل الخامس : المعايشة الإيمانية لاسم الله العفو .	104
7	الفصل السادس : المعايشة الإيمانية لاسم الله الشكور	127
8	الفصل السابع : المعايشة الإيمانية لاسم الله الجميل .	143
9	الفصل الثامن : المعايشة الإيمانية لاسم الله الجبار .	165
10	الفصل التاسع : المعايشة الإيمانية لاسم الله الرقيب .	185
11	الفصل العاشر : المعايشة الإيمانية لاسم الله الحسيب.	206
12	الخاتمة	229